

إشراقات

ديوان

عفيف الدين النلمساني

الجزء الأول

دراسة وتحقيق

يوسف زيدان

دار الشروق

ديوان

عفيف الدين التلمساني

عفيف الدين التلمساني (٦١٠-٦٩٠هـ) هو واحد من كبار الشعراء المتصوفة القادمين من المغرب العربي إلى المشرق، ومن أكثرهم إثارة للجدل، تنقل بين مصر والشام وتعرف إلى كبار المتصوفين، يقول عنه القاضي شهاب الدين بن الفضل: «لم يأت إلا بما خف على القلوب، وبرئ من العيوب، رق شعره فكاد أن يُشرب، ودق فلا غرو للقبض أن ترقص وللحمام أن يطرب»، وابن العماد يقول: «وأما شعره ففي الذروة العليا من البلاغة».

ويعتبر ديوان التلمساني أشهر وأهم مؤلفاته التي تنوعت في مجالي التصوف واللغة. وقد برع التلمساني في تقديم شروح لعدد من نصوص الصوفية الرمزية والكشف عن أسرارها كمواقف النفري وتائية ابن الفارض وغيرها، وعلى هذه الأفكار نفسها يقوم شعر التلمساني الذي كَفَرَه إمام السنة ابن تيمية وكان من أشد الطاعنين في التلمساني، فأضاف بذلك جدلا على جدل، فيما يخص أفكار التلمساني وشعره كليهما.

هذا هو ديوان عفيف الدين التلمساني بتحقيق وتقديم الدكتور يوسف زيدان الكاتب والباحث المتخصص في التراث العربي والمخطوطات، والذي قدم له شروحا وتحليلات وافية، كما وضع مقدمة تتناول حياة الرجل وتفنن آراء كل من مؤيديه ومعارضيه، وتكشف عن مؤلفاته الأخرى وأهم وأبرز نقاط تميزه كمتصوف وشاعر ينبغي معرفته لكل مهتم بهذا السياق.

ديوان
عفيف الدين الثمسانی

ديوان
عفيف الدين النامساني

الجزء الأول

دراسة وتحقيق
يوسف زيدان

دار الشروق

الإهداء

إلى أستاذ التصوف، وشيخ الكل
الدكتور أبو الوفا التفتازاني، رحمه الله

يوسف زيدان

المحتويات

٥	الإهداء.....
٧	تمهيد.....
١١	عفيف الدين التلمساني (حياته - مؤلفاته).....
٤١	منهج تحقيق الديوان.....
٦١	الديوان.....
٦٣	قافية الهمزة.....
٧٣	قافية الباء.....
١٣١	قافية التاء.....
١٤١	قافية الثاء.....
١٤٧	قافية الجيم.....
١٥٥	قافية الحاء.....
١٧١	قافية الخاء.....
١٧٨	قافية الدال.....
٢٤٣	قافية الذال.....
٢٤٩	أعمال د. يوسف زيدان.....

تمهيد

بدأت معرفتى بالعفيف التلمسانى وديوانه الشعرى منذ سنوات ، وكانت هذه المعرفة ناجمة عن دهشتين ! الدهشة الأولى من ذلك الهجوم الشديد الذى شنّه تقى الدين بن تيمية على عفيف الدين التلمسانى ، ناعتا إياه بأقذع الصفات ، حتى بلغ به الأمر أن دعاه : الفاجر التلمسانى !

والدهشة الأخرى ، كانت عند مطالعتى لمخطوطة ديوان التلمسانى المحفوظة بمكتبة الاسكوريال ، فقد توقفت طويلا عند تلك المعانى الرقراقة التى تنساب فى شعره ، وعند هذه المحبة الروحية التى تتأجج بصدق بين كلمات أبياته ، حتى إن كثيرا من أشعار الصوفية المشهورين تتواضع عن بلوغ هذه المكانة الرفيعة لشعر التلمسانى ، فلا تصل إلى روعة تعبيره ودقة تصويره المفعم بالإيحاءات والنكات الذوقية . . وهنا بدا لى التلمسانى بشكل مخالف لما صورّه ابن تيمية .

وعقب الحصول على درجة الماجستير فى الفلسفة الإسلامية بموضوع يدور حول فلسفة الجيلى الصوفية وتحقيق قصيدته النادرات العينية ، أردت أن يكون (ديوان التلمسانى وتصوفه) موضوعا لرسالتى للدكتوراه . . لكن الحق تعالى شاء لى أن تكون رسالة الدكتوراه حول الإمام عبد القادر الجيلانى : طريقته وديوانه . . فشرعت بعد الانتهاء منها فى تحقيق ديوان التلمسانى ، إحياءً لأمنية قديمة ، وإيمانا بضرورة خروج هذا الديوان إلى النور .

والحقيقة ، فقد نال شعر الصوفية قسطا وافرا من إهمال دارسى التصوف - لوقوعه فى دائرة الأدب - ومن إهمال دارسى الأدب . . لوقوعه فى دائرة التصوف !

وبين الدائرتين، بقى شعر الصوفية على ما فيه من روعة، بعيداً عن الأعين التي مهما بحثت في زوايا المكتبة العربية، فلن تجد إلا أقل القليل من دواوين الشعر الصوفى. فالمحقق منها لا يزيد على عدد أصابع اليد الواحدة، والدراسات الجادة حولها لا يزيد عددها على أصابع اليد الأخرى.

. . ويأتى هذا الديوان الذى نقدمه اليوم، كخطوة على طريق التعرف لشعر الصوفية؛ هذا التعرف الذى يعد مدخلا مهما لفهم آفاق التجربة الصوفية وما تحمله من عمق لا نجد في أية تجارب وجدانية أخرى. ويعد - من جهة أخرى - مدخلا لإثراء الحس الأدبى الشعرى عند الشعراء المعاصرين الذين وقفوا دون حدود التصوف، فلم يملكوا هذه الطاقات الشعورية الهائلة التى تنفجر فى قلب الشاعر الصوفى. وسوف تكون لنا قبل الولوج فى النص المحقق للديوان وقفتان: الأولى حول عفيف الدين التلمسانى وتفاصيل حياته وتصوفه، والأخرى حول المنهج النقدى المتبع فى تحقيق الديوان. فهاتان الوقفتان أمرٌ لا غنى عنه، لقراءة شعر التلمسانى قراءةً صحيحة. ومن الواجب أن أسجل آيات شكرى للعروضى السكندرى الكبير، الشاعر (محجوب موسى) لمراجعاته القيمة على النص المحقق للديوان قبل طباعته أول مرة، قبل قرابة عشرين عاماً.

* * *

وكان هذا الجزء (الأول) من ديوان التلمسانى، قد نُشر أول مرة سنة ١٩٨٩ ثم تقاعست الدار التى نشرته عن إصدار الجزء الثانى المتمم له. وأعيد نشر الكتاب، مصوراً، ببيروت قبل سنوات بعيدة. . ولما طال الأمر، ضاع منى الجزء الثانى وصار أمره بدداً. ولعل هذه الطبعة التى بين أيدينا، تحدونى لإنهاء الجزء الثانى، ثانية، لتكتمل النشرة المحققة لأشعار التلمسانى، البديعة.

يوسف زيدان

الإسكندرية فى أوائل ٢٠٠٨

عفيف الدين التلمساني

حياته

على الرغم من اختلاف المصادر التاريخية حول تفاصيل حياة شاعرنا، فإن هذه المصادر اتفقت على أن اسمه، أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله ابن علي بن ياسين العابدي، المعروف بعفيف الدين التلمساني.

وعن (تلمسان) التي ينتسب إليها الشاعر، يقول ياقوت الحموي: تلمسان - بكسرتين وسكون الميم - مدينتان متجاورتان بالمغرب، إحداهما قديمة، والأخرى حديثة اختطها المثلثون ملوك المغرب، يسكن فيها الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، ويزعم بعضهم أن المدينة القديمة منها، هي البلد التي أقام بها الخضر - عليه السلام - الجدار المذكور في القرآن^(١). . . وتقع تلمسان اليوم على الحدود الغربية للجزائر^(٢).

وتذكر بعض المصادر القديمة أنه (الكوفي التلمساني) وهي نسبة خاطئة تناقلتها هذه المصادر^(٣). فالصحيح أنه (الكومي) وذلك نسبة إلى قبيلة (كومة) وهي قبيلة عربية صغيرة، منازلها بساحل البحر من أعمال تلمسان^(٤).

(١) ياقوت: معجم البلدان (دار صادر - بيروت) المجلد الثاني ص ٤٤.

(٢) في هامش النجوم الزاهرة (دار الكتب ٧/ ٢٩) جاء: تلمسان قاعدة مملكة المغرب الأوسط في القرون الوسطى، كانت تشمل الجزائر بحدودها الحالية اليوم، ودار ملك بني عبد الواد - من قبائل البربر - وظلت إلى أواخر القرن الثامن من الهجرة. وهي الآن مدينة عظيمة ببلاد الجزائر. على بعد ٦٨ ميلا من وهران، وهي محطة عظيمة للقوافل بين الجزائر ومراكش، عدد سكانها قريب من أربعين ألفا منهم خمسة آلاف أوروبي [انظر صبح الأعشى ٥/ ١٤٩، ٧/ ٣٨٥ - معجم لينيكوت الإنجليزي للبلدان].

(٣) انظر على سبيل المثال: فوات الوفيات ٢/ ٧٢. . . النجوم الزاهرة ٧/ ٢٩.

(٤) الأعلام للزركلي ٣/ ١٩٣ - تاريخ الأدب العربي لفروخ ٣/ ٦٥٦.

وكان مولد التلمساني سنة ٦١٠ هجرية، وهو أصح التواريخ، ولم يشذ عنه إلا بعض المعاصرين من العرب والمستشرقين، فنجد بروكلمان^(١) وعمر فروخ^(٢) يذكران لمولد التلمساني سنة ٦١٣ هجرية، ونجد كرنكوف^(٣) يجعلها سنة ٦١٦ هجرية. . وهى جميعا تواريخ غير صحيحة؛ لما سنذكره عند حديثنا عن وفاة العفيف التلمساني.

وفى ربوع تلمسان نشأ العفيف، وهناك تلقى بذور التصوف وطريق الصوفية، ثم رحل عن بلاده وطاف فى ديار المسلمين باحثا عن شيخه، حتى لقيه ببلاد الروم. . وكان هذا الشيخ هو تلميذ ابن عربى الأشهر: صدر الدين القونوى^(٤)، المتوفى ٦٧٢ هجرية.

وكان لقاء التلمساني بصدر الدين القونوى تحولا خطيرا فى مساره الروحي، فقد تعرف من خلال شيخه القونوى على عالم فسيح، هو عالم (ابن عربى) الذى تعمق بالتجربة الصوفية حتى اخترق الفقه والفلسفة وعلم الكلام، وغيرها من علوم هذه الحقبة، ليقدم فى النهاية نمطا مميزا من التصوف الجارف الذى تجلت آفاه فى مؤلفات ابن عربى، وفى اتجاهات مدرسته من بعده.

وعلى هذا النحو، عرف التلمساني تصوف ابن عربى. . ومن هنا نقول بأن كرنكوف قد أخطأ فى قوله «نستطيع أن نقول دون أن نخشى الزلل: إن عفيف الدين كان تلميذا وفيا لابن عربى^(٥)»، ذلك أن التلمساني لم يلتق بابن

(١) Brockelmann: Geahchte der Arabihen Litteratut (Suppl) Leiden 1938 p.458.

(٢) د. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى [دار العلم للملايين - بيروت] ٦٥٦/٣.

(٣) كرنكوف: دائرة المعارف الإسلامية [الترجمة العربية] ٤٦٢/٥.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن على الرومى القونوى، صدر الدين: صوفى مشارك فى بعض العلوم، أخذ عن ابن عربى، توفى بقونية. . من مؤلفاته: إعجاز البيان، الفكوك على الفصوص، النصوص، مفتاح أفعال القلوب (انظر: معجم المؤلفين ٤٣/٩ - طبقات ابن الملقن (مخطوط) - طبقات الشافعية ١٩/٥ - الوافى بالوفيات ٢٠٠/٢ - مفتاح السعادة ٢١١/٢ - كشف الظنون - ١٢، ٤٥٥، ٥٣٧، ٨٨٩، ٩٠٠، ١٠٣٤، ١٢٨٨، ١٤٩٠، ١٧٥٨، ١٧٦٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ - إيضاح المكنون ١/٣٣٥، ٢/٤١، ٥٢٣، ٥٩٨ - الأعلام ٦/٢٥٤).

(٥) كرنكوف: المرجع السابق ص ٤٦٣.

عربي، وإنما عرفه عن طريق القونوى، شيخ التلمساني وتلميذ ابن عربي .
ويبدو أن الرابطة بين التلمساني والقونوى كانت وطيدة، فقد لازمه طويلا،
وأخذ من تصوفه الكثير، وصحبه في رحلاته الطويلة التي كان أهمها الرحلة لبلاد
مصر .

في مصر، نزل التلمساني وشيخه بخانقاه (سعيد السعداء) وهي دويرة الصوفية
المعروفة بالخانقاه الصلاحية، يقول عنها المقریزی: هي أول خانقاه عملت بديار
مصر، يلقب شيخها بلقب (شيخ الشيوخ) كان الفاطميون قد أسسوها، ثم أوقفها
صلاح الدين الأيوبي على الصوفية . . وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم
والصلاح، وترجى بركتهم، وكانت لهم هيئة فاضلة^(١).

وفي مصر التقى التلمساني بصوفى لا يقل عن ابن عربي مكانة وخطراً، هو
الصوفى الأندلسى: محمد عبد الحق بن سبعين، المتوفى ٦٦٩ هجرية^(٢). ويروى
المنائى في طبقاته عن هذا اللقاء فيقول^(٣): لما قدم شيخه القونوى رسولا إلى
مصر، اجتمع به ابن سبعين لما قدم من المغرب، وكان التلمساني مع شيخه
القونوى، قالوا لابن سبعين، كيف وجدت القونوى فى علم التوحيد؟ قال: إنه من
المحققين، لكن معه شاب أحذق منه، وهو العفيف التلمساني^(٤).

(١) المقریزی: الخطط . . (طبعة دار الشعب) المجلد الثالث ص ٤٠١ .

(٢) بخصوص ابن سبعين وتصوفه، يمكن الرجوع إلى البحث القيم الذى وضعه أستاذنا الدكتور/

أبو الوفا التفتازانى بعنوان: ابن سبعين وفلسفته الصوفية (دار الكتاب اللبنانى).

(٣) راجع هذه القصة فى طبقات المناوى (مخطوط) وفى شذرات الذهب ٥/٤١٢ .

(٤) يقول الدكتور التفتازانى فى تعليقه على لقاء ابن سبعين بالتلمساني: لعل إعجاب ابن سبعين بالعفيف
التلمساني راجع إلى أنه كان مثله قائلا بمذهب الوحدة المطلقة، وقد أشار لذلك المناوى فى طبقاته
بقوله: «والعفيف من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة [الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية
ورقة ٣٤٧ ب] والمعروف أن ابن سبعين قائل أيضا بهذا المذهب [نفس المرجع . ورقة ٣٤٧] ولعل
التلمساني تأثر بابن سبعين فى هذا الشأن، وقد قرنهما ابن تيمية معا فى إحدى رسائله . مشيرا إلى
التشابه التام بين مذهبيهما . . ومن ثم كان التلمساني أقرب إلى ابن سبعين منه إلى ابن عربي فى
مذهب الوحدة (ابن سبعين وفلسفته الصوفية ص ٨١).

وفى مصر، طاب المقام للتملسانى حيناً من الدهر، فظل مقيماً عند صاحبه شمس الدين الأيكي - شيخ الشيوخ - حتى رزق بولده: شمس الدين محمد، المعروف بالشاب الظريف، المولود بالقاهرة فى عاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٦١ هجرية. . وما لبث أن رحل التلمسانى بأسرته إلى دمشق، ليتولى منصب الإشراف على تحصيل رسوم الخزانة .

فى دمشق، نال التلمسانى شهرة واسعة كواحد من أهل الطريق الصوفى، واعتقد الناس فى علمه وفضله وزهده . يقول ابن شاکر: وكان حسن العشرة كريم الأخلاق، له حرمة ووجاهة . . حضر الأسعد بن السديد النصرانى إلى دمشق بصحبة السلطان الملك المنصور، فقال له يوماً: «يا عفيف الدين، أريد منك أن تعمل لى أوراقاً بمصروف الخزانة وحاصلها» . . وطلبها منه مرة ومرة حتى قال له: «أراك كلما أطلب منك الأوراق تقول لى نعم، ولا تأتى بها» . . وأغلظ له فى القول! فغضب العفيف وقال له: «لن تقول هذا الكلام . . يا خنزير، ما هذا إلا لعجز المسلمين، ولو بصقوا عليك لأغرقوك» ثم شق ثيابه وقام يهيم بالدخول على السلطان، فقام الناس إلى الأسعد بن السديد وقالوا: «هذا ما هو كاتب، وهذا الشيخ عفيف الدين التلمسانى، وهو معروف بالجلالة والإكرام بين الناس، ومتى دخل إلى السلطان آذاك» فسألهم رده وقال له: يا مولانا، ما بقيت أطلب منك لا أوراقاً ولا غيرها^(١) .

وفى دمشق، نشأ الشاب الظريف^(٢)، وأنشد أشعاره التى طار ذكرها فى الآفاق، ونال من محبة الناس شيئاً كثيراً . . يقول القاضى شهاب الدين بن الفضل فى حقه^(٣):

(١) ابن شاکر: فوات الوفيات ٧٢/٢، ٧٣ .

(٢) انظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان (مخطوط) تاريخ الإسلام للذهبي، الوافى بالوفيات ١٢٩/٣ - فوات الوفيات ٣/٣٧٢ - النجوم الزاهرة ٧/٣٨١ - كشف الظنون ٣٦٧، ٧٩٤، ١٧٨٦ إيضاح المكنون ١/٤٨٦ - الأعلام ٧/٢١ - معجم المؤلفين ١٠/٥٣ .

Brockelmann 458-Aklwoardt 14-Deslan: Catalogue.. 559.

(٣) ابن شاکر: فوات الوفيات ٣/٣٧٢، ٣٧٣ .

«نسيمٌ سرى، ونعيمٌ جرى، وطيف لا أخف موقعا منه فى الكرى، لم يأت إلا بما خفَّ على القلوب. وبرئ من العيوب، رقق شعره فكاد أن يشرب، ودقَّ فلا غرو للقبض أن ترقص وللحمام أن يطرب، لزم طريقة دخل فيها بلا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع به الآذان، وكان لأهل عصره بشعره افتتان، وخاصة أهل دمشق، فإنه فى غمائم حياضهم ربى، وفى كمائم رياضهم حباً، حتى تدفق نهره وأينع زهره، وقد أدركت جماعة من خلطائه لا يروون له شعراً إلا وهم يعظمونه كالمشاعر... ولا يقدمون عليه سابقاً حتى ولا امرؤ القيس.

ومن رقيق أشعار الشاب الظريف^(١) قوله [من الكامل].

لَا تُخَفِّ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَشْوَاقُ

وَأَشْرَحَ هَوَاكَ فُكُنَّا عُشَّاقُ

فَعَسَى يُعِينُكَ مَنْ شَكَّوتَ لَهُ الْهَوَى

فِي حَمَلِهِ فَالْعَاشِقُونَ رِفَاقُ

لَا تَجْزَعَنَّ فَلَسْتُ أَوْلَّ مُنْغَرِّمُ

فَتَكَّتْ بِهِ الْوَجَنَاتُ وَالْأَحْدَاقُ

وَأَصْبِرْ عَلَى هَجْرِ الْحَبِيبِ فَرَبِّمَا

عَادَ الْوِصَالَ وَلِلْهَوَى أَخْلَاقُ

وقوله [من الطويل]

بِلاَ غَيْبَةِ اللَّبَدْرِ، وَجَهْكَ أَجْمَلُ

وَمَا أَنَا فِيمَا قُلْتَهُ مُتَجَمِّلُ

(١) بالإضافة إلى النسخ المخطوطة لديوان الشاب الظريف، توجد عدة طبعات للديوان منها: طبعة حجر بالقاهرة ١٢٧٤ هجرية (بنفقة لطف الله الزهار صاحب المكتبة الوطنية) طبعة بيروت ١٨٨٥ (تحرير سليم الأنسى، المطبعة الأدبية) طبعة بيروت ١٣١٠ هجرية (تحقيق شاكر هادى - المطبعة الأدبية) طبعة النجف ١٣٨٧ هجرية (مطبعة النجف).

وَلَا عَيْبَ عِنْدِي فِيكَ لَوْلَا صِيَانَةٌ
 لَدَيْكَ بِهَا كُلُّ امْرِئٍ يَتَّبِعُ
 لِحَاظَكَ أَسِيْفٌ ذُكُورٌ فَمَالَهَا
 كَمَا زَعَمُوا، مِثْلَ الْأَرَامِلِ تَغْرِلُ
 وَمَا بَالُ بُرْهَانَ الْعِذَارِ مُسَلَّمًا
 وَيَلْزَمُهُ دُورٌ وَفِيهِ تَسْلُسُلٌ (١)
 وَعَهْدِي أَنْ الشَّمْسُ بِالصَّحْوِ آذَنْتُ
 فَمَا بَالُ سُكْرِي مِنْ مُحَيَّاكَ يُقْبَلُ
 كَأَنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ نَوَاطِرِ
 تُسَهِّدُهَا وَجَدًّا وَقَلْبًا تُعَلِّلُ
 حَبِيْبِي لِيَهْنَ الْحُسْنُ أَنَّكَ حُزْنُهُ
 وَيَهْنَ فُؤَادِي أَنَّهُ لَكَ مَنَزَلُ

ويقول الشاب الظريف [من البسيط]:

لِلْعَاشِقِينَ بِأَحْكَامِ الْغَرَامِ رِضَا
 فَلَا تَكُنْ فِي الْهَوَى بِالْعَذْلِ مُعْتَرِضَا
 رُوحِي الْفِدَاءُ لِأَحْبَابِي وَإِنْ نَقَضُوا
 عَهْدَ الْوَفَى الَّذِي لِلْعَهْدِ مَانَقِضَا
 قِفْ وَأَسْتَمِعْ سِيرَةَ الصَّبِّ الَّذِي قَتَلُوا
 فَمَاتَ فِي حُبِّهِمْ لَمْ يَبْلُغِ الْغَرَضَا

(١) البرهان والدور والتسلسل من مصطلحات علم الكلام التي يضيّق المقام هنا عن شرحها . . راجع بصددها (كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي).

رَأَى فَحَبَّ فَرَامَ الْوَصْلَ فَاْمْتَنَعُوا

فَرَامَ صَبْرًا فَأَعْيَا نَيْلُهُ فَقَضَى

وفى دمشق، سنة ٦٨٨ هجرية. . توفي الشاب الظريف الذى ملأ حياة من حوله بهجة، ولم يكن قد بلغ من العمر غير سبعة وعشرين عاما، قضاها فى لهو الصبا وجهلة الفتوة. وقد رثا العفيف التلمسانى ولده فى أبيات ذكر فيها محمد شمس الدين (الشاب الظريف) وأخاله اسمه محمد أيضا، كان قد توفى قبل ذلك بقليل. . يقول العفيف [من المنسرح].

مَالِي (١) بِفَقْدِ الْمُحَمَّدَيْنِ يَدُ

مَضَى أَخَى ثُمَّ بَعْدَهُ الْوَلَدُ

يَا نَارَ قَلْبِي وَأَيْنَ قَلْبِي أَوْ

يَا كَيْدِي لَوْ يَكُونُ لِي كَيْدُ

يَابَائِعِ الْمَوْتِ مُشْتَرِيهِ أَنَا

فَالصَّبْرُ مَا لَا يُصَابُ وَالْجَلْدُ

أَيْنَ الْبَنَانِ الَّتِي إِذَا كَتَبَتْ

وَعَايِنَ النَّاسُ خَطَّهَا سَجَدُوا

أَيْنَ الشَّيَا الَّتِي إِذَا ابْتَسَمَتْ

أَوْ نَطَقَتْ لَاحَ لُؤْلُؤٍ نَضَّ

مَا فَاقَدْتِكَ الْإِخْوَانَ يَا وُلْدِي

وَأَتَمَّ مَا شَمَسَ أُسْبُهِمْ فَاقَدُوا

(١) حرصنا هنا على ذكر هذه الأبيات، لأنها لم ترد فى نسخ ديوان التلمسانى المخطوطة. . وقد نقلناها من ترجمات الشاب الظريف، خاصة: الوافى، فوات الوفيات!

مَحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ عَدَدًا

وَمَا لِمَا لَيْسَ يَنْتَهِي عَدَدٌ

ومن هذه المرثية :

مَاذَا عَلَى الْغَاسِلِينَ إِذْ قَرُبَ

الْأَمْسَاقُ مِنْهُ لَوْ أَنَّهُمْ بَعُدُوا

قَدْ حَمَلَتْ نَفْسُهُ الْعُلُومَ إِلَى

الْفِرْدَوْسِ وَالنَّعْشِ فَوْقَهُ الْجَسَدُ

أَبَكَيْتَ خَالَاتِكَ الضُّوْاحِكِ مِنْ

قَبْلُ وَمَا مِنْ صِفَاتِكَ النَّكَدُ

بِى كِبَرٍ مَسْنَى وَأُمِّكَ قَدْ

شَاخَتْ فَمِنْ أَيْنَ لِي يُرَى وَلَدُ

وَهَبَهُ قَدْ كَانَ لِي فَمِثْلُكَ لَا

يُرْجَى وَأَيْنَ الزَّمَانُ وَالْأَمَدُ

ومنها :

يَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ أَبَاكَ أَوْ

يَا لَيْتَ مَا كُنْتَ أَنْتَ لِي وَلَدُ

وعندما توفي الشاب الظريف، كان والده العفيف قد بلغ من العمر قرابة الثامنة والسبعين . . ويبدو أن العفيف التلمساني كان صادقا في قوله بالبيت الثالث من هذه المرثية، إنه يرحب بالموت بعد نفاذ صبره حزنا على ولده، فهو لم يتم بعدها عامين! فقد انتقل إلى جوار ربه في خامس رجب، سنة ٦٩٠ هجرية .

وكان التلمساني قد بلغ من العمر - بشهادة معاصريه - ثمانين سنة، ولذلك فقد عددنا تاريخ مولده (سنة ٦١٠ هجرية) هو التاريخ الصحيح . . وقد زاره الشيخ برهان الدين الكتبي في اليوم الذي مات فيه، وسأله عن حاله، فقال التلمساني: بخير، من عرف الله كيف يخافه؟ والله مذعرفته ما خفته . . وأنا فرحان ببقائه^(١).

* * *

موقف ابن تيمية

لا شك في أن وقائع حياة التلمساني، وأفكاره الصوفية التي عبّر عنها في ديوانه، يطرحان الملامح الرئيسية لشخصية الرجل وتصوفه . . لكننا أثرنا قبل تحديد هذه الملامح ومناقشتها، أن نتوقف عند الجبهة المعارضة للتلمساني؛ إذ تسهم هذه المعارضات بشكل ما، في التعرف الأتم على الاتجاه الصوفي عند عفيف الدين التلمساني.

وإذا كان الصوفية يترفقون بشاعرهم العفيف، فإن مدرسة ابن تيمية قد عصفت بالرجل وأفكاره . وكان ابن تيمية هو أشد الطاعنين في التلمساني، بل كان التلمساني أشد المطعونين من ابن تيمية على الإطلاق . . ولنترك لابن تيمية الحديث، فنراه يقول ما نصه:

«وأما الفاجر التلمساني، فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر! فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي، ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي^(١)، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه، وأن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوباً، فإذا انكشف حجاب رأى أن ما ثم غير يبين له الأمر، ولهذا كان يستحل جميع المحرمات، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم! وكان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما

(١) ابن العماد: شذرات الذهب ٤١٣/٥ .

(٢) يشير إلى: صدر الدين القونوي . . أستاذ التلمساني .

التوحيد في كلامنا! وكان يقول أنا ما أمسك شريعة واحدة! وإذا أحسن القول يقول: القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى! وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذى له. وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء، وشعره فى صناعة الشعر جيد، ولكنه كما قيل (لحم خنزير فى طبق صينى) وصنف للنصيرية عقيدة، وحقيقة أمرهم: أن الحق بمنزلة البحر، وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه. . . وأما ابن سبعين، فإنه فى البدو^(١) والإحاطة^(٢)، يقول أيضاً بوحدة الوجود وإنه ما ثم غير، وكذلك ابن الفارض فى آخر نظم السلوك^(٣)، لكن لم يصرح: هل يقول بمثل قول التلمسانى أو قول الرومى أو قول ابن عربى، وهو إلى كلام التلمسانى أقرب، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذى ما كفره أحد قط مثل التلمسانى^(٤).

وقد أوردنا نص ابن تيمية بتمامه، حتى يتيح ذلك استجلاء قدر الطعن الذى يوجهه ابن تيمية للتلمسانى. . . ولنا على النص بضع ملاحظات، لعلها تزيد الأمر وضوحاً:

أولاً: إن ابن تيمية اعتمد فى نقده للتلمسانى وتكفيره له، على بعض الروايات التى بحسب تعبيره: حكاها الثقات. . . فهل تكفى الحكايات لتكفير رجل من المسلمين؟ وأين استشهادات ابن تيمية بنصوص التلمسانى؟؛ فقد كانت عاداته أن يورد من نصوص مؤلفات المتهمين شيئاً يبرر حكمه عليهم، لكنه لم يفعل ذلك مع التلمسانى.

ثانياً: كان ابن تيمية معاصراً للتلمسانى، فقد ولد سنة ٦٦١ وتوفى ٧٢٨ هجرية. . . وقد تعلمنا أن نأخذ شهادات المعاصرين بالكثير من الحذر، لما تنطوى عليه أحياناً من ملاسبات قد تحجب الصواب عن أعينهم.

(١) يقصد كتاب ابن سبعين: بد العارف (حققه جورج كتورة، ونشرته دار الأندلس، دار الكندى - بيروت).

(٢) يقصد: كتاب الإحاطة الوجودية (حققه د/ عبد الرحمن بدوى، ونشر بمجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية - مدريد، المجلد الخامس ١٩٥٨ العدد ١/٢).

(٣) يقصد: تائبة ابن الفارض الكبرى.

(٤) ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل (طبعة دار الكتب العلمية - بيروت) الرسالة الأولى، المجلد الأول ص ١٨٤، ١٨٥.

ثالثا: جمع ابن تيمية كل صوفية عصره في سلة واحدة، وقذف بهم إلى قعر الجحيم. . . ولعل ذلك يرجع لاعتقاده الذي صرح به حين قال عقب هجومه عليهم «وكثيرا ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء، أكبر أسباب ظهور التتار واندراس شريعة الإسلام، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب الذي يزعم أنه هو الله^(١)» وهكذا كان فكر ابن تيمية مأزوما بهموم عصره. . . وإلا، فهاهم الذين هاجمهم تمر عليهم مئات السنين ولا يظهر الدجال الأعور الكذاب، وهاهم التتار ينحسرون من العالم الإسلامي في حياة التلمساني، ولم يكن التلمساني قد توفي بعد، حين أعلن (غازان) إسلامه، ولم يلبث أن دخل المغول الإسلام، ولم تلبث المدن الإسلامية التي تعرضت للخراب أن نهضت وانتعشت^(٢). فلا عبرة باعتبار ابن تيمية أن من هاجمهم كانوا سبب اندراس الإسلام.

أخيرا: انتهى ابن تيمية إلى نوع من الذوق الصوفى في أخريات حياته، وظهر ذلك في مؤلفاته المتأخرة. . . ولو كان عمره قد طال عدة سنوات. . . لكان قد أعاد النظر فيمن أخرجهم من دائرة الإسلام. ولعله كان سيتهى بصددهم إلى رأى آخر!

ولا نحب أن يتبادر إلى الأذهان أننا ندافع هنا عن التلمساني على حساب ابن تيمية، فلقد خدم الأخير الإسلام بجهوده وكتاباته بأكثر مما خدمه التلمساني بأشعاره التي مهما بلغت من روعة، فإنها تظل دوما: خطابا للخاصة من أهل المحبة.

والحقيقة، فإننا مع تسليمنا بمكانة العفيف التلمساني الشعرية، وعدنا إياه واحدا من أروع شعراء الصوفية، فإننا لا نميل إلى عدّه من شيوخ التصوف الكبار. . . فهو قد خاض من التجربة الصوفية ما يؤهله لاستشفاف المعانى الذوقية التي يعانها أهل الطريق الصوفى، لكن هذه التجربة لم تصل به إلى الذروة التي يمكن معها إدراجه

(١) ابن تيمية: المرجع السابع ص ١٨٦.

(٢) د/ السيد الباز العريبي: المغول (دار النهضة العربية - بيروت) مقدمة الكتاب. . . ويلاحظ في الملحق الثاني للكتاب (ص ٣٦٠ وما بعدها) أن رسالة إيلخان تكدار ملك المغول بفارس، إلى السلطان قلاوون، بخصوص إسلام الملك المغولى. . . مؤرخة بسنة ٦٨١ هجرية.

ضمن كبار أولياء التصوف، الذين يمكن أن يقتدى بهم المرید . . وذلك للأسباب التي سوف نذكرها في خاتمة هذا الديوان، حيث نتعرض لتقييم شعر التلمساني وتصوفه!

أما الآن، فلنستكمل حديثنا عن الرجل بذكر مؤلفاته:

مؤلفاته

يقول ابن شاکر في ترجمته للعفيف التلمساني « . . وله في كل علم تصنيف»^(١) وهي إشارة جزافية لا بد أن تؤخذ بالكثير من الحذر؛ إذ يتضح من البحث وراء مؤلفات التلمساني، أنه لم يكن على قدر من التنوع في التأليف كما قد يُفهم من عبارة ابن شاکر، بل تقتصر معظم مؤلفاته على مجال التصوف . . والأكثر من ذلك أن هذه المؤلفات كانت في أغلب الأحوال شروحا على نصوص صوفية كتبها كبار رجال التصوف السابقين على التلمساني .

ومن استعراض مؤلفات التلمساني يبدو أنه كان شغوفاً بهذه النصوص الصوفية ذات الطابع الرمزي، فقد عكف على العديد منها محاولاً تحديد المعاني المتوارية خلف الرمز الصوفي، ومُظهرًا تلك الحقائق كما يراها أهل الطريق الصوفي . فإذا كانت مؤلفات التلمساني الشارحة ذات قيمة تفسيرية كبيرة لآراء السابقين، فإنها أيضاً تعبر عن موقفه الخاص باعتباره واحداً من مشايخ أهل الطريق .

ولما كانت جميع مؤلفات التلمساني مخطوطة لم تطبع، فإن استعراضنا لها سوف يكون مديلاً بذكر النسخ الخطية لهذه المؤلفات التي لم تلق بعد العناية الكافية:

(١) ابن شاکر الكتبي: فوات الوفيات ٧٢/٢ .

(١) شرح منازل السائرين

يعتبر كتاب (منازل السائرين إلى الحق عز شأنه) من أقل الكتابات الصوفية حجماً، وأكثرها قيمة! فهو فى صفحاته التى لا تصل إلى الخمسين، يتناول معظم الموضوعات الصوفية خلال عرض مركز يعتمد على كثافة المصطلح الصوفى، ويتعمد إظهار الأصول الشرعية من القرآن الكريم بإيراد الآيات التى تنطلق منها المفاهيم الصوفية. وتنقسم المنازل إلى أقسام وأبواب على النحو التالى:

[١] قسم البداية: ويضم أبواب [التوبة - المحاسبة - الإنابة - التفكير - التذكر - الاعتصام - الفرار - الرياضة - السماع].

[٢] قسم الأبواب: ويضم [الحزن - الخوف - الإشفاق - الخشوع - الإخبات - الزهد - الورع - التبتل - الرجاء - الرغبة].

[٣] قسم المعاملات: ويضم [الرعاية - المراقبة - الحرمة - الإخلاص - التهذيب - الاستقامة - التوكل - الثقة - التسليم].

[٤] قسم الأخلاق: ويضم [الصبر - الرضا - الشكر - الحياء - الصدق - الإيثار - الخلق - التواضع - الفتوة - الانبساط].

[٥] قسم الأصول: ويضم [القصد - العزم - الإرادة - الأدب - اليقين - الأنس - الذكر - الفقر - الغنى - المراد].

[٦] قسم الأدوية: ويضم [الإحسان - العلم - الحكمة - البصيرة - الفراسة - التعظيم - الإلهام - السكينة - الطمأنينة - الهمة].

[٧] قسم الأحوال : ويضم [المحبة - الغيرة - الشوق - القلق - العطش - الوجد - الدهش - الهيمان - البرق - الذوق].

[٨] قسم الولايات : ويضم [اللحظ - الوقت - الصفاء - السرور - السر - النفس - الغربة - الغرق - الغيبة - التمكن].

[٩] قسم الحقائق : ويضم [المكاشفة - المشاهدة - المعاينة - الحياة - القبض - البسط - السكر - الصحو - الاتصال - الانفصال].

[١٠] قسم النهايات : ويضم [المعرفة - الفناء - البقاء - التحقيق - التليس - الوجود - التجريد - التفريد - الجمع والتوحيد].

وتنتهى هذه الموسوعة الصوفية المركزة بثلاثة أبيات شعرية [من السريع]. تقول :

مَا وَحَّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ
إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدٌ
تَوْحِيدٌ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَعْتِهِ
عِبَارَةٌ أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ
تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ
وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لِأَحَدٍ^(١)

ومؤلف منازل السائرين، شيخ الإسلام، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي . . المعروف بالهروي الأنصاري (٣٩٦ - ٤٨١ هجرية^(٢)) أثار بهذا الكتاب

(١) منازل السائرين (طبعة الحلبي ١٣٨٦ هـ) ص ٤٨.

(٢) بخصوص الهروي الأنصاري . ترجماته ومؤلفاته . يمكن الرجوع إلى : دمية القصر ٨٨٨/٢ - طبقات الحنابلة ٢٤٧/٢ - تذكرة الحفاظ ٢/٣٥٤ - المنتظم ٩/٤٤ - الكامل ١٠/١٦٨ - شذرات الذهب ٣/٣٦٥ - نفعات الأئمة ٢١٢ - دول الإسلام ٢/١٠ - سير أعلام النبلاء ١٨/٥٠٣ - العبر ٣/٢٩٧ - البداية والنهاية ١٢/١٣٥ - النجوم الزاهرة ٥/١٢٧ - طبقات المفسرين للسيوطي ٢٥ - طبقات المفسرين للداودي ١/٢٤٩ - طبقات المفسرين للأدقوي ٣٥ ب - تاريخ الخميس ٢/٣٦٠ - كشف الظنون ١/٥٦ ، ٤٢٠ ، ٨٢٨ ، ١٨٢٨/٢ ، ١٨٣٦ - إيضاح المكنون ١/٣١٠ ، ١١٨/٢ - هدية =

شجون العديد من الصوفية فتناولوه بالشرح ، كما أثار حفيظة غير الصوفية فوقفوا منه موقف الذى لا يخلو من النقد^(١) .

وكان من البدهى أن تظهر فى شرح التلمسانى على منازل السائرين ، تلك النزعة الصوفية العميقة التى نجدها عند تلامذة ابن عربى . ولعل مقارنة شرح التلمسانى للمنازل ، مع شرح ابن القيم (مدارج السالكين) توضح لنا هذه الفروق بين مدرستين للتصوف ، فمدرسة ابن عربى توغل فى أعماق المصطلح وباطن الرؤية الصوفية ، بينما تقف المدرسة التى ينتمى ابن القيم إليها عند ظاهر الشريعة وحدود اللفظ ودلالاته العامة . . ومن مخطوطات شرح التلمسانى :

- نسخة بمكتبة السليمانية باستانبول (قسم بنى جامع) برقم ٧٠٦ ، كتبت بتاريخ ٧٣٥ هـ ، تقع فى ٣٥٨ ورقة .

- نسخة بالسليمانية [قسم نفيس باشا] رقم ٤٢٤ تقع فى ٣٥١ ورقة .

- نسخة بمكتبة كوپرلى زاده باستانبول ، برقم ٧٨٥ ، وهى نسخة مقابلة ومصححة كتبت سنة ٧٢٤ هجرية^(٢) .

- نسخة ذكرها بروكلمان برقم S. U. S. 433^(٣) .

(٢) شرح المواقف

يمثل كتاب (المواقف) لأبى عبد الله محمد بن عبد الجبار النَّفَرى^(٤) ، نمطا خاصا من أنماط التعبير الصوفى ، يزيد فى غموضه وإبهامه عن (منازل السائرين) بمراحل

= العارفين ١/٤٥٢ ، ٤٥٣ - معجم المؤلفين ٦/١٣٣ -

Ethe: Crundriss der iran Philol 2,282- Ahlwardt 111,12- Brockelmann 1,773

Zhukowski: Wastacnia Zamietki 79 Ency. of Islam 11,318

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ، مجلد ١٨ ص ٥٠٩

(٢) انظر : فهرس مخطوطات مكتبة كوپرلى (إعداد: د. رمضان ششن ، جواد أيزكى ، جميل إقبكار - منشورات المركز الإسلامى باستانبول) .

(٣) Brockalman: Gieschte der Arabishen Letiratir (Suppl). Leiden 1937, 145816

(٤) لا تكاد المراجع تذكر عن النفري سوى بعض المعلومات عن وفاته (٣٥٤ هـ) وبلدته (النفر من أعمال =

عديدة، ويختلف عنه من حيث المضمون والغاية . . فإذا كانت المنازل تستعير المصطلح الصوفي لترسم حدود التجربة الروحية وآفاقها الرحبية، فإن المواقف تنفذ في أعماق المثول بين يدي الله بعد المرور بدرجات سلم الترقى الروحي المعروف بالأحوال والمقامات، فلا تستعير المصطلح الصوفي بدلالاته المعروفة . وإنما تنحت لغة خاصة بها، لغة ذات طابع سحرى لا نراه إلا في (المخاطبات) للنفري أيضا، وفي رسالة بعنوان (الغوئية) تتأرجح نسبتها بين الإمام الجيلاني ومحيى الدين بن عربي، كنا قد رجحنا نسبتها إلى الإمام الجيلاني^(١) . . وتشارك هذه النصوص الثلاثة (المواقف، المخاطبات، الغوئية) في أنها «خطاب فهوانى» يتنزل على مسامع قلب الصوفي بعد عروجه الروحي لأعتاب الحضرة الإلهية .

وتتألف (المواقف) من سبعة وسبعين موقفا، تبدأ بموقف «العز» الذى تقول الفقرة الأولى منه: أَوْقَفْنِي فِي الْعَزِّ وَقَالَ لِي: لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ مِنْ دُونِي شَيْءٌ، وَلَا يَصْلُحُ مِنْ دُونِي لَشَيْءٍ، وَأَنَا الْعَزِيزُ الَّذِي لَا تَسْتَطَاعُ مُجَاوِرَتَهُ وَلَا تَرَامُ مَدَاوِمَتَهُ، أَظْهَرْتُ وَأَنَا أَظْهَرُ مِنْهُ، فَمَا يَدْرِكُنِي قُرْبُهُ وَلَا يَهْتَدِي إِلَى وُجُودِهِ؛ وَأَخْفَيْتُ الْبَاطِنَ وَأَنَا أَخْفَى مِنْهُ فَمَا يَقُومُ عَلَيَّ دَلِيلُهُ وَلَا يَصِحُّ إِلَيَّ سَبِيلُهُ! (٢) .

وكان لا بد للتلمسنى، وهو الشغوف بغرائب المعانى ودقائق الإشارات، أن يتوق لشرح هذه المواقف التى حفظ لنا الزمان من شرحه عليها، هذه النسخ المخطوطة:

- نسخة بالسليمانية [قسم أسعد أفندى] برقم ١٩٣٦ تقع فى ٦٩٢ صفحة، كتبت بتاريخ ٧٤٣ هجرية .
- نسخة بالسليمانية [قسم شهيد على باشا] برقم ١٣٧٢ تقع فى ٢٠٠ ورقة، بدون تاريخ .

= (الكوفة) أما تفاصيل حياته فلا تزال غامضة . انظر: كشف الظنون ١٨٩١/٢ - الأعلام ٥٥/٧ معجم المؤلفين ١٠/١٢٥ . . . وأيضا:

Arbrry: Ency. of Islan, Art (NIFFARI) Btockelmann:Giesch 1,200

(١) الجيلانى: ديوان عبد القادر الجيلانى (تحقيق يوسف زيدان - مؤسسة أخبار اليوم) مقالة الغوئية .

(٢) النفري: المواقف والمخاطبات (تحقيق جون آربرى) موقف العز .

- نسخة بالسليمانية [قسم شهيد على باشا] برقم ١٤٣٣ تقع في ٣٤٩ ورقة .
- نسخة بمكتبة سليم أغا [قسم هود جاى] برقم ٤٨٧ تقع في ٤٣٨ صفحة .
- نسخة بمكتبة كوبريلى زاده، برقم ٧٤٤/٢ تقع في ٢٥٩ ورقة، كتبت بخط نسخى مشكول سنة ٦٩٥ هجرية .
- نسخة ذكرها بروكلمان برقم (S. O. S. 200'358) .
- نسخة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢١٥/ن ح (الكتبخانة الخديوية) .

(٣) شرح تائية ابن الفارض

تعدُّ تائية ابن الفارض الكبرى المعروفة باسم (نظم السلوك) واحدة من أشهر قصائد الشعر الصوفى، إن لم تكن أشهرها على الإطلاق . فبرغم شهرة ابن الفارض وديوانه الشعرى^(١)، فإن (التائية الكبرى) حظيت دوماً بشهرة خاصة، باعتبارها التصوير الأتم للتصوف . ليس عند ابن الفارض وحده، وإنما عند صوفية الحقبة التى عاش فيها هذا الشاعر الصوفى المصرى الكبير .

وتقع هذه القصيدة فى ٧٦١ بيتاً (من بحر الطويل) يقول البيت الأول منها:

سَقَنْتِي حُمَيَّا الْحُبِّ رَاحَةً مُقَلَّتِي

وَكَأْسِي مُحَيَّا مِّنْ عَنِ الْحُسْنِ جَلَّتِ^(٢)

ونظراً لعمق المعانى الصوفية التى أوردها ابن الفارض عبر أبيات التائية الكبرى، فقد أشفق بعض الشراح من الخوض فى بيان مقاصدها . يقول البورينى فى مقدمة شرحه لديوان ابن الفارض: «وقد استوفيت شرح كلامه واستوعبت نظام بيانه،

(١) دوغما إسهاب فى ذكر القائمة الطويلة من المراجع الخاصة بابن الفارض وديوانه الصوفى، يمكن الإشارة

إلى كتابين للدكتور/ محمد مصطفى حلمى، هما أفضل ما كُتِبَ فى ذلك:

- ابن الفارض سلطان العاشقين (الهيئة المصرية العامة - أعلام العرب) .

- ابن الفارض، والحب الإلهى (دار المعارف بمصر) .

(٢) ابن الفارض: الديوان تحقيق (د/ عبد الخالق محمود) ص ٨٣ .

ما عدا التائية الكبرى، فإنني أوضحت في عدم شرحها عذرا، لكونها في بيان الدقائق الصوفية وفي إيضاح الرقائق المعنوية^(١). وهذا الإشفاق نجده أيضا عند العلمي الذي شرح الديوان، وأحجم عن التائية^(٢).

لكن الكثيرين من المتصوفة تناولوا القصيدة بالشرح والتأويل، فإذا كان أهل اللغة يشفقون من ذلك، فإن أهل التصوف يجدون بين أبياتها مستراحا لأفكارهم ومتنفسا لأحوالهم. . ولذا حظيت القصيدة بهذه الشروح:

- شرح الكاساني الفرغاني، المتوفى ٦٦٩ هجرية. . بعنوان: منتهى المدارك.
- شرح عبد الرازق القاشاني، المتوفى ٧٣٠ هجرية. . بعنوان: كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر.
- شرح السراج الهندي، المتوفى ٧٧٣ هجرية.
- شرح شمس الدين البساطي المالكي.
- شرح جلال الدين القزويني الشافعي.
- شرح داود القيصرى، المتوفى ٧٥١ هجرية.
- شرح صدرالدين الأصفهاني، المتوفى ٨٣٦ هجرية.
- شرح ابن حجر العسقلاني، المتوفى ٨٥٢ هجرية.
- شرح علوان الحموى الهيتي، المتوفى ٩٢٢ هجرية. . بعنوان: مدد الفائض والكشف العارض.
- شرح عبد الرؤوف المناوى، المتوفى ١٠٢٢ هجرية.
- شرح أمير بادشاه، كتبه سنة ١٠٣٤ هجرية.
- شرح إسماعيل الأنقروى المولوى، المتوفى ١٠٤٢ هجرية^(٣).

(١) البوريني: مقدمة شرح الديوان ص ١٩.

(٢) انظر النابلسي: كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض ٤/١.

(٣) انظر: كشف الظنون ٨٦/٢- ابن الفارض والحب الإلهي ص ٩٤.

وإلى جانب هذه الشروح يأتي شرح عفيف الدين التلمساني، لتتنظم جميعاً في عقد واحد يعبر عن عناية الصوفية بهذه التائية الكبرى، كما يعبر عن المحاولة الدائبة لإظهار غوامض أفكار ابن الفارض وبيان المواطن العميقة المعنى في قصيدته . . ومن شرح العفيف التلمساني، نجد المخطوطات التالية :

- نسخة بالسليمانية (قسم شهيد على) برقم ١٢٧٥ .

- نسخة بدار الكتب المصرية (قسم طلعت) برقم ١٣٢٨ / تصوف .

- نسخة بدار الكتب المصرية (قسم حلیم) برقم ١ / فلسفة .

- نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ٢٤١٥ / و

- نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ١٦٨ / م .

- نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ٩٠١ / حكمة وفلسفة .

وأخيراً، فمن لطائف ما يروى من التائية الكبرى، ما ذكره سبط ابن الفارض في مقدمته للديوان حين يقول : إن شيخاً من معاصري ابن الفارض جاء يستأذنه في شرح القصيدة، فسأله ابن الفارض : في كم مجلد يقع شرحك؟ قال الشيخ : في مجلدين . . فابتسم ابن الفارض وقال : لو شئت لشرحت كل بيت في مجلدين^(١) .

(٤) شرح فصوص الحكم

يبدو أن العفيف التلمساني كان يتعقب كل الكتابات الصوفية الغامضة بالشرح والتأويل . . فيها هو يقف أمام واحد من أكثر كتابات الشيخ الأكبر (محيى الدين بن عربي المتوفى ٦٣٨) ^(٢) تعقيداً وإيغالاً في الرمزية، فيتناوله بالشرح والتأويل .

(١) سبط ابن الفارض : دياجة الديوان (تحقيق د/ عبد الخالق محمود) ص ٢٧ .

(٢) انظر ترجماته في : الذيل على الروضتين ١٧٠ - نفخ الطيب ٧/٩٠ ، ١٦١ - الوافي ٤/١٧٣ - البداية والنهاية ١٣/١٥٦ - فوات الوفيات ٢/٢٤١ - لسان الميزان ٥/٣١١ - النجوم الزاهرة ٦/٣٣٩ - مرآة الجنان ٤/١٠٠ - ميزان الاعتدال ٣/١٠٨ - شذرات الذهب ٥/١٩٠ - طبقات المفسرين للسيوطي ٣٨ - كشف الظنون (عدة مواضع تبدأ من ص ١٤ إلى ص ٢٠١٢) - إيضاح المكنون (عدة مواضع =

- نسخة بمكتبة بايزيد (قسم ولى الدين) برقم ١٧٥١ ، تقع فى ٢٨٨ ورقة ، كتبت بتاريخ ٩٠٥ هجرية .

- نسخة بالسليمانية (قسم حاجى محمد) برقم ٢٦٥٤ ، عدد صفحاتها ٢٩٦ .

- نسخة بمكتبة سليم أغا ، برقم ٥١١ ، عدد صفحاتها ٣٤٠ .

- نسخة بدار الكتب المصرية ، برقم ٣٩٠ / ن ح (الكتبخانة الخديوية) .

(٥) شرح القصيدة العينية

وهو شرح على قصيدة الشيخ الرئيس أبى على (ابن سينا)^(١) التى تتناول موضوع النفس الإنسانية تناولاً صوفياً قريب الصلة بمذهب أفلاطون وفلاسفة الإسكندرية . وتقع عينية ابن سينا فى عشرين بيتاً (من بحر الكامل) يقول مطلعها :

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ

وَرَقَاءُ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعٍ^(٢)

وكما هو الحال فى المؤلفات الأربعة السابقة ، حظيت القصيدة العينية باهتمام الشراح ، حتى إن شروحيها لا تكاد تقع تحت الحصر! ففى دار الكتب المصرية وحدها عشرات المخطوطات من الشروح المختلفة لهذه القصيدة^(٣) .

وقد جعل العفيف التلمسانى لشرحه على القصيدة عنوان (الكشف والبيان فى معرفة علم الإنسان) وهو العنوان الذى أربك بعض المفهرسين - كالبغدادى^(٤) - فذكروا (الكشف والبيان) و(شرح القصيدة العينية) وكأنهما مؤلفان مستقلان . ومن مخطوطات الكتاب :

(١) بخصوص ابن سينا يمكن الرجوع إلى : الكتاب الذهبى للمهرجان الألفى لابن سينا ، تصدير د/ أحمد أمين - ترجمة ابن سينا لتلميذه ابن زيلة . طبعة حجر (حيدرآباد - الهند) .

(٢) ابن سينا : الديوان (تحقيق د/ حسين محفوظ - طهران) ص ١٩ .

(٣) من شراح العينية : محبى الدين بن عربى - الشاهرودى البسطامى - عبد الرؤوف المناوى - مصطفى بن حسام الدين . . وغيرهم الكثير .

(٤) البغدادى : هدية العارفين ١/ ٤٠٠ .

- نسختان ذكرهما بروكلمان برقمى 35' 455' .S.S

- نسخة بالظاهرية، برقم ٦٦٤٨ عام، عنوانها (كتاب الكشف والبيان فى علم معرفة الإنسان، شرح عينية ابن سينا) وهى مجهولة المؤلف!

- نسخة بدارالكتب المصرية برقم ٢٤١٥، وعنوانها (كتاب الكشف والبيان . .) يليها (الدر النفيس فى شرح قصيدة الشيخ الرئيس) وقد نسبتها الفهارس إلى الشيخ على الشاه رودى .

(٦) شرح الأسماء الحسنى

اعتاد كبار المتصوفة وضع الشروح على الأسماء الحسنى، التى ورد فى شأنها قوله صلى الله عليه وسلم (لله تعالى تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة)^(١) ومن البدهى أن شروح المتصوفة لهذه الأسماء الإلهية تختلف عن شروح غيرهم، فهم - خاصة المتأخرين منهم - مولعون بتناول آثار تجليات هذه الأسماء فى الكون، على النحو الذى يعطيه مشهد الوحدة . . حيث لا موجود سوى الله، وحيث كل الكون آثار لتجليات أسمائه وصفاته تعالى .

وعلى الرغم من ورود (شرح أسماء الله الحسنى) كواحد من مؤلفات التلمسانى عند معظم المترجمين والمفهرسين له^(٢)، إلا أننا لم نجد غير نسخة خطية وحيدة من هذا الكتاب، محفوظة بالسليمانية (قسم لالولى) تحت رقم ١٥٥٦، وهى نسخة كتبت بتاريخ ٧٩٤ هجرية: تقع فى ٢٥٤ ورقة .

(٧) رسالة فى علم العروض

ليس من المستغرب أن يكتب التلمسانى، وهو الشاعر الكبير، هذه الرسالة فى

(١) أخرجه البخارى فى التوحيد ١٢ وشروط الإيمان ١٨ - والترمذى فى الدعوات ٨٣ - وابن حنبل فى المسند ٢/٢٥٨، ٢٦٧، ٣١٤، ٤٢٧، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥١٦ .

(٢) انظر: هدية العارفين ١/٤٠٠ - الأعلام ٣/١٩٣ - معجم المؤلفين ٤/٢٧٠ - كشف الظنون ٨٠٢ - إيضاح المكنون ٢/٢٣٢ - تاريخ الأدب العربى د/ عمر فروخ ٣/٦٥٦ .

علم العروض . . . لكن الغريب أن كرنكوف فى مقالته على التلمسانى بدائرة المعارف الإسلامية، يقول إنها: الأثر الوحيد الباقى من مؤلفات التلمسانى^(١).

وقد أشار كرنكوف إلى نسخة مخطوطة من هذه الرسالة العروضية، محفوظة ببرلين تحت رقم ٧١٢٨.

* * *

ويذكر بروكلمان للتلمسانى مؤلفا بعنوان (المقامات) مشيرا إلى نسختين مخطوطتين منه بالموصل - تحت رقمى ١٣٦، ٢٣٦ - وهما على الأرجح نسختان من شرح التلمسانى على مواقف النفرى.

وفى دار الكتب المصرية، مخطوطة محفوظة تحت رقم ٥١١ شعر/ طلعت، وهى عبارة عن شرح لقصيدة البردة - ناقص من أوله - مكتوب عليها أنها لابن العفيف التلمسانى . . . وهى نسبة تدور حولها شكوك كثيرة؛ إذ إن مؤلف البردة (محمد بن سعيد الصنهاجى الدلاصى، المعروف بالبوصيرى)^(٣) توفى على أرجح التواريخ، سنة ٦٩٤ هجرية، أى بعد وفاة التلمسانى بسنوات قليلة، ولا نعتقد أن شهرة البوصيرى السكندري كانت آنذاك قد وصلت إلى التلمسانى نزىل دمشق، ولم تكن قصيدته (من البسيط) التى يقول مطلعها:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِرَّانِ بَدَى سَلَمِ

مَرَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةِ بَدَمِ

نقول، لم تكن هذه القصيدة قد بلغت من الشهرة آنذاك ما يؤهلها لشرح

(١) كرنكوف: مادة التلمسانى بدائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) ٤٦٣/٥.

(٢) Brockelmann 4583.

(٣) انظر ترجمة البوصيرى فى الوافى ٣/١٠٥ - شذرات الذهب ٤٣٢/٥ - كشف الظنون ١٣٣١،

١٣٤٩ - هدية العارفين ٢/١٣٨ - معجم المؤلفين ١٠/٢٨ - مادة (بوصيرى) بدائرة المعارف

الإسلامية - Brockl ... 472.

كما يمكن الرجوع إلى بحث الأستاذ عبد العليم القبانى: الإمام البوصيرى (الإسكندرية ١٩٦٥ م).

التلمساني، خاصة أنها لا تتميز بتلك الخصائص التي نجدها في الأعمال التي شرحها التلمساني. . أعنى، لا تتميز بالغموض! وبالإضافة لذلك، فإننا لا نجد واحدا من المفهرسين والمترجمين للتلمساني يذكر له هذا الشرح على البردة.

وبعد. . فإن للعفيف التلمساني، بالإضافة إلى ما ذكرناه من مؤلفات، ديوانه الشعري.

الديوان

يعتبر ديوان التلمساني هو أكثر أعماله تعبيرا عن شخصيته، وآفاق تصوفه. فإذا كانت سائر مؤلفات التلمساني - باستثناء رسالته في العروض - هي شروح على ما كتبه السابقون عليه، فإن هذا الديوان هو المؤلف المستقل الذي لم يتقيد فيه العفيف بعبارة غيره، بل انطلق بحسه الشعري المرهف، ليعبر عما يراه هو من حقائق المحبة، وغيرها من ملامح الطريق الصوفي.

والديوان هو أشهر مؤلفات التلمساني على الإطلاق، ولا توجد شكوك في نسبته له؛ إذ ذكره معظم المترجمين والمفهرسين للتلمساني⁽¹⁾، واقتبس منه المؤرخون أبياتا كثيرة، نالت شهرة واسعة في حياة التلمساني وبعد وفاته. . وإن تضاربت حول جودتها الآراء!

(1) هناك ترجمات للتلمساني، وإشارات لديوانه، بالمصادر الآتية:

البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٣٢٦ - تاريخ الإسلام للذهبي (المجلد الأخير) - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٨/٢٩ - المنهل الصافي لابن تغرى بردى (المجلد السادس) - فوات الوفيات ١/١٧٨ - مرآة الجنان للذهبي ٤/٢١٦ - أعيان الشيعة للعاملى ٣٥/٣٦٠ - النهر الماد من البحر لأبى حيان الأندلسى ٣/٤٤٨ - العبر فى خبر من غير للذهبي ٥/٣٦٧ - نفحات الأنس لعبد الرحمن جامى ص ٦٦٧ - آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ٣/١٣٠ - الأعلام للزركلى ٣/١٩٣ - هدية العارفين للبيهدادى ١/٤٠٠ - إيضاح المكنون للبيهدادى ٢/٤٣٢ - كشف الظنون لحاجى خليفة ٢٢٦، ٨٠٢، ١٠٣٤، ١٨٢٩، ١٨٩١ - معجم المؤلفين لعمر كحالة ٤/٢٧٠ - تاريخ الأدب العربى لعمر فروخ ٣/٦٥٦ - Ahlwardt 42 - مقدمة ابن خلدون ص ٣٩٤ - تاريخ ابن خلدون ٢/٤١٦ - مجموعة الرسائل لابن تيمية ١/٦٧ - الفلاكة والمفلوكون (مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٣٤ أدب/ تيمور، ص ٧٢) الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية (مخطوط دار الكتب رقم ٢٦٠/ تاريخ ورقة ٢٣١ب).

Balencia: History dela Litterture Arabiga294 Brockelmann458

ومن الآراء المتضاربة حول شعر التلمساني، قول الدكتور عمر فروخ: أما شعره فسهل ينوء أحيانا بالضعف^(١). . في حين يقول ابن العماد: وأما شعره ففي الذروة العليا من البلاغة^(٢). . ويقول ابن شاکر: وشعره جيد إلى الغاية^(٣). . وهو ما نجده أيضا عن ابن تغرى بردى حين يصف التلمساني بأنه: من الشعراء المجيدين^(٤). . عموما، فإن إصدار الحكم على جودة الشعر غالبا ما يخضع لمعايير مختلفة، وذلك - كما يقول الأمدى^(٥) - لاختلاف أذواق الناس وقدر قبولهم لشاعر دون آخر. . لذا، فإن قيمة شعر التلمساني لن تظهر لنا، إلا بعد مطالعة ديوانه؛ وبعد تحديد موقع هذه المطالعة من أذواقنا.

وديوان التلمساني - في معظمه - يدور حول تلك الأفكار الصوفية التي ظهرت عند ابن عربي وابن سبعين، وأتباعهما. . وقد كانت لنا وقفات هامشية كثيرة في تحقيق الديوان، لإيضاح مراد التلمساني من هذه الدقائق الصوفية التي قد يغيب مفهومها عن القارئ البعيد عن ميدان التصوف. لكننا هنا نود الوقوف عند أهم فكرتين في الديوان، إذ أوقف العفيف التلمساني أغلب أشعاره على تصويرهما. . وهما: الوحدة، المحبة.

الوحدة

تكررت إشارات التلمساني إلى فكرة الوحدة بمفهومها الصوفي. . وهذه الفكرة تقول - ببساطة شديدة - إنه لا موجود على الحقيقة إلا الله تعالى، وإنه إذا قرن وجود المخلوقات بالوجود الإلهي، تلاشى الوجود الخلقى تماما، ولم يبق إلا: الله فقط. . والصوفية يستندون في قولهم بهذه الوحدة الإلهية، التي تتلاشى معها كل مظاهر الوجود، إلى أمرين. . الأول: تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم مثل:

(١) د/ عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي (دار العلم للملايين - بيروت) ٣/ ٦٥٦.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (دار المسيرة - بيروت) ٥/ ٤١٢.

(٣) ابن شاکر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق د/ إحسان عباس (دار الثقافة - بيروت) ٢/ ٧٦.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/ ٣٠.

(٥) الأمدى: الموازنة بين أبي تمام والبحترى (بيروت) المجلد الأول ص ٦.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣) . . . ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥) . . . ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأحقاف: ٣) والأمر الثاني: شهودهم فى لحظات الفناء أنه لا موجود إلا الله، وما سواه لا يمكن أن يقال له (موجود) إلا على سبيل المجاز.

ومعارضو الصوفية يطلقون على هذه الفكرة اسم (وحدة الوجود) ويعدونها ضربا من الشرك بالله، إذ لا تفرقة - كما يقول ابن تيمية - بين الوجود والثبوت، والإطلاق والتعيين^(١) . . . وهذا يعد عندهم: قولاً بحلول الله فى الموجودات، وتأليه المخلوقات.

أما مؤيدو الصوفية، فيعتبرون ذلك (وحدة شهود) وأنه حال مؤقت لصفوة أهل الفناء فى الله، وذلك - كما يقول عبد الكريم الجيلى - نوع من معرفة تجليات الحق تعالى، وظهور أسمائه وصفاته فى الكون، فيرجع إليه الوجود المنسوب إلى المخلوق، والوجود المنسوب إليه، فيكون له تعالى: الوجود جميعه . . . وهذا حقيقة التوحيد^(٢).

وعلى الرغم من أننا قد سبق أن أفردنا لموضوع (الوحدة) عدة أبواب وفصول فى مؤلفات أخرى^(٣): إلا أننا نرى الجدال بين الصوفية والفقهاء بصدد هذا لا طائل تحته، فكل فريق منهما لديه من الحجج ما يكفى لاتهم الفريق الآخر إما بالكفر وإما بقصر النظر - وكل فريق يدعم موقفه بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة . . . وكل فريق بما لديهم فرحون! وعلى الحقيقة، فإن كانت (الوحدة) مشهدا ذوقيا موقوفا على الخاصة من أهل الله - كما يقول الصوفية - فقد كان الواجب على أهل التصوف أن يحجموا عن تفصيل القول فى هذا المشهد الذوقى، باعتباره كشفا غير مشاع . . . وهذا ما لم يفعله التلمسانى فى ديوانه!

(١) ابن تيمية: رسالة فى إبطال وحدة الوجود (مجموعة الرسائل والمسائل، المجلد الأول) ص ٨١.

(٢) عبد الكريم الجيلى: حقيقة الحقائق (دار الرسالة - القاهرة) ص ٥.

انظر: يوسف زيدان: الفكر الصوفى (دار النهضة العربية - بيروت) الباب الثالث ص ١٥٥ : ٢١٧.

(٣) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية (الهيئة المصرية العامة - أعلام العرب) الفصل السابع ص ١٤١ : ١٦٤.

المحبة عند الصوفية، هي العلاقة الكبرى في الطريق إلى الله . وهي في مفهومها الصوفى : تفرغ القلب من التعلق بشيء سوى محبة الخالق عز وجل ، والقيام بواجب محبته من عبادة وزهد وتقرب بفضائل الأعمال ، والشوق إلى لقاء الله والوحشة من الدنيا .

ولا يختلف الصوفية والفقهاء حول وجوب محبة العبد لربه وحب الله لعباده ، فقد وردت في ذلك عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية . لكن الصوفية حلقوا بأجنحة المحبة في سماء الشوق إلى الله ، حتى كانت أحوالهم في مجملها : آيات حب بليغة .

ولا يكاد تراث واحد من الصوفية يخلو من حديث المحبة ، سواء كان ذلك نثرا أو شعرا ، ولم تكن أبيات التلمساني الكثيرة في المحبة خروجاً على الإجماع الصوفى . . وإن كان في أبيات المحبة عند التلمساني إشكال كبير .

وعلى الرغم من أن أشعار التلمساني تكتسى بطابع الرمزية الذى يتميز به الشعر الصوفى ، حيث نجد (ليلى ، لبنى ، سلمى . . وغيرهن) هن محض إشارات إلى جمال الذات الإلهية ، ومحض رموز يعبر بها الشاعر الصوفى عن استهلاكه فى محبة الله . . إلا أن الإشكال يكمن عند التلمساني فى بضعة أبيات - قليلة جداً - لا يمكن حملها على جانب الرمز والإشارة الصوفية . يقول التلمساني (من الطويل) :

كَأَنَّ عِذَارَ مَنْ أَحَبُّ بِخَدِّهِ
رِضَاهُ، وَفِيهِ بَعْضُ أَثَارِ صَدِّهِ
رَشِيقُ التَّنْثِي رَاشِقُ الْجَفْنِ فَاتَاكَ
جُيُوشُ الْهَوَى مِنْ تَحْتِ رَايَةِ قَصْدِهِ
يُكَلِّفُ رِدْفَيْهِ مِنَ الثُّقَلِ مِثْلَ مَا
يُكَلِّفُ مِنْ ثِقَلِ الْهَوَى قَلْبَ عَبْدِهِ
يُمُوجُ غَدِيرٌ تَحْتَ غُصْنِ قَوَامِهِ
وَتُعْبَبَانِ ذَلِكَ الشَّعْرَ ظَامٍ لَوْرَدِهِ

إن هذه الأبيات الأربعة، من مقطوعة شعرية بديوان التلمساني عددها خمسة عشر بيتا، فهل يمكن بحال أن تتأولها على المحبة بالمعنى الصوفي، مع هذه الحسية الواضحة في التصوير، خاصة هذا الحديث عن ثقل الأرداف!

وهنا إشكالٌ مماثلٌ لذلك، تعرّض الدكتور محمد مصطفى حلمي، أثناء دراسته للحب الإلهي عند ابن الفارض، فقد وجد ابن الفارض يقول في أبيات شبيهة بأبيات التلمساني (دوبيت)^(١).

أَهْوَاهُ مُهْفَهْفًا نَقِيلَ الرَّدْفِ
كَالْبَدْرِ يَجَلُّ حُسْنُهُ عَن وَصْفِ
مَا أَحْسَنَ وَأَوْ صَدَّغَهُ حِينَ بَدَتْ
يَارَبِّ عَاسَى تَكُونُ وَأَوَّ الْعَطْفِ^(٢)

وعبثا يحاول عبد الغنى النابلسي، المتوفى ١١٤٣ هجرية، أن يتأول البيتين في شرحه المتعسف لهما، قائلا: إن «مهفهفا» تشير إلى «صورة التجلي الإلهي من حيث الأسماء الجمالية في حقيقة الروح الأعظم» وإن «ثقل الردف» تشير إلى «جميع العوالم المكتوبة بالقلم الأعلى في اللوح المحفوظ الذي هو نفس العلم بالنور المحمدي».

وإذا كنا نتفق مع الدكتور حلمي في تحفظه على شرح النابلسي^(٣).. فإننا نتفق معه أيضا في تفسير هذه الأبيات الحسية عند ابن الفارض - وعند عفيف الدين التلمساني من بعده - على النحو التالي.

(١) الدوبيت من فنون الشعر المعربة، نقل من الفارسية إلى العربية. ولفظ (دوبيت) معناه (بيتان) فلا يقال منه إلا بيتان بيتان في أى معنى يريده الناظم.. انظر (ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، للهاشمي - المطبعة التجارية بمصر - ص ١٤٥ . ١٤٦).

(٢) ابن الفارض: الديوان، تحقيق د/ عبد الخالق محمود (دار المعارف ١٩٨٤) ص ٢١٥.

(٣) بخصوص شرح النابلسي وتعليق د/ محمد مصطفى حلمي، انظر: النابلسي: شرح ديوان ابن الفارض ١٩٠/٢.

د/ محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي ص ١٥٤.

ليس هناك ما يمنع أن يكون الشاعر، قبل دخوله للطريق الصوفى، قد أحب حبا إنسانيا عبّر عنه فى هذه الأبيات التى تحمل الطابع الحسى الفج، ثم انصرف الشاعر عن هذا الحب الزائل إلى المحبة الدائمة لله تعالى. . ولما جُمع شعره فى ديوان، ضُمت إليه هذه الأبيات التى أنشدها فى محبوبة إنسانية ذات أرداف! وإلا فإن هذى الصفات لا يمكن بوجه من الوجوه أن تشير إلى الذات الإلهية، مهما كان قدر الرمزية عند الشاعر الصوفى .

وأرانى ميّالاً إلى تأكيد أن الحب الإنسانى الذى عبرت عنه أبيات ابن الفارض والتلمسانى الحسية، كان سابقاً على دخولهما غمار التجربة الصوفية وإنشادهما شعر المحبة الإلهية، لأن المفترض فى المحبة الإلهية عند الصوفية أنها: لا تترك فى قلب المحب بقية حب سواه عز وجل!

* * *

تلك هى أهم النقاط التى أردنا الوقوف عندها، قبل الولوج إلى أبيات العفيف التلمسانى التى نقدمها اليوم فى هذه الطبعة المحققة للديوان .

منهج تحقيق الديوان

نشير فيما يلي ، إلى أهم خطوات منهج التحقيق النقدي ، المتبع في إخراج هذا الديوان :

الأصول المخطوطة

كانت الخطوة الأولى في رحلة تحقيق الديوان ، متمثلة في البحث عن أكبر قدر من الأصول المخطوطة ، لحصرها ومعرفة مواطن حفظها ، ثم اختيار بعضها للاعتماد عليه في التحقيق . وقد لاحظنا أن تلك الأصول المخطوطة كانت في معظمها [مجموعات شعرية] أكثر منها [مخطوطات ديوان] فقد انفردت نسخ منها بأشعار لم ترد في غيرها ، وبدأت معظمها بديابات مختلفة عن غيرها ، واختلف كم القوائد بين مخطوطة وأخرى . وذلك كله يدل على أن ديوان التلمساني قد جمع بعد وفاته . . وقد انتهى بحثنا إلى معرفة هذه الأصول المخطوطة :

- نسخة بمكتبة أصفية [برقم ٧٠٠ / ١] وهى النسخة التى أشار إليها بروكلمان^(١) .

- نسخة بالسليمانية ، قسم أسعد أفندى [برقم ٣٩٤٣ / أدب صوفى] وتقع فى ١٨٨ ورقة .

- نسخة بالسليمانية ، قسم أسعد أفندى [برقم ٢٧٥٧ / أدب صوفى] تقع فى ١٥٤ ورقة .

- نسخة بالسليمانية ، قسم لالولى [برقم ١٧٥٥ / أدب صوفى] تقع فى ١٩٠ ورقة .

(1)Brockelmann: Giesheichte der Arabischen Litterur, LiedenII. 458= 16

- نسخة بالسليمانية، قسم آيا صوفيا [برقم ٣٩٤٣ / أدب صوفى] كتبت فى عهد السلطان محمود خان، تقع فى ١٨٩ ورقة.

- نسخة بالسليمانية، قسم خسرف باشا [برقم ١١٤٦] تقع فى ٢٠٠ ورقة.

- نسخة بمكتبة كوپرلى زاده [برقم ٩ / ١٦٢٠] وهى مجموعة من منتخبات شعرية أولها:

مَادُون رَامَةَ لِلْمُحِبِّ مَرَامُ

سِيمَا إِذَا لَاحَتْ لَهُ الْأَعْلَامُ

- نسخة بمكتبة آية الله الحكيم، النجف [برقم ٣٦٥] تقع فى ١٠٠ ورقة (١) أولها:

مَنَعَتْهَا الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ

أَنْ تُرَى دُونَ بُرْقُعِ أَسْمَاءُ

- نسخة بالظاهرية، دمشق [برقم ٤١٦٨ / شعر] كتبها محمد صادق بن أمين المالح سنة ١٣٢٧ هجرية أولها:

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُرَوَى قُلَيْبَ مُتَّيِّمٍ

تَفِيضُ مَا قَى جَفْنِهِ وَهُوَ يَظْمَأُ

- نسخة بالظاهرية [برقم ٥٩١٧ / شعر] كتبت سنة ٩٩٨ هجرية أولها:

مَنَعَتْهَا الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ

أَنْ تُرَى دُونَ بُرْقُعِ أَسْمَاءُ

- نسخة بالظاهرية [برقم ٥٩٨٢ / شعر] بدون تاريخ، أولها:

نَفُوسٌ نَفَيْسَاتٌ إِلَى الْحَى حَنَّتْ

فَلَمَّا سَقَاهَا الْحُبُّ بِالْكَاسِ غَنَّتْ

(١) توجد من هذه المخطوطة صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

- نسخة بالظاهرية [برقم ٨٠٩٧/ شعر] بدون تاريخ، أولها:

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ الْمُصَدِّقُ

وَعَنْ عِلْمِ [الغَيْبِ] الْإِلَهِيِّ يَنْطِقُ

- نسخة بالمعهد الأحمدي، طنطا [برقم ١٠٦٤/ تصوف] كتبت بتاريخ ١٣١٧هـ، أولها:

مَنْعَتَهَا الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ

أَنْ تُرَى دُونَ بُرُوعِ أَسْمَاءِ

- نسخة بالاسكوريال، إسبانيا [برقم ٣٨٥].

- نسخة بدار الكتب المصرية [برقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور].

- نسخة بدار الكتب المصرية [برقم ١١٤٧ شعر/ تيمور].

- وكانت هذه النسخ الثلاث الأخيرة، هي نسخ التحقيق التي اعتمدنا عليها لاستخراج النص المحقق.

وصف نسخ التحقيق

لا تنتمي الأصول الثلاثة التي اعتمدنا عليها إلى أصل واحد، ولم تنسخ إحداها من الأخرى. . . وقد بدأت مخطوطتان منها بترتيب القوافي ترتيباً هجائياً من الهمزة إلى الياء، وبدأت الثالثة بداية مختلفة ورتبت القوافي على غير النسق الوارد في المخطوطتين السابقتين. وفيما يلي وصف النسخ:

نسخة أ

هي مخطوطة الاسكوريال رقم ٣٨٥/ أدب عربي، نسخة بقلم معتاد تقع في ١٣٦ ورقة [الورقة صفحتان] مقاس الصفحة ٥، ١٤ × ٢٠ سم، بكل صفحة ما يقرب من عشرة أسطر شعرية^(١).

(١) توجد من هذه المخطوطة صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

وعلى الورقة الأولى عنوان الديوان، وتملكات بها آثار شطب وطمس [انظر الصورة فيما يلي] وعلى الورقة الأخيرة: تم الديوان المبارك بمنّ الله وحسن توفيقه. . . نهار السبت خامس وعشرين من شهر جمادى الأولى أحد شهور سنة ٨٤٩هـ.

وهذه النسخة أفضل النسخ الثلاث من حيث وضوح الخط ودقة النسخ، ويبدو أن الناسخ كان على علم بقواعد العروض، لأنه كان يضع عند الأبيات التي يراها مكسورة الوزن، علامة + . . . وقد تعمد الناسخ تغيير بعض الكلمات ليضبط الأوزان بحسب اجتهاده! وقد عنى الناسخ بشكل كلمات الصفحة الأولى، ثم أهمل ذلك فى بقية الصفحات، وكان أحيانا يهمل نقط الحروف .

نسخة ب

وهى مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور، نسخة لا بأس بها، بها خروم فى بعض المواضع، تقع فى ٥٠ صفحة مقاس ١٧,٥ × ٢٣ سم، مزدحمة الأسطر، تحوى الصفحة الواحدة ثلاثين بيتا شعريا فى المتوسط العام.

وعلى الورقة الأولى، كُتِبَ العنوان بخط باهت غير مقروء، وتحتته ختم دار الكتب المصرية، وتملك مؤرخ بسنة ١٣١٥. وعلى الصفحة الأخيرة اسم الناسخ [عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى البخارى] وتاريخ النسخ [يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة ١١٤٤ هجرية].

وناسخ المخطوطة أمين فى نقله، حريص على شكل الكلمات - أحيانا كثيرة نجد الشكل غير صحيح - دقيق المراجعة. . . وقد استبعد هذا الناسخ العديد من الأبيات التى بدت له غير واضحة المعنى!

نسخة ج

وهى مخطوطة دار الكتب المصرية ١١٤٧ شعر/ تيمور، نسخة بقلم معتاد، واضحة، غير مشكولة، مقروءة فى معظم المواضع. تقع فى ١١٩ صفحة مقاس ١٤ × ٢٣ سم، بالصفحة الواحدة ١٦ سطرا تقريبا.

وعلى الورقة الأولى عنوان الديوان، ثم يبدأ الناسخ فى الورقة الثانية بالبسملة ومن بعدها: «قال الشيخ العلامة العارف بالله المحقق عفيف الدين سليمان بن على التلمسانى رضى الله عنه ونفع به وجعلنا من أهل قربه بمحمد وحزبه» وهى ديباجة تشير إلى أن الناسخ من أهل التصوف .

وتحمل الصفحة الأخيرة اسم الناسخ [عبد الباقي الجزائرى الحسنى] وهو بحسب ما تذكر فهارس دار الكتب : صهر الأمير عبد القادر الجزائرى . . وقد ذكر الناسخ تاريخ النسخ : أواسط جمادى الأولى سنة ١٣٠٩ هجرية، وبذلك تكون النسخ الثلاث قد كتبت فى شهر جمادى الأولى .

وإذا كانت هذه النسخة هى أحدث النسخ الثلاث زمننا، فهى أيضا أقلها دقة واكتمالا . وقد خالفت النسختين السابقتين فى أنها لم ترتب الأشعار بحسب الترتيب الهجائى للقوافى .

المقابلة بين النسخ

لم يكن من الممكن اتخاذ واحدة من نسخ التحقيق [مخطوطة أصلية] واعتبار النسخ الباقية ثانوية - كما يحدث فى الكثير من الأعمال المحققة - إذ إن هذه النسخ جميعا، متأخرة عن عصر التلمسانى بزمان طويل . وإذا كانت النسخة [أ] أقدمها، فإن النسخة [ب] أدقها، والنسخة [ج] تحتوى على أشعار لم ترد فى غيرها .

لذلك، كانت المقابلة بين النسخ المخطوطة تقوم على اعتبار أنها جميعا فى مرتبة واحدة من حيث الأهمية، فلم نقم بإصلاح نسخة منها على أساس أنها [المخطوطة الأم] وإنما قابلنا بينها جميعا، وغايتنا استخراج النص الشعرى كما وضعه التلمسانى .

عمل المحقق

يمكن إيجاز العمل الذى قمنا به فى التحقيق، فيما يلى :

[١] اختيار الكلمة الصحيحة بعد المقابلة، والإشارة إلى ما رأينا أنه من خطأ الناسخ

في الهامش . وقد كان اختيارنا للكلمة الصواب يقوم على مراعاة الوزن العروضي ، وطبيعة أسلوب التلمساني ، وحدود المصطلح الصوفي .

[٢] تشكيل الكلمات وضبطها ضبطا كاملا .

[٣] الفصل بين المقطوعات الشعرية بذكر البحور .

[٤] ترتيب المقطوعات وفقا لما ورد في النسخة [أ] ثم ما ورد في [ب] ، [ج] على التوالي . . وإذا اجتمعت النسخ الثلاث على ذكر المقطوعة الشعرية ، لم نذكر ذلك في الهامش ، أما إذا انفردت إحدى النسخ بمجموعة أبيات ، أشرنا في الهامش إلى انفرادها بذلك .

[٥] ترقيم الأبيات حتى يسهل الرجوع إليها .

[٦] وضع علامة [م] عند كل تدوير يقع في أحد الأبيات^(١) .

[٧] تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تشير إليها الآيات .

[٨] شرح المفردات اللغوية والمصطلحات الصوفية ، والتعليق على المواضع التي نراها غامضة في مفهومها الصوفي^(٢) . . أما ما يسمى في البلاغة بمواطن الجمال ، فقد أشرنا عدم الإشارة إليه كي لا نحرم القارئ من استكشاف هذه المواطن الجمالية .

[٩] قمنا بعمل فهرس للديوان : فهرس للآيات القرآنية - فهرس للأحاديث النبوية - فهرس للمفردات والمصطلحات الصوفية .

(١) التدوير في العروض وفي الشعر ، هو استكمال التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول في بداية الشطر الثاني .

(٢) فيما يتعلق بشرح المفردات اللغوية . كان أكثر اعتمادنا على [لسان العرب] لابن منظور ، في طبعته البيروتية التي أصدرتها [دار لسان العرب] بتصنيف يوسف خياط . . أما المصطلحات ، فقد رجعنا بصددنا إلى عدة مراجع منها : الرسالة القشيرية - اللمع للسراج الطوسي - التعرف للكلابادي - اصطلاحات الصوفية لابن عربي - اصطلاحات الصوفية للقاشاني .

ظهرت لنا عند تحقيق الديوان بعض الملاحظات التي يمكن تلخيصها فيما يلي :

[١] كان النساخ كثيرا ما يتصرفون في النص وفق ما يرونه صوابا، كما كانوا يستبعدون من الأبيات ما لا يوافق عليه كل واحد منهم! ولولا أن المقابلة تمت بين أصول مخطوطة لا تنتمي لأصل واحد، لكان النقص كبيرا في الديوان.

[٢] هناك بعض الأبيات التي تبدأ بحرف الروى نفسه، وقد انفردت النسخة [ج] بها. . . وسوف نجد هذه الأبيات عند نهاية قوافي كل حرف.

[٣] لم يخرج التلمساني في شعره عن الخصائص العامة لشعر الصوفية، وإنما أضاف إليها مذاقا خاصا يتميز به.

[٤] يهوى التلمساني في أبياته: الإكثار من التضمين للآيات القرآنية - تعمد التقديم والتأخير في الجملة الشعرية - استخدام أسماء البلدان كرموز، فنجد مصر تعنى الإصرار، وحران تشير إلى حر قلب المحب، وصفد تعنى الأصفاد. . إلخ، وقد أشرنا لذلك في هوامش التحقيق.

* * *

وعلى الصفحات التالية، بعض النماذج من المخطوطات التي اعتمدنا عليها في التحقيق، يليها ثبت بالرموز المستعملة في هوامش الصفحات، ثم يأتي النص المحقق لديوان التلمساني.

رُكَّابُ دِينٍ أَوْ غُفِيفُ الدِّينِ التَّيْمَسَانِي

الصَّقِيقُ فِي رُكَّابِ الدِّينِ

وَنَفْعِيهِ كَمَبِينِ

الاسلام

مَالِكُ بْنُ مَيْمُونَةَ لِنَفْسِهِ السُّنْدُ الدَّاسُ لِحَسْرَةِ الْعَمْرِ الْغَدَا الْبَدَا

قَرَاهُ النَّزَّاعَةُ الْكِرَامُ الْمَدِينِي لَلْأَطْمَارِ الْمَوْسِمِ إِهْرَامُ لِلدَّاسِ

وَمَلَعَهُ أَصْحَى كَرَادَهُ لِرُكَّابِهِ وَحَلَّ لِحَسْرَةِ كَمَبِينِ

شريف

من نعم الله تعالى على عبده محمد

ابن أبي الربيع الهمداني

الذي أنصارك في غزوة بدر

له في لواء مكة

الذي و اليك

وصحة وليه وطرح يد يارب فيه التزم حتى يصحوا

ثم ملكه القز ابن الموالد الصدقي



مخطوطة [أ]

نسخة الاسكوريال رقم 385

سورة
الرحمن
الحمد لله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِاللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ الْمُبِينِ

حَرْفُ الْهَمْزِ

- منعناها الصفاة والآنما إن ترى دون بزئج رثماة
- نة صلنا أشغرا مؤمنه وهداها لها الأضواء
- كبتنا من الظالمنا إلى بالقرى وفي الرحال الماء
- أم تلتنا خزانة لوز فمنا كان يرشدوا السزوز البكاة
- يحزقوا رثنا وذلك شزج في هواها فلتنشر الأحياء
- وأقامت نفسنا في حها لا يابلها ليضموا الصباء
- فالملبي إذا دغك منا ويحبونها بها الأصداء
- يا أبا العترم لك الخيز يطرب من مع الفدر من هذا العنا

مخطوطة [أ]

الصفحة الأولى

هو يومه لا يجلي الشمس غاظلا على عنقه المأمون إذ يحلوه

وإنت الذي هديك لليل جمدت إذا سررت الرقن لله عبد إمامه

ووردت إلى الخاي معاني سراخذ المستوقف للبريق الذي ليس ^{احترق}

بدر الدوان المأرك من الله وحسن موافقه

فإنه تمكسوا لكن وإختلافها

الشت حاتم وعشرين ومائة

حمادى لادى واحد

سنة ١٢٦٠

بسم الله

على محصلة العفر إلى كرم الله سبحانه رسالي المحرك المظهر ليعلم

عن يد عمه عن جمع المسلس

والصلوة والسلام على سيد محمد النبي الامي الطيب

الطاهر الركي وعلى اله الطاهر

مخطوطة [1]

الصفحة الأخيرة

لسر الله الحقن التيموره فستعبر الجوارح اسرارها
 الى عالم اسرار ورواهم عن حنينها المحفوظ ربه كمدارها
 اعنتهم وميادين حبيبته فسابقوا الله في اشرف مهنها سلب
 سابقهم ولا حقه قريذ الوسن ولذئذ القلار واصنافهم مهيروا
 فيها الاوطان والديار وعمرها ووقانهم فحوا عن الرسوم والاعاز
 وورسها من الذوق من نفوسهم رغبة في نقيشهم فما احسن ذالين التبار
 اما حبه لها اذ فنانهم بمشاهدة جمالها الاشناعن الانكار فوجدوا واحدا غنيا
 بشدا الله بها قسمي وحدا ابيهم عن الاخبار فمنهم من اسكروا فعدته من ذلك
 راق منها ومنهم لا يخطوا وقصيح فواج فعاقيه بالانكار ومنهم من محاذ شرا تبتد
 ستم اوليك الاقباز بالارادة لها افكارا ومنهم من رحمة ومنهم من حرمه فكل
 نعتة بعد اذ هذا اسعد وهذا اشقى وهذا في الجنة وهذا في
 النار وهذا اتولا اسمر الدوام والاسمير اوله والاسمير اوله
 ما سبي الجبار ومنهم من استعرق في محنتهم فوجدوا اولوهم في
 الاسرار فقال دعني فاني صحتار لهما اخذنا فواحتجبت عن ظلمه
 وصالح عند اقبال الشفار احدثا حيا ايهال اناس في الملو انوار
 واشتلا نسا كبق ما تشرفت الاقوار والسفلة والسفلة لم يور
 رة الاسير الملهة على ظهر النفاق لما جازاه الخيل في روادها التي
 جبريل وقال اذ وبانها الا انه قائم به المزمع من راج وورسها
 واستخدمه ملاية السموات في نفسه التي اجبره اليه فغبار ومستمع
 من الرقة ما لا يحد في الحد وذئذ ربه الاقرا رقة من الورد على
 عبادي حيث لم يعلموا بانهم وكبير من منها الذين وادوار
 وانزل عليه منها طابا له وان تعد وانعة الله لا تحسوها ان الاشك
 لتظلم كخارصل الة عليه وعلى اليه واصماره الاثرار وتاريخه الاخبار
 مالح البرة وشنة الامطار
 حذ الله منعه السمات والاسماء ان ترف دون برفج اسماء
 قد ظلتا بشعرها وهو منقأ وهدت ابي الة تحسوا

كمن سنا

[ب] مخطوطة

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور

الصفحة الأولى

فِي خَدِّكَ وَرَدَّتَانِ قَدَّرَكُنَا
 فِي وَجْهِهِ زَيْنٌ قَدَّ أَوْ قَدَّنَا
 خَلَقْتِكِ بِاللَّهِ عَمَلًا لَدُنِّي
 خَيْرٌ إِنْ يَهْمُهُ زَيْنٌ جَفَا وَمَيَّ
 مِنْ فَوْقِ نَارٍ زَيْبِ
 نَارٌ زَيْبِ
 رَفْنَا بَلْبِيبِ
 وَلَا تَمْرُ حَيْبِ

لَو كُنْتُ شَرِبْتُهَا مِنَ التَّدِيمَانِ
 لَعْتَابُكُ بِهَا عُنُكُ وَأَيْقُنُكُ
 لَهَا فِي مُشْهَدِ عَيْبِهِ عَمَّا لَأَكُونُ

فِي تَغْيِرِكَ خَيْرٌ إِنْ قَدَّ حُرْمَنَا
 وَالْعَاشِقُ ظَهَانَ قَمَانِ رَمْنَا
 عَيْنَا كَرَاهِيَا حَيْبِكَ قَدَّ بِنَانَا
 أَطْلُقُ بِرَمَانَا فِي حُرْمِكَ نَسْبَانَا
 مِنْ خَيْرِ دَلِيلِ
 سَعْيِهِ تَلْبِيلِ
 وَالْمَسْمُوعُ حَيْبِ
 حَيْرَانِ زَيْبِ

فِي طَلْقِ سَنَا بَرَقَ لَمَاءُ الْغَدِيدِ
 قَدَّ الْغُرْمَا حَيْبُكَ فِي تَرْبِ
 أَسْبَابِ رَعْدِي بِمَسْبَا الْبَهَائِلِ
 لَأَهْلُكُمْ بِالرَّسْلِ وَلَا بِالْكَتِبِ

الدُّمَيْرِيَا عَدَّ حَيْبُ فِرْعَوْنَ
 وَالْمَلِكُ لَنَا وَأَمَّا كَلْبِيَا حَرْبِ
 وَالْكُونُ حَيْبُكَ حَيْبُ فِرْعَوْنَ
 وَالْعَيْشُ عَمَّا لَهَا الَّذِي يَمْتَنِدُ

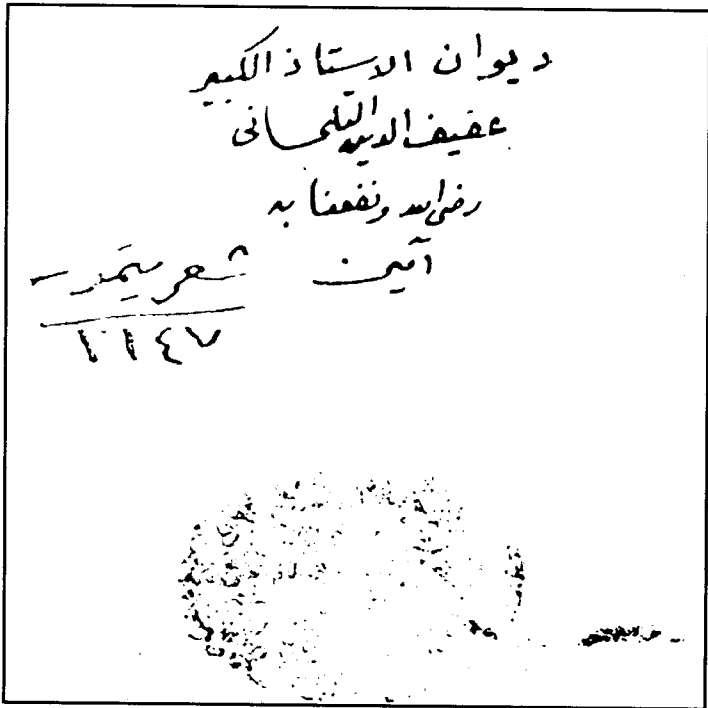
سَمِ الدِّيوانِ الْمُبَارِكِ كَمُرْدِ اللَّهِ وَحَدِيثِهِ وَحَسْبُ تَوْفِيقِهِ
 عَلَى بَدِ افْتِدَاءِ دَنِّهِ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ وَأَخْرَجَهُمْ

فِي رَحْمَةِ رَبِّهِ لِقَوْلِهِ بِرَأْسِ عَمَّانِ بْنِ عَمْرٍو
 الرَّحْمَنُ بْنُ كُحَيْبِ بْنِ عَمْرٍو
 حَفَرْتَهُ فِي وَرْدِ
 وَتَمَسَّهُ مِنْ
 أَجْمَعِينَ
 آمِينَ

بِرَأْسِ عَمَّانِ بْنِ عَمْرٍو
 الرَّحْمَنُ بْنُ كُحَيْبِ بْنِ عَمْرٍو
 حَفَرْتَهُ فِي وَرْدِ
 وَتَمَسَّهُ مِنْ
 أَجْمَعِينَ
 آمِينَ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَحَمْدُهُ وَجَدُّهُ وَرَبُّهُ

[ب] مخطوطة
 الصفحة الأخيرة



مخطوطة [ب]

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١١٤٧ شعر/ تيمور

الصفحة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَامُ الْعَارِفُ بِاسْمِ الْحَقِّوَعِ عَظِيمِ
 الدِّينِ سَلِيمَانِ بْنِ عَمْرِو التَّمِيمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنُصِبَهُ
 وَجَعَلْنَا رَبَّنَا مِنْ أَهْلِ قَرَبِهِ مُحَمَّدٍ وَحَزْبِهِ
 يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ الْمَصْدُوقُ وَعَنْ عِلْمِ الْغَيْبِ إِلهِي يُنطِقُ
 الْبَيْتَ الْهَدْيِ وَهُدَى الْأَطَاعَةِ لَنَا وَلَا تَفَرَّقُوا فِيهِ وَلَا تَفَرَّقُوا
 وَإِخْلَافُ فِيهِ الْكِتَابُ مُتَرَاوِعٌ فَيَا لِعَقْلِ مَنْهٍ وَالْفِعَالِ الْخَلْقِ
 ذَلَمْتُمْ بَنِي عَمْرٍو وَعَلَى غَيْبِ مَقْدَسٍ نَيْبِقُنِي جِبْرِيْلُ فِيهِ وَأَسْبَعُهُ
 وَقَدْ كُنَّا قَبْلَ الْغَيْبِ فِيهِ مَمْلُوكًا فَأَوْجِبْ لِكُلِّ الْوُجُودِ الْحَقِّوَعِ
 أَبَابَابِ لَا أَبَابُكُنْتُمْ نَسَائِي لَهَا أَقْرَابُ الْبَنَاءِ يُغْرَى وَيُحَقِّقُ
 وَرَدَابُ وَإِنَّا مُثَلَّعِي وَصُورِي وَغَيْبُهُمَا الْأَمْرُ الْإِلهِي يُفَرِّقُ
 وَذَهَبَتْ بِنَاتِي عَنْهُ هَجْتِي بِحَسْنِي لَعْنِي بِبِنَادِي نَسُوهُ
 وَنَيْبَتْ نَفْسِي فِي خَرَامِ وَأَتَمَّتْ حَرِي بِتَقْيِيدِ الْإِلهِي عَنْهُ الْمَلُوعِ
 وَنَيْبَتْ بِرَأْفَتِي لِيَالِي مَبُوعَةٍ تَزِيدُ عَنْ خُرُوعِ النَّهَارِ فَتَسْرُقُ
 لِيَالِي أَنْسِ لَمْ تَزَلْ أَبَدًا بِرَهَا عَمَّ الْبَيْضِ مِنْ أَيْمِ حَرِي مَوْقُ

مخطوطة [ج]

الصفحة الأولى

بنا ديك مع ناديك تطمخ فرفه نداء غليل يطلب الارى والرى
 يا موه عد الاغيار سرى خبره عينا من الحب يعرف في اوى
 بقدر لونه ما يكوفنا محمد وقد يهيم الابدات وه صيفه النقى
 نبت ويحيى لوعة وطماعة وما الحب الا
 يهابك هذا القلب اصما حيب فيعنه اقيم اليك ويستحي
 يعلى بلوانه بعدك نغمه واهديات ما في الحى بعدك منى

بخ عايد الفقير الاموره العنى

عبد الباقي الجزائري الحسنى غفر له

له ولوالديه ورافعوا نذ وطيب

له ولهم بخره وكرمه

في اواسط

جمادى الاولى

١٩٤٤

مخطوطة [ج]

الصفحة الأخيرة

رموز التحقيق

- أ مخطوطة الاسكوريال رقم 385 .
- ب مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور .
- ج مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١١٤٧ شعر/ تيمور .
- ٠ . اتفاق الأصول المخطوطة .
- = بيت شعر ساقط .
- كلمة ساقطة .
- × بيت شعر في غير موضعه .
- + كلمة في الهامش .
- () الأرقام، اختلافات الأصول والتعليقات .

الديوان

قافية الهمزة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ (١)

[بحر الخفيف]

مَنْعَتْهَا الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ

أَنْ تُرَى دُونَ بُرُوعِ أَسْمَاءِ (٢)

قَدْ ضَلَلْنَا (٣) بِشَعْرِهَا وَهُوَ مِنْهَا

وَهَدَتْنَا بِهَا لَهَا الْأَضْوَاءُ

كَيْفَ بَتْنَا مِنَ الظُّمَانِ نَتَشَاكِي (٤)

يَا الْقَوْمِي (٥) وَفِي الرَّحَالِ الْمَاءُ

كَمْ (٦) بَكَيْنًا حُزْنًا بِمَنْ لَوْ عَرَفْنَا

كَانَ مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ الْبُكَاءُ

(١) أ: وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وحضرته وسلم، حرف الهمزة . ب: حرف الهمزة .

(٢) أسماء، معشوقة عربية يشير بها الصوفية إلى الذات الإلهية وتجلياتها في الوجود (راجع مقدمة تحقيقنا لديوان عبد القادر الجيلاني).

(٣) ج: ظللنا .

(٤) ب: نتشاكأ .

(٥) ج: كيف كنا من الظما بالقومى!

(٦) = ب .

ه نَحْنُ قَوْمٌ مِثْنَا وَذَلِكَ شَرْطٌ

فِي هَوَاهَا (١) فَلَيْئِسَ (٢) الْأَحْيَاءُ

وَأَقَامَتْ نُفُوسَنَا فِي حِمَاهَا

لَا بِنَابِلٍ بِهَا لِيَصْفُو الصَّفَاءُ (٣)

فَالْمُلْبَى (٤) إِذَا دَعَتْ هِيَ مِنَّا

وَمُجِيبُوهَا بِهَا الْأَصْدَاءُ

يَا أَبَا الْخَيْرِ (٥) قُمْ لَكَ الْخَيْرُ فَاطْرِبْ (٦)

مَسْمَعِ الْفَقْرِ (٧) مِنْكَ ذَلِكَ (٨) الْغِنَاءُ

لَا تَفْتُ (٩) كَأَسْكَ الَّتِي مِنْ لَمَاهَا (١٠)

هِيَ فِيهَا تَنَافَسَ التَّدْمَاءُ (١١)

(١) الموت عند الصوفية شرط المحبة للخالق، وهم يقصدون بالموت معنى رمزيا . . فهو موت رغبات النفس ومتطلباتها الحسية من جهة، وموت التعلق بما سوى الله من جهة أخرى .

(٢) أ: فلتئس، ج: فليس .

(٣) الصفاء عند الصوفية، هو التوحيد الخالص الذي أقرت به كل الأرواح قبل خلق الأجساد . وهم يستدلون على ذلك بأية الميثاق «وإذ أخذ ربك . . .» ويطلقون على هذا التوحيد الشهودى الخالص عدة اصطلاحات مثل: الصفاء، الصفاء الأول، توحيد الدر، فطرة بلى!

(٤) × ب .

(٥) المراد بأبى الخير هنا، منشد الأشعار فى مجالس الصوفى، فهو الذى تهيم الأرواح فى سماء معانى ألفاظه التى تحدى بالأرواح إلى بلاد الأفراح .

(٦) أ: يطرب، ب، ج: فطرب .

(٧) راجع ما سنقوله عن الفقر - بمفهومه الصوفى - فيما بعد .

(٨) أ: هذا .

(٩) وأرخ يافتى أراجيف قلبى : من سواها فنى هواها الغناء .

(١٠) اللمى، سمرة الشفتين . . واللمياء من الشفاء، اللطيفة القليلة الدم (لسان العرب لابن منظور - بيروت ٤٠٠ / ٣) .

(١١) غير واضحة فى أ .

لَمْ (١) أَقْلُ قَدْ عَدْتِكَ كَأْسُكَ لَكِنْ (٢)

رَبَّمَا طَوَّحَتْ بِكَ الصَّهْبَاءُ (٣)

١٠. إِنَّمَا يَشْرَبُ (٤) الَّتِي تَسْلُبُ (٥) الْعَقْلَ

نَدَامَى (٦) هُمْ (٧) لَهَا أَكْفَاءُ

أَسْكُرُوهَا بِهِمْ كَمَا أَسْكُرْتَهُمْ

فِي ابْتِدَاهُمْ بِهَا (٨) فَتَمَّ الْوَفَاءُ (٩)

فَجَزَاءٌ مِنْهَا وَمِنْهُمْ وَفَاقٌ

وَوَفَاقٌ (١٠) مِنْهَا وَمِنْهُمْ جَزَاءٌ (١١)

قَدْ (١٢) تَسَمَّتْ بِهِمْ وَلَيْسُوا سِوَاهَا

فَالْمُسَمَّى أَوْلَيْكَ الْأَسْمَاءُ (١٣)

(١) ج: كم.

(٢) ب: لاكن.

(٣) الصهباء: الخمر التي عصرت من عنب أبيض (لسان ٢/٤٨٦).

(٤) ج: تشرب.

(٥) أ، ب: تشرب.

(٦) أ: ندما، ب: نداما.

(٧) ج: وهم.

(٨) أ: في ابتداها، ج: في ابتداء بهم.

(٩) السكر الوارد في أول البيت، هو سكر الأرواح بخمرة قوله تعالى «ألست بربكم . . .» والوفاء الوارد في آخر البيت، هو الوفاء بالعهد والميثاق التوحيدى الذى شهدت به الأرواح فى عالم الذر بقولهم «بلى».

(١٠) + ج: وكذا.

(١١) التضمين من قوله تعالى: «جزاء وفاقا . . . النبأ/ ٢٦».

(١٢) ج: تسمت.

(١٣) يشير التلمسانى هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بتجلى الأسماء الإلهية، وهى حالة من الترقى الصوفى، تكون بعد الفناء التام.

١ شَهِدْتَ نَفْسَكَ فِينَا وَهِيَ وَاحِدَةٌ
 كَثِيرَةٌ ذَاتُ أَوْصَافٍ وَأَسْمَاءٍ
 وَنَحْنُ فَيْكَ شَهِدْنَا بَعْدَ كَثْرَتِنَا
 عَيْنًا بِهَا اتَّحَدَ (١) الْمَرْتِيُّ وَالرَّائِي (٢)
 فَأَوْلُ أَنْتَ مِنْ قَبْلِ الظُّهُورِ لَنَا
 وَأَخِيرُ أَنْتَ عِنْدَ (٣) النَّازِحِ النَّائِي
 وَبَاطِنٌ فِي شُهُودِ الْعَيْنِ (٤) وَوَاحِدٌ
 وَظَاهِرٌ (٥) لِامْتِيَازَاتِ (٦) بِأَسْمَاءِ (٧)
 ه أَنْتَ الْمَلْقَنُ سِرًّا لَا أَفْوَهَ (٨) بِهِ
 وَأَنْتَ نَطَقِي وَالْمُصْنَعِي لِنَجْوَائِي (٩)

(١) ب: عين بها تجدد.

(٢) ج: بالرائي.

(٣) ب: عند عود.

(٤) ب: الغيب.

(٥) الإشارة هنا لقوله تعالى: هو الأول والآخر والظاهر والباطن. (الحديد: ٣).

(٦) ج: لا مارة!

(٧) أ: لايدا.

(٨) أ، ج: سرى ما أفوه.

(٩) لهذا البيت أبعاده الصوفية ودلالاته الذوقية البعيدة، وأكثر هذه الدلالات بساطة، هو أن المراد بتلقيه السر (ما علمه الله لآدم ولم يعلمه للملائكة) والمراد بكون الإنسان نطق الله، كونه قارئاً وتالياً للقرآن (كلام الله) وكونه المخصوص بالنجوى والوحى الإلهي.

١ خُذْ لَوْجِدِي مِنْ ذَمَّةِ الْبُرْحَاءِ (١)

وَأَجِرْنِي مِنْ لَوْعَتِي وَعَنَائِي

يَا أَمِيرًا عَلَى الْمِلاَحِ وَقَلْبِي

أَبْدًا خَافِقٌ (٢) لَهُ كَاللُّوَاءِ (٣)

وَيَنْجِدِ عُرْبُ نَزُولٍ أَضَاعُوا

لِلْمُحَبِّينَ ذِمَّةَ النُّزَلَاءِ

ضَرَبُوا خَيْمَةَ الْمَلِيحَةِ فِي الرُّوَضِ

وَأَجَرُوا أَنْهَارَهَا (٤) مِنْ بُكَائِي (٥)

ه دَدَعُوا لِلْعَقِيقِ دَمْعِي وَمِنْ أَيْنَ [م]

لِدَمْعِي الْعَقِيقَ لَوْلَا دِمَائِي

فَهُمْ، لَا عَدِمْتَهُمْ، أَطْلَقُوا الدَّمْعَ [م]

وَقَلْبِي فِيهِمْ مِنَ الْأَسْرَاءِ

فِي الْعُيُونِ الْمَرِيضَةِ الْجَفْنِ سُقْمِي

يَا الْقَوْمِي - وَعِنْدَهُنَّ شِفَائِي

(١) البرحاء في اللغة، الشدة والمشقة، وهي أيضا شدة الحمى (لسان العرب ١/١٨٦) والمراد بها هنا: فرط المحبة لله والشوق إليه.

(٢) ب، ج: خافقا.

(٣) اللواء: الراية.

(٤) ج: نهاره.

(٥) ب: بكاء.

وَلِظَنِي الْحِمَى (١) إِشَارَةٌ وَجَدِي

حِينَ أُكْنِي عَنْ ظَبِيَّةٍ (٢) الْوَعْسَاءِ (٣)

[الطويل]

أَلَمْ (٤) يَأْنِ أَنْ تَرَوْي قُلَيْبَ مُتَيْمٍ

١ تَفِيضٌ أَمَاقِي جَفْنُهُ وَهُوَ يَظْمَأُ

أَصَابَتْهُ عَيْنٌ أَعْمَدَتْ نَصَلَ فَصَلَهُ (٥)

وَقَلْبُ الْهَوَى مِنْ كَانَ قَلْبٌ مُرْزَأُ (٦)

أَحَبُّ حَبِيبًا لَا أَسْمِيَهُ هَيْبَةً

وَكَلْتُمُ الْهَوَى لِلْقَلْبِ أَنْكَى وَأَنْكَأُ

أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَايَ فَكَيْفَ لَا

أَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ سِوَايَ وَأَبْرَأُ

٥ أَيْتُ أَعَانِي فِيهِ حَرَّ جَوَانِجِي

وَبَيْنَ جَفْنُونِي مَدْمَعٌ لَيْسَ يَرْقَأُ (٧)

(١) أ: عيون (٦) ب: الحما .

(٢) ب: قاعة .

(٣) الوعساء، موضع مشهور . . وهو كناية عن عالم الحضرة الربانية حيث يتجلى الجمال الإلهي (ظبية الوعساء) الذي تكررت الإشارة إليه في الأبيات .

(٤) الأبيات في ج فقط .

(٥) في الأصل : فصل فصله .

(٦) رزأ: يقال في اللغة «رزأ فلان فلانا» إذا بره . ورزأه: أصاب منه خيرا، ورجل مرزأ: كريم يصاب منه كثيرا (لسان العرب ١/ ١١٥٩) .

(٧) الرقع، سكون الدمعة وجفافها . . ومنها «الرقوع» وهو الدواء الذي يوضع على الجرح فيوقف نزيف الدم (لسان العرب ١/ ١٢٠٣) .

أَرَاهُ بِقَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

وَإِنْ كُنْتُ عَنْ وَرْدِ الْوِصَالِ أَحْلًا^(١)

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْهُ قُمتُ بِحَقِّهِ

فَهَا أَنَا أَبْكِي مَا اسْتَطَعْتُ وَأَقْرَأُ

أَتَانِي هَوَاهُ مِلءُ سَمْعِي وَنَظْرِي

وَقَلْبِي فَمَالِي مِنْهُ مَلَجًا وَمَنْجَاً

أَغْنِي بِيَوْمٍ مِنْ لِقَائِكَ وَاحِدٍ

فَإِنِّي بِيَوْمٍ مِنْ لِقَائِكَ أَجْزَأُ

١٠ أَغَالِطُ نَفْسِي مِنْكَ بِالْوَصْلِ وَالرِّضَا

وَمَنْ لِي بِهِ وَهُوَ النَّعِيمُ الْمُهَنَّأُ

(١) الحلا: الضرب والطرده عن الماء. وفي الحديث: يرد على يوم القيامة رهط فيحلبون عن الحوض، أي يصدون عنه ويمنعون من وروده (لسان العرب ١/٦٩٠).

قافية الباء

,

[الوافر]

١ تَذَكَّرُ* بِالْحِمَى قَلْبِي (١) الطَّرُوبُ
لَيْلِي (٢) غَابَ عَنْهُنَّ الرَّقِيبُ
وَأَيَّامًا صَفَا (٣) عَيْشُ التَّصَابِي
وَمَنْ أَهْوَى نَدِيمِي (٤) وَالْحَبِيبُ
غَرِيبُ الْحَى قَلْبِي فِي حِمَاكُمْ
نَزِيلٌ فِي دِيَارِكُمْ غَرِيبُ
رَحَلْتُمْ عَنْ حِمَى الْوَادِي سُحَيْرًا
وَسِرْتُمْ وَهُوَ خَلْفَكُمْ جَنِيبُ
ه عَجِبْتُ لِنَارِكُمْ بِرَبِّهَا الْمُصَلَّى (٥)
وَمِنْهَا الصَّبُّ فِي نَجْدٍ يَذُوبُ

(*) الأبيات التالية ساقطة من ب، وفي (أ) كتب الناسخ بخط سميك (حرف الباء) وفي هامش ب (حرف الباء)، والأبيات الأربعة الأولى في هامش الصفحة.

(١) ب: بالحما قلبا.

(٢) ب: ليال.

(٣) أ: مضى

(٤) غير واضحة في أ.

(٥) . . . المصلا! والضبط من معجم البلدان، يقول ياقوت الحموي: المصلى موضع الصلاة، وهو موضع بعينه في عقيق المدينة (معجم البلدان ١٤٤/٥).

وَتَشْرِكُمْ^(١) عَلَى بُعْدٍ وَقُرْبٍ

إِلَى الْمُشْتَقِ تَحْمِلُهُ الْجَنُوبُ^(٢)

وَإِنْ أَرْجُوكُمْ وَأَخْيِبُ كُلاً

سِوَاكُمْ قَصْدٌ رَاجِيهِ^(٣) يَخْيِبُ

وَبِي - مَنْ لَا أَسْمِيَهُ حَيَاءً^(٤)

بِحُكْمِ حُضُورِهِ^(٥) فَهُوَ^(٦) الرَّقِيبُ

يَمِيسُ^(٧) قَوَامُهُ فَيَكَادُ قَلْبِي

يَطِيرُ مِنْ^(٨) اللَّذَادَةِ إِذْ يَطِيبُ

[المنسرح]

١ هَذَا^(٩) الْمُصَلَّى وَهَذِهِ الْكُتُبُ

بِمِثْلِ هَذَا يَهْزُكُ^(١٠) الطَّرْبُ

فَالْحَى قَدْ شُرِعَتْ مَضَارِبُهُ

وَحُسْنُهُ عَنَّهُ زَالَتْ الْحُجُبُ

(١) النشر، الريح الطيبة.

(٢) الجنوب: رياح تهب من مطلع سهيل إلى مطلع نجوم الثريا، والعرب تقول للثنين إذا كانا متصافيين: ريحهما جنوب (لسان العرب ١/ ٥١٠).

(٣) أ: راحته.

(٤) أ: أحيا.

(٥) أ: حصورة

(٦) أ: وهو

(٧) غير واضحة في كل النسخ الخطية!

(٨) أ: مع.

(٩) -ج.

(١٠) ب: يهزنا.

وَكُلُّ صَبٍّ صَبًّا لِسَاكِنِهِ
 يَسْجُدُ شَوْقًا لَهُ^(١) وَيَقْتَرِبُ
 أَنْخِ مَطَايَاكَ عِنْدَ رَبِّعِهِمْ
 كَيْ لَا تَطَّاكَ^(٢) الرَّحَالَ وَالنُّجُبُ^(٣)
 ١ وَاسْعَ عَلَى الْجَفْنِ خَاضِعًا فَعَسَى
 يَشْفَعُ فَيْكَ الْخُضُوعُ وَالْأَدَبُ
 وَارْجِ^(٤) قِرَاهُمْ^(٥) إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ
 فَأَنْتَ ضَيْفٌ لَهُمْ وَهُمْ عُرْبٌ
 وَاسْجُدْ لَهُمْ وَأَقْتَرِبْ^(٦) فَعَاشِقُهُمْ
 يَسْجُدُ شَوْقًا لَهُمْ^(٧) وَيَقْتَرِبُ
 عِنْدِي لَكُمْ يَا أَهْلَ كَاظِمَةِ
 أَسْرَارٍ وَجَدِ حَدِيثُهَا^(٨) عَجَبٌ
 أَرَى بِكُمْ خَطِيرِي يَلْأَحْظُنِي^(٩)
 مِنْ أَيْنَ هَذَا الْإِخَاءُ^(١٠) وَالنَّسَبُ

(١) أ: لهم .

(٢) تطاك، مخففة لضرورة الشعر .

(٣) النجب، جمع نجيب، وهو القوى من الإبل، السريع الخفيف (لسان العرب ٣/ ٥٨٠) .

(٤) - ب .

(٥) القرى، ما يقدم للضيف .

(٦) تَضَمِّن لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» . (العلق/ ١٩) .

(٧) ب: لهم شوقا .

(٨) أ .

(٩) ب: يطالبنى .

(١٠) أ: الإخا، ب، الإفا .

١٠ وَإِنْ تَشَوْقْتُكُمْ بَعَثْتُ لَكُمْ

كُتُبَ غَرَامِي وَمِنْكُمْ الْكُتُبُ

وَأَشْرَبُ الرَّاحَ حِينَ أَشْرَبُهَا

صِرْفًا وَأَصْحُو بِهَا فَمَا السَّبَبُ^(١)

خَمَرْتُهَا مِنْ دَمِي وَعَاصِرُهَا

ذَاتِي وَمِنْ أَدْمُعِي لَهَا الْحَبَبُ

إِنْ كُنْتُ أَصْحُو بِشْرِبِهَا فَلَقَدُ

عَرِبْدُ^(٢) قَوْمٌ بِهَا وَمَا شَرِبُوا

هِيَ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ فِي خَلْدِي

وَإِنْ غَدَتُ فِي الْكُؤُوسِ^(٣) تَلْتَهَبُ

١٥ فَغَنِّ لِي إِنْ سَقَيْتَ يَا أَمَلِي

بِاسْمِ الَّتِي بِي عَلَى تَخْتِجِبُ^(٤)

[المنسرح]

١ بَيْنَ فُوَادِي وَخُدِّهِ^(٥) نَسَبُ

كِلَاهُمَا بِالْجَحِيمِ^(٦) يَلْتَهَبُ^(٧)

(١) يشير الصوفية إلى أن الأثر الناشئ من خمر الحب الإلهي، هو الصحو لا السكر. . فهذه الخمر الأزلية تورث صحوًا بما تفتحه من أبواب الحقائق التي تتجلى لقلب المحب.

(٢) ب: سكر.

(٣) أ: الكؤوس.

(٤) في إحدى المشاهدات الذوقية التي يراها الصوفي بعين قلبه، يتحقق الإنسان بتجليات الله في الكون، ويعرف أن كل مظاهر الوجود، إنما هي حقائق للتجلي الإلهي المحجوب بالكثرة الظاهرة للأشياء. .

فتكون الذات الإلهية - كما يقول التلمساني هنا - قد احتجبت به عنه!

(٥) أ: وخذها. (٦) ج: بالنعيم. (٧) أ: تلتهب.

هُمَا سَوَاءٌ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا
أَنَّ هُمَا سَاكِنٌ وَمُضْطَرِبٌ
وَلِي عَلَى عَاذِلِي حُقُوقٌ هَوَىٰ
عَلَيْهِ شُكْرِي يَبْغُضُهَا يَجِبُ
لَامٌ - فَلَمَّا رَأَاهَا بِه
فَكُنْتُ^(١) فِي عِشْقِهِ أَنَا السَّبَبُ
وَقَائِلٍ^(٢) وَالْهَوَىٰ يُرَنِّحُنَا
وَنَالَ مِنَّا السُّرُورُ وَالطَّرْبُ
حَلَّتْ لَنَا الرَّاحُ^(٣) مِنْ لَوْاحِظِهِ^(٤)
فَلْيَحْرَمُ^(٥) الْخَمْرُ بَعْدُ وَالْعِنْبُ
خُذَا نَدِيمِي سَلَوْتِي لَكُمَا
عَطَاءَ مَنْ لَا يَمُنُّ^(٦) إِذْ يَهَبُ
وَخَلِّيَانِي وَقَهْوَةَ^(٧) جُلَيْتِ
لَيْسَتْ^(٨) سِوَى الثَّغْرِ فَوْقَهُ^(٩) حَبُّ

(١) ب : و كنت .

(٢) ب : و قابل . (٣) أ ، ج : الخمر .

(٤) اللحظة ، النظرة من طرف العين . واللحاظ ، مؤخرة العين وخطها الممدود ، والمعنى المشار إليه هنا : أن الذات الإلهية أباحت السكر من نشوة جمالها ، وحرمته من الخمر ونبذ العنب !

(٥) أ : فلتحرم . (٦) - ج .

(٧) مين : يستعظم عطيته . والمِنْ كلمة قرآنية ، ذات حقول دلالية واسعة ، يضيق المقام هنا عن استعراضها . [راجع لسان العرب - مادة : من] .

(٨) القهوة اسم من أسماء الخمر ، غالبا ما يشير بها الصوفية إلى كأس المحبة الإلهية . . انظر : قصيدة النادرات العينية ، للجيلي (تحقيق يوسف زيدان) البيت الخامس .

(٩) . . ليس . (١٠) أ ، ج : فوقها .

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ عِصَابَةٍ كَرُمْتُ
أَذْهَبُ فِي الْحُبِّ حَيْثُمَا ذَهَبُوا
١٠ سُقُوا وَلَمْ يَسْكُرُوا^(١) وَكَمْ فِئَةٌ
أَسْكَرَهُمْ عَطْرُهَا وَمَا شَرِبُوا
دُعُوا إِلَى بَابِ عُلُوِّ^(٢) كَرَمًا
وَوَجْهَهَا بِالْجَمَالِ مُحْتَجِبٌ
فَقَدَّمُوا سَاجِدَةً^(٣) وَهُمْ زَمَرٌ
لِغَافِرٍ^(٤) سَبَّحَ اسْمَهُ الْأَدَبُ
عَينٌ^(٥) الْعَيْنُ مِنْهُمْ^(٦) أَثْرًا
لَأَنَّهُمْ فِي بَقَائِهَا^(٧) سَلَبُوا
فَمَا دَرَى صَاعِدٌ^(٨) بِمُنْحَدِرٍ
وَلَا التَّقَى^(٩) ذَاهِبٌ وَمُنْقَلِبٌ^(١٠)

(١) ج: يشركوا.

(٢) في ب (علزة) . . وعلوة، معشوقة عربية، طالما أشار التلمساني بها إلى الذات الإلهية . وباب علوة، كناية عن مقام الحضرة الإلهية التي يرقى إليها صفة الصوفية .

(٣) ج: سجدا .

(٤) ج: الغافر .

(٥) ب: غيبت، ج: عبرة .

(٦) ب: عنهم .

(٧) أ: نقابها، ب: بقاء ما . . والبقاء مقام صوفي من مقامات غايات الطريق، وهو البقاء في الله بعد الفناء عما سواه .

(٨) أ، ج: مصعد .

(٩) أ: ولا درى، ب: ولا التقا .

(١٠) يريد التلمساني هنا أن يقول: إن للواصلين إلى الله طرقا عديدة ومتنوعة، حتى إن أحدهم لا يكاد يلتقى بالآخر في الطريق . وهناك عبارة صوفية شهيرة تقول: الطرق إلى الله على عدد أنفاس البشر!

١ أفي^(١) ولهي باسم المليحة تعبت
 وتعرض إن وحدثها^(٢) ثم تغضب^(٣)
 ولو فزت من ذاك الجمال^(٤) بنظرة
 لأصبح منك العقل يسبي ويسلب
 وهبتك سلوانى وصبرى كلاهما^(٥)
 وأما غرامى فهو ما ليس يوهب^(٦)
 وقيدت أشواقى بإطلاق صبوة^(٧)
 إليها صبابات المحبين تنسب
 هـ فها أنا والساقى يناول كأسها^(٨)
 فأشرب صرقاً أو يغنى فأطرب

(١) الأبيات فى أ، ب وساقطة من ج . (٢) ب : وجدتھا .

(٣) يشير التلمسانى هنا إلى الخلاف بين الصوفية وفقهاء الظاهر، وقد كان هؤلاء الفقهاء دوماً يعترضون على طريقة الصوفية فى التوحيد .

(٤) غير واضحة فى ب . (٥) غير واضحة فى ب .

(٦) يحمل هذا البيت على معنيين : الأول أن المحب قد يصبر على عاذليه، لكنه لا يترك غرامه المتأجج . . والمعنى الثانى، وهو الأرجح هنا، أن المحبة واحدة من العطايا الإلهية التى لا توهب، ولا تسمى مواهب! فقد قال الحق «فلهم أجر غير ممنون» يعنى أن أهل العطايا نالوا ما هو لهم بحكم الاستحقاق الأزلى، لذلك قدم الله تعالى محبته على محبة عبده فقال «يحبهم ويحبونه» . . يقول عبد الكريم الخيلى : فليس ما نالوه بموهوب حتى يكون ممنوناً، بل هم ظفروا بما اقتضته حقائقهم فى الأزل، فكانت محبة الله لهم سابقة (انظر الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل ١٥ / ٢) ومن هنا قال الإمام عبد القادر الجيلانى (الديوان، قصيدة ما فى الصبابة) .

مازلت أرتع فى ميادين الرضا . . حتى وهبت مكانة لا توهب

(٧) فى أ (صهوة) وفى ب (صبوت) . . والصبوة فى اللغة : جهلة الفتوة واللهو من الغزل [لسان العرب ٤٠٧ / ٢] .

(٨) كاسه .

وَلَوْ لَمْ يَرَوْا رَاوَوْقَهَا^(١) كَصَلْبِهِ
لَمَاعَذَرُوا^(٢) حَلَّجَهَا حِينَ يُصَلَّبُ

[الخفيف]

لَا تَلْمُ صَبَوْتِي فَمَنْ حَبَّ يَضْبُو^(٣)
إِنَّمَا يَرْحَمُ الْمُحِبَّ الْمُحِبُّ
كَيْفَ لَا يُوقِدُ النَّسِيمُ^(٤) غَرَامِي
وَلَهُ فِي خِيَامِ لَيْلَى^(٥) مَهَبٌ
مَا اعْتَذَرِي إِذَا خَبَّتْ لِي نَارٌ
وَحَبِيْبِي أَنْوَارُهُ لَيْسَ تَخْبُو^(٦)
هَذِهِ الْحُلَّةُ الَّتِي حُلَّ فِيهَا
عَقْدُ صَبْرِي وَحَلَّهَا لِي حَبٌ
هَ مَلَأَ^(٧) الْكُونَ حُسْنُهُ فَلَهَذَا
كُلُّ قَلْبٍ إِلَى مَعَانِيهِ يَضْبُو^(٨)

(١) الراووق: الشراب الرائق المصفى . ويقال «ألقي عليه أرواقه» إذا أحبه حبا شديدا حتى يستهلك في حبه [لسان العرب ١/١٢٥٨].

(٢) ب: غدروا.

(٣) = ج، ب: يصبوا.

(٤) النسيم، إشارة إلى نفحات الإشراق والتجلي الإلهي .

(٥) خيام ليلي: إشارة إلى عالم الحضرة الإلهية .

(٦) ب: تخب .

(٧) ب: ما لاء .

(٨) ب: يصب .

عَايَنَتْ^(١) حُسْنَهُ^(٢) الْقُلُوبُ فَأَمْسَى

وَلَهُ فِي الْقُلُوبِ سَلْبٌ وَنَهْبٌ^(٣)

نَصَبُوا حَانَ حُبِّهِ ثُمَّ نَادُوا

: يَا نِيَامَ الْقُلُوبِ لِلرَّاحِ هُبُّوا^(٤)

بِنْتُ كَكْرِمٍ زُفَّتْ^(٥) لِكُلِّ كَكْرِيمٍ

مَا عَلَى نَفْسِهِ النَّفِيسَةَ صَعْبٌ

رَاحَ لِلرَّاحِ وَالْخَلَاعَةَ عَبْدًا

وَهُوَ فِي مَذْهَبِ الْحَقِيقَةِ رَبٌّ^(٦)

[الطويل]

١ لِمَعْنَايَ^(٧) قَلْبِي^(٨) نَحْوَكُمُ أَبَدًا يَضْبُو

وَعِنْدِي لَكُمْ وَجْدٌ جَمِيعِي لَهُ نَهْبٌ

وَمَا زَالَ سَلْبِي فَيْكُمْ^(٩) وَأَجِبَّا لَكُمْ

وَفِي حُبِّكُمْ يَا سَادَتِي يَجِبُ^(١٠) السَّلْبُ

(١) أ: شاهدت.

(٢) يفرق أهل الطريق بين الجمال والحسن؛ فالجمال هو ذات الله تعالى، والحسن هو تجليات هذا الجمال في الكون.

(٣) أ: نهب و سلب.

(٤) ب: هب.

(٥) ب: رقت.

(٦) غير واضحة في أ.

(٧) = ب . . وتبدو الأبيات كأنها مدح لبعض مشايخ التلمساني في الطريق الصوفي.

(٨) : قلب.

(٩) أ: نحوكم.

(١٠) أ: يجب.

غَدَا وَصَفُكُمْ لِلْحُسْنِ ذَاتَا فَشَمْسُكُمْ
بِكُمْ مِنْكُمْ فِيكُمْ^(١) لَهَا الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ
تَحَرَّكُهَا الْأَشْوَاقُ نَحْوَ جَمَالِكُمْ
فَتَمْنَعُهَا تِلْكَ الْمَهَابَةَ وَالْحُجْبُ
هَ فَلَا هِيَ يَغْشَاهَا سُكُونٌ وَلَا تَرَى

سَبِيلًا لَذَا حَارَتْ فِدَارَتْ^(٢) فَلَا تَنْبُو^(٣)
تَدُورُ عَلَيَّ بُعْدٍ مِنَ الْمَرْكَزِ الَّذِي
بِهِ أَنْتُمْ إِذْ كَانَ شَخْصُكُمْ الْقُطْبُ^(٤)
فَلَوْ قَيْسَتْ الْأَبْعَادُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
تَسَاوَتْ فَلَا بُعْدٌ يُرَامُ^(٥) وَلَا قُرْبُ^(٦)

[الطويل]

إِذَا^(٧) مَاسَ مَنْ يَهْوَاكَ تِيهَا فَلَا عَتَبُ
وَمَنْ ذَا يَرَى ذَاكَ الْجَمَالَ فَلَا يَصْبُو^(٨)

(١) ج: فيكم منكم .

(٢) ج: له حارت فداء تكم!

(٣) تنبو؛ تبتعد . . والنبوة في اللغة، الجفوة والإقامة والارتفاع (لسان العرب ٣/ ٥٧٣) .

(٤) القطب؛ هو قمة الترتيب الطبقي للأولياء . . وهو الإنسان الكامل في كل زمان [راجع: الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي ص ٦٩ وما بعدها] .

(٥) أ: هناك .

(٦) يرى الصوفية أن القطب [الإنسان الكامل] هو نقطة دائرة الوجود، ومركز دوران الأفلاك، وهي الفكرة التي عرض لها ابن عربي بتوسع في [الفتوحات المكية] وغيرها من رسائله الصغرى . . ولا شك في أن هذه الفكرة ترتبط بشكل ما، بالاعتقاد في أن الأرض التي خلقها الله للإنسان - هي مركز الأفلاك السماوية كلها!

(٧) الأبيات في أ، ب، وساقطة من ج . (٨) ب: ولا يصب .

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُسْقَى بِذِكْرِكَ^(١) قَهْوَةً
 وَلَا يَنْشِئُ تَيْهًا وَيَزْهُو^(٢) بِهِ الْعُجْبُ
 سَبَيْتِ^(٣) الْوَرَى حُسْنًا وَأَنْتَ مُحَجَّبٌ
 فَكَيْفَ بِمَنْ يَهْوَاكَ^(٤) إِنْ زَالَتْ الْحُجْبُ
 وَأَصْبَحْتَ مَعْشُوقَ الْقُلُوبِ بِأَسْرَهَا
 وَمَا ذَرَّةٌ^(٥) فِي الْكَوْنِ إِلَّا لَهَا قَلْبٌ^(٦)
 ه إِذَا سَكِرَ الْعُشَّاقُ كُنْتَ نَدِيمَهُمْ
 وَأَنْتَ لَهُمْ سَاقٍ وَأَنْتَ لَهُمْ شُرْبُ
 وَإِنْ زَمَزَمَ^(٧) الْحَادِي وَمَالُوا صَبَابَةً
 فَلَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ سِوَاكَ وَلَا أَرْبُ
 وَلِمَ لَا يَذُوبُ الْعَاشِقُونَ صَبَابَةً
 وَوَجَدَا وَسُلْطَانَ الْمِلَاحِ لَهُمْ حِبُّ

(١) ب: بيدك .

(٢) ب: ويزهوا .

(٣) ب: سلبت .

(٤) مطموسة في أ .

(٥) ب: ولا ذرة .

(٦) يستند الصوفية إلى قوله تعالى «وإن من شيء إلا يسبح بحمده» وقوله تعالى «ولله يسجد ما في السموات والأرض» فيعبرون بصيغ مختلفة عن ذلك المشهد الذوقي الذي يرى فيه الصوفي كل ذرات الوجود منجذبة إلى الله بفعل المحبة ومسبحة بحمده بحكم الافتقار إليه . . وربما تشابهت هذه الفكرة مع ما يقرره أرسطو في تفسيره لحركة العالم، باعتبار العالم منجذبا إلى الله (المحرك الأول) المنجذب تعشق . لكن هذا الربط بين آراء أرسطو الفلسفية، ومشاهد الصوفية الذوقية - وهو ما نجده عند بعض الباحثين - يحمل بين طياته الكثير من التعسف .

(٧) الزمزمة؛ الصوت الخفى . . وقوله «زمزم الحادي» إشارة إلى ارتقاء قافلة الأرواح في سيرها إلى قرب الحق تعالى .

ا لِي فِي هَوَاكُم مَّذْهَبٌ مُّذْهَبٌ
 وَمَطْلَبٌ مَّامِنُهُ مَطْلَبٌ
 أَصْبَحْتُ عَبْدًا رَاضِيًا بِاللَّذِي
 تَرْضُونُ^(١) لَا أَرْجُو وَلَا أَرْهَبُ^(٢)
 إِذَا تَجَلَّى كَأَسُّ سَاقِيكُمْ
 كُنْتُ لَهُ أَوَّلُ^(٣) مَنْ يَشْرَبُ
 وَإِنْ تَغَنَّى^(٤) بِاسْمِكُمْ مُنْشِدُ^(٥)
 فَإِنَّنِي أَوَّلُ مَنْ يَطْرَبُ
 ه يَا قَمْرًا فِي مُهْجَتِي^(٦) لَمْ يَزَلْ
 مَطْلَعُهُ الْمَشْرِقُ^(٧) وَالْمَغْرِبُ
 وَيَا غَزَالَ فِي فُؤَادِي لَهُ
 مَرَعَى^(٨) وَمِنْ دَمْعِي لَهُ مَشْرَبُ

(١) أ: يرضون.

(٢) يشير التلمساني هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بسقوط الدارين، وهو ما يكون حينما يصل الصوفي إلى منتهى مقام الرضا، فتسقط إرادته وتديره بالكلية. . وهو المعنى الذي أشار إليه الإمام عبد القادر الجيلاني حين قال:

أصبحت لا أملا ولا أمنيّة أرجو ولا موعودة أترقب

(٣) ج: أكرم.

(٤) ب: تغنا.

(٥) ب، ج: منشدا.

(٦) ب: حسنة.

(٧) أ: الحسن. (٨) ب، ج: مرعا.

مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي هَوَاكَ الَّذِي

كُلُّ نَعِيمٍ فَلَهُ يُنْسَبُ

[البسيط]

أُبْنِكِرُ الْوَجْدُ^(١) أَنِّي فِي الْهَوَى شَحِبُ^(٢)

وَدُونُ كُلِّ دُخَانٍ سَاطِعٍ لَهَبُ

وَمَا سَلَوْتُ كَمَا ظَنَّ الْوُشَاةُ وَلَا

أَسْلُو كَمَا يَتَرَجَّى^(٣) الْعَاذِلُ التَّعِبُ

فَإِنْ بَكَى^(٤) لِصَبَابَاتِي عَذُولُ هَوَى

فَلِي بِمَا مِنْهُ يَبْكِي عَاذِلِي طَرْبُ^(٥)

نَاشِدْتُكَ اللَّهُ يَا رُوحِي اذْهَبِي كَلْفَا

بِحُبِّ قَوْمٍ عَنِ الْجَرَعَاءِ^(٦) قَدْ ذَهَبُوا

(١) الوجد؛ حال صوفى يشير إلى آثار المحبة . . ومن أكثر تعريفاته شهرة، ما نقله السراج الطوسى فى كتابه اللمع (ص ٣٧٩) عن أبى سعيد بن الأعرابى حين يقول: الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو دأع إلى واجب أو مناجاة بسر . . ولاستشراق آفاق الدلالة الصوفية لهذا المصطلح، يمكن الرجوع إلى [اللمع ص ٣٧٥ - التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٤ - اصطلاح الصوفية ص ٥].

(٢) أ: شجب .

(٣) أ: يرتجى .

(٤) ب: يكن .

(٥) ج: الطرب .

(٦) الجرعاء؛ الأرض الرملية الجرداء المستوية [لسان العرب ١/ ٤٤٣] وهى اسم لموضع يشير به الصوفية إلى مقامات القرب من الله .

٥ لَا تَسْأَلِيهِمْ ذِمًّا فِي مَحَبَّتِهِمْ
 فَطَالَ مَا قَدَّ وَفَا بِالذِّمَّةِ الْعَرَبُ
 هُمْ أَهْلُ وُدِّي وَهَذَا وَاجِبٌ لَهُمْ
 وَإِنَّمَا وَدُّهُمْ لِي فَهُوَ لَا يَجِبُ
 هُمْ أَلْبَسُونِي سَقَامًا مِنْ جُفُونِهِمْ
 أَصْبَحْتُ أَرْفُلٌ فِيهِ وَهُوَ يَنْسَحِبُ^(١)
 وَصَيَّرَتْ أَدْمُعِي حُمْرًا خُدُودُهُمْ
 فَكَيْفَ أَجْحَدُ مَا مَنُّوا وَمَا وَهَبُوا
 هَلِ السَّلَامَةُ إِلَّا أَنْ أَمُوتَ بِهِمْ
 وَجَدًّا وَإِلَّا فَبُقَيَايَ هُوَ الْعَطْبُ^(٢)
 ١٠ إِنْ يَسْلُبُوا الْبَعْضَ مِنِّي فَالْجَمِيعُ لَهُمْ
 وَإِنَّ أَشْرَفَ أَجْزَائِي الَّذِي سَلَبُوا^(٣)
 لَوْ تَعَلَّمُ الْعَذَبَاتُ^(٤) الْمَائِسَاتُ بِمَنْ
 قَدْ بَانَ^(٥) عَنْهَا إِذَنْ مَا اخْضَرَّتِ الْعَذَبُ^(٦)
 وَلَوْ دَرَى مَنْهَلُ الْوَادِي^(٧) الَّذِي وَرَدُوا
 مَنْ وَارِدُوا مَائِهِ لَاهْتَزَّهُ^(٨) الطَّرْبُ

(١) ج: فيها وهي تنسحب.

(٢) ب: فإبقاي هو العجب.

(٣) أ: فإن أشرف أجزاءي، ب: وإن أشرف أجزاء، ج: فإن أشرف جدي.

(٤) ب: الغاديات. (٥) ج: غاب.

(٦) العذب؛ طرف كل شيء. والعذب والعذبات أغصان الشجر [لسان العرب ٧١٦/٢].

(٧) ج: الوداد. (٨) ب: واردة ماؤه لاهتزته، ج: من في قبابهم لاهتزت.

إِنِّي لَأَكْتُمُ^(١) أَنْفَاسِي إِذَا ذُكِرُوا
 كَيْلًا يُحَرِّقُهُمْ مِنْ زَفَرَتِي اللَّهَبُ
 وَتُرْسِلُ الدَّمَعَ عَيْنِي فِي^(٢) مَنَازِلِهِمْ
 كَيْلًا تُسَابِقُهَا^(٣) فِي سَحَّهَا السُّحْبُ
 ١٥ كَذَا لِكُلِّ^(٤) مُحِبِّ غَيْرَةٍ^(٥) لَهُمْ
 وَعِنْدَ كُلِّ غَيْبٍ فِطْنَةٌ عَجَبُ
 أَسْأَلُ الْبَانَ عَنْ مَيْلِ^(٦) النَّسِيمِ بِهِمْ
 سُؤَالَ^(٧) مَنْ لَيْسَ يَدْرِي فِيهِ مَا السَّبَبُ^(٨)
 وَتِلْكَ^(٩) آثَارُ لَيْنٍ مِنْ^(١٠) قُدُودِهِمْ
 مَرَّتْ بِهَا^(١١) الرِّيحُ فَاهْتَزَّتْ لَهَا^(١٢) الْقُضْبُ^(١٣)

(١) = ب، ج: لا كظم.

(٢) ج: في عيني.

(٣) أ: كي لا يسابقي، ب: كي لا يشابهها.

(٤) ب: كذا كل.

(٥) . . عبرة؛ والكلمة غير منقوطة في أ.

(٦) ب: هل مر.

(٧) أ: سواك؟ : سواك

(٨) ب: فيهم السبب.

(٩) = ب

(١٠) ج: ليلى في.

(١١) ج: به. (١٢) أ: به.

(١٣) القضب؛ الأغصان. وهو أيضا نوع من الشجر، له ورق كورق الكمشري، إلا أن القضب ورقة أرق وأنعم . . وهى هنا كناية عن الأرواح التى تهتز شوقا إلى عالم النور. وفى مخطوطة أ ورد البيت التالى:

يصحو السكارى ولا أصحو ظما بكم ويسكر السكر من بعض الذى شربوا

١ نَعَمْ^(١) هَذِهِ الدَّارُ الَّتِي أَنْتَ^(٢) تَطْلُبُ
 إِلَى أَيْنَ عَنْهَا يَا لَكَ الخَيْرُ تَذْهَبُ
 أَعَنْ دَارَ لَيْلَى بَعْدَ مَا بَانَ بِأَنْهَا^(٣)
 وَفَاحَ شَذَا أَنْفَاسِهَا تَتَحَجَّبُ^(٤)
 لَقَدْ سَمَحَتْ رُوحِي بِقُرْبِ مَزَارِهَا
 بِفُرْقَةِ جِسْمٍ لَمْ تَزَلْ فِيهِ تَرْغَبُ^(٥)
 وَهَلْ كَانَتْ الأَجْسَادُ إِلاَّ مَطِينًا
 تُقْرِبُهَا^(٦) مَعْنَى لَهَا حِينَ تَقْرَبُ
 ه نَعَمْ ذَلِكَ المَعْنَى الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ
 بِدُورِ سَنَاهَا^(٧) بَعْدَ مَا عَنكَ تَغْرُبُ
 وَوَلَّاحَتْ وَهَلْ يَوْمًا^(٨) تَوَارَتْ وَإِنَّمَا
 بِتَنْزِيهِهَا عَنْ ذَلِكَ طَرْفِي^(٩) يُكْذِبُ

(١) الأبيات في أ، ج وساقطة من ب .

(٢) ج ١ : نحن نطلب .

(٣) البان ؛ نوع من الشجر .

(٤) ج : تنجب .

(٥) في ج ورد البيت على هذه الصورة :

لقد عذمت عيني لفقد مزارها بطرفة جفن لم تزل فيه ترقب

(٦) ج : تقربنا منها حين تقرب .

(٧) أ : سنى ما بعدها .

(٨) ج : يوم .

(٩) أ : ينزهها عن ذلك طرفك .

١ ندى^(١) في الأفحوانة أم رُضاب^(٢)
 وظل^(٣) في الشقيقة^(٤) أم سراب^(٥)
 فتلك^(٦) وهذه ثغر^(٧) وكأس^(٨)
 بدأ^(٧) ظلم^(٨) وفي هذى شراب^(٩)
 وخضر^(٩) خمائل^(٩) كسجوم^(١٠) غيد^(١٠)
 قد انتقشت ورق^(١١) بها^(١١) الخطاب^(١٢)
 يريك بها الشقيق سواد هذب^(١٣)
 وحمرة وجنة فيها التهاب^(١٤)
 وورق^(١٣) حمائم في كل^(١٣) فن^(١٣)
 إذا نطقت لها لحن صواب^(١٤)

(١) وردت الأبيات الأربعة الأخيرة في هامش ب، وبقية الأبيات ساقطة من المخطوطة.

(٢) في ج (شراب) . . والرضاب هو الريق، ويقال أيضا لقطع السكر والثلج وفتات المسك [لسان العرب ١/١١٧٥].

(٣) في ج (ظل) . . والظل؛ الندى الذي تخرجه عروق الأشجار إلى غصونها، وهو أيضا: المطر الخفيف الذي ينزل من السماء في الصحور . والظلة، الخمرة اللذيذة [لسان العرب ٢/٦٠٩].

(٤) الشقيقة؛ زهرة حمراء . والجمع شقائق، يقال «شقائق النعمان» لأن النعمان بن المنذر حمى أرضا، فكثرت فيها هذه الزهرة .

(٥) ج: رضاب . (٦) ج: وتلك .

(٧) ج: بلا .

(٨) الظلم؛ الثلج . ويقال أيضا لرقعة الأسنان وبياضها .

(٩) ج: حمائم .

(١٠) السجوم؛ شجر له ورق طويل [لسان العرب ٢/١٠٢] ويقال «نبات غيد» أي ينثني من نعمته .

(١١) ج: لها .

(١٢) الخطبة؛ الخضرة .

(١٣) الورق؛ جمع ورقاء . . وهي الحمامة الرمادية .

لَهَا بِالظَّلِّ أَزْرَارٌ^(١) حِسَانٌ
وَأَطْوَاقٌ وَمِنْ وَرَقٍ^(٢) ثِيَابٌ
كَأَنَّ النَّهْرَ سَيْفٌ مَشْرَفِيٌّ^(٣)
لَهُ فِي كَفِّ صَيْقَلِهِ^(٤) اضْطِرَابٌ
تُجَرِّدُهُ يَمِينُ الشَّمْشِ طَوْرًا
وَطَوْرًا بِالظَّلَالِ لَهُ قِرَابٌ
يُعَابُ السَّيْفُ إِذْ فِي جَانِبِيهِ
فُلُولٌ وَهُوَ مِنْهَا لَا يُعَابُ^(٥)
١٠ فَإِنْ قُلْتَ الْحَبَابُ أَنْسَابٌ ذُعْرًا^(٦)
وَرُمْتَ الرَّقْشَ^(٧) صَدَقَّكَ الْحَبَابُ
وَلِلْأَعْصَانِ هَيْئَةٌ^(٨) تُحَاكِي
حَبَابِ رَقِّ بَيْنَهُمْ^(٩) الْعِتَابُ
تَثَنَّتْ وَالْحَمَامُ لَهَا يُغْنِي
كَشْرَبٍ مُدَامَةً شَرِبُوا وَطَابُوا^(١٠)

(١) ج: أزار .

(٢) الورق؛ الفضة والدرهم المضروبة منها [لسان العرب ٣ / ٩١٢] .

(٣) ج: مشرفى .

(٤) ج: صليقة .

(٥) يشير التلمسانى إلى التعاريج التى تكون بصفى النهر ، فتزيده جمالا .

(٦) ج : وعرا .

(٧) ج : الرقص .

(٨) الهيئمة ؛ الكلام الخفى لا يفهم [لسان العرب ٣ / ٨٣٩] .

(٩) أ: بينهم رق ، ج : رق بينها .

(١٠) ب : وطاب .

١ لَوْلَا^(١) الْحِمَى وَصَبَايَا^(٢) بِالْحِمَى عُرْبٌ
 مَا كَانَ فِي الْبَارِقِ النَّجْدِي^(٣) لِي أَرْبٌ
 حَلَّتْ عُقُودَ اصْطِبَارِي دُونَهُ حُلٌّ
 حُقُوقُهَا كَارْتِيَا حَاتِي^(٤) لَهَا تُجِبُّ
 وَفِي رِيَاضِ بِيئُوتِ الْحَيِّ مِنْ إِضْمٍ^(٥)
 وَرَدُّ جَنِيٍّ وَفِي أَكْمَامِهَا الْقُضْبُ^(٦)
 يَسْقِي الْأَقَا حِي مِنْهَا قُرُقُفٌ^(٧) فَيَاذَا
 لَاحَ الْحَبَابُ عَلَيْهَا فَاسْمُهُ الشَّنْبُ^(٨)
 هـ يَقْضِي بِهَا لِعُيُونِ النَّاطِرِينَ عَلَيَّ
 كُلُّ الْقُلُوبِ قَضَاءٌ مَالَهُ سَبَبٌ
 إِلَّا تَمَارُضُ^(٩) أَجْفَانٍ إِذَا سَلَبْتِ
 فَمُقْتَضَى هَمَّهَا الْمَسْلُوبُ لَا السَّلْبُ

(١) الأبيات في أ، وساقطة من ج.

(٢) أ: وظبا، ج: وظباتي.

(٣) البارق؛ الجبل. . وهو اسم نهر بباب الجنة [معجم البلدان ١/ ٣٢٠].

(٤) غير واضحة في ج.

(٥) إضم؛ الوادي الذي بجبال تهامة - حيث تقع المدينة المنورة - يسمى من عند المدينة (القناة) ومن أعلى

منها (الشظاة) ومن عند الشظاة إلى البحر، يسمى إضما [معجم البلدان ١/ ٢١٤].

(٦) أ، + ج: ومن أكمامها يهب.

(٧) القرقف؛ الماء البارد الصافي. وهو اسم من أسماء الخمر [لسان العرب ٣/ ٧٠].

(٨) الشنب؛ البرد والعذوبة في الفم. ويقال أيضا لبياض الأسنان وبريقها [لسان العرب ٢/ ٣٦٦].

(٩) أ: تمرض.

وَلِي لَدَى (١) الْحِلَّةِ (٢) الْفِيحَاءِ غُصْنٌ نَقَا (٣)
 يَهْفُو فَيَجْذِبُهُ خَفَقٌ فَيَنْجَذِبُ
 لَا يَقْدِرُ الْحَبُّ أَنْ يُخْفِيَ مَحَاسِنَهُ
 وَإِنَّمَا فِي سَنَاهُ الْحُجْبُ تُحْتَجِبُ
 أَعَاهِدُ الرَّاحَ أَنِّي (٤) لَا أَفَارِقُهَا
 مِنْ أَجْلِ أَنْ الشَّيَا شِبْهُهَا الْحَبِّ
 ١٠ وَأَرْقُبُ الْبَرْقَ لَا سَقِيَاءَ مِنْ أَرَبِي
 لَكِنَّهُ مِثْلُ خَدِيدِهِ لَهُ (٥) لَهَبٌ
 يَا سَالِمًا فِي الْهَوَى مِمَّا أُكَابِدُهُ
 رَفِقًا بِأَحْشَاءِ صَبٍّ شَفَّهَا الْوَصَبُ
 فَالْأَجْرُ يَا أَمْلَى إِنْ كُنْتَ تَكْسِبُهُ
 مِنْ كُلِّ ذِي كَبِيدٍ حَرَاءً تَكْتَسِبُ (٦)
 بَا بَدْرَتَمَّ مُحَاقِي (٧) فِي زِيَادَتِهِ
 مَا أَنْ تَنْجَلِي (٨) عَنْ أَفْقِكَ السُّحْبُ (٩)

(١) أ: لذا.

(٢) الحلة؛ شجرة شاكة أصغر من العوسج. وهي اسم علم لعدة مواضع [راجع، ياقوت: معجم البلدان

٢/ ٢٩٤].

(٣) أ: نقي.

(٤) ج: فيه.

(٥) ج: لها.

(٦) أ: تكتسب.

(٧) المحاق؛ آخر الشهر إذا أمحق الهلال فلم ير [لسان العرب ٢/ ٤٤٦].

(٨) ج: ينحلي.

(٩) ج: الحجب.

صَحَا السُّكَارَى وَسُكِّرَى فِيكِ^(١) دَامَ وَمَا

لِلسُّكْرِ^(٢) مِنْ سَبَبٍ يُرَوَى وَلَا نَسَبٌ

١٥ قَدْ أَيْسَ الصَّبْرَ وَالسَّلْوَانَ أَيْسَرَهُ

وَعَاقَبَ الصَّبَّ عَنْ آمَالِهِ الْوَصَبُ^(٣)

وَكَلَّمَا لَاحَ يَا دَمْعِي وَمَيْضُ سَنِيٍّ

تَهْمِي وَإِنْ هَبَّ يَا قَلْبِي صَبًّا تَجِبُ^(٤)

[المنسرح]

١ مَا صَادِحَاتُ^(٥) الْحَمَامِ فِي الْقُصْبِ

وَلَا ارْتِفَاعُ الْمُدَامِ بِالْحَبِّبِ

إِلَّا لِمَعْنَى إِذَا ظَفَرْتُ بِهِ

أَلْزَمَكَ الْحَدُّ صُورَةَ اللَّعْبِ

مِنْ أَجْلِ ذَا فِي الْجَمَالِ مَا نَقَلْتُ

قَوْمًا عَنِ الْقَبْضِ بَسْطَةً^(٦) الطَّرَبِ

(١) + أ: منك .

(٢) للسُّكْرِ في الاصطلاح معنيان، الأول: نشوة المحبة وغلبة الوجد والغناء عما سوى الله بفعل الجذب الإشرافي . . والمعنى الآخر: نشوة الأرواح بالتوحيد الشهودي في عالم الذر، وهو المعنى الذي قال

فيه ابن الفارض في مطلع رائعته الخمرية:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

(٣) ج: وعاق (ذو) العتب من آماله السلب!

(٤) تهمة، تنهمر . . الصبا، ريح باردة . . تجب، تضطرب .

(٥) الأبيات التالية في (أ) وليست بياقي النسخ الخطية . وهي في جملتها خطاب من الشاعر للمريد المبتدئ، مشيراً لهذ المرید بالحقيقة الصوفية القائلة بأن كل ما في الوجود، إنما هو تجليات الجمال الإلهي؛ ناصحاً باتباع عشاق هذا الجمال . . أي مشايخ الطريق الصوفى .

(٦) القبض والبسط، كلمتان قرآنيتان (سورة البقرة، آية ٢٤٥) وهما عند الصوفية حالان متقابلان، فالقبض هو غلبة الخوف الناشئ من معرفة جلال الله تعالى، والبسط هو غلبة الرجاء بعد مشاهدة =

قَدْ شَاهَدُوا^(١) مُطْلَقَ الْجَمَالِ بِلَا
 رَقِيبٍ غَيْرِيَّةٍ^(٢) وَلَا حُجْبٍ
 ه فَأَوْلَعُوا بِالْقُدُودِ مَا يَسَّةُ
 أَعْطَافُهَا وَالْمَبَاسِمِ الشُّبِّ^(٣)
 وَأَفْتَتَنُوا بِالْعُيُونِ إِنْ رَمَقَتْ
 تَرْمِي قَسِيًّا بِأَسْنِهِمِ الْهُدْبِ
 وَأَسْلَمُوا فِي الْهَوَى أَزَمَّتَهُمْ
 طَوْعًا لِحُكْمِ الْكَوَاعِبِ الْعُزْبِ^(٤)
 مَا فِي خَبَايَا غَرَامٍ أَنْفُسِهِمْ
 شَائِبَةٌ مِنْ شَوَائِبِ الرَّيْبِ
 قَدْ خُلِقَتْ لِلْجَمَالِ أَعْيُنُهُمْ
 وَطَهَّرَتْ بِالْمَدَامِعِ السُّرْبِ^(٥)

- = تجليات الجمال الإلهي (راجع: الرسالة القشيرية ص ٣٥، اللمع في التصوف ص ١٥٦، اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص ١٢، اصطلاحات الصوفية للقاشاني ص ٣٧).
- (١) الشهود عند الصوفية، هو رؤية الحق بالحق، ومعرفة شواهد الحق التي هي حقائق الأكوان الشاهدة بالكون، الدالة عليه (انظر، القاشاني: اصطلاحات الصوفية ص ١٥٣، ١٥٤).
- (٢) الغيرية: كل ما سوى الله.
- (٣) الشنب؛ بياض الأسنان وبريقها.. والمعنى المراد هنا، أن الصور المستحسنة هي إشارات للجمال الأزلي. وتعلق الصوفي إنما يكون بجوهر الجمال، لا بظاهر صورته الحسية المتجلية في الكون، وذلك ما أشار إليه التلمساني في البيت الثامن وما بعده.
- (٤) كواعب؛ جمع «كاعب» وهي المرأة حين يبدو ثديها للنهوض (لسان العرب ٣/ ٢٦٦) والعزب؛ جمع «عازبة» وهي المرأة التي لا زوج لها ويقال «عزبت الأرض» إذا لم يكن بها أحد (لسان ٢/ ٧٦٣) وعادة ما يشير الصوفية بالكواعب.. على ما في ذلك من معنى حسي - إلى تلك الواردات الإلهية التي تشرق عليهم في خلواتهم.
- (٥) يلاحظ هنا أن التلمساني قد جعل «الدمع» بمثابة ضوء العين وطهارتها.. وانظر فيما يتعلق بالبكاء ودلالته الصوفية، ما نذكره في تعليقاتنا الآتية.

١٠ مَالِحَظُوا رُتْبَةَ تَقْيِيدِهِمْ

وَهُمْ جَمِيعًا عِمَارَةُ الرُّتْبِ (١)

فَطْفُ بِحَانَاتِهِمْ عَسَى قَبَسٌ

مِنْ بَعْضِ كَاسَاتِهِمْ بِلَا لَهَبِ

تَصْرِفٍ مِنْ صَرَفِهَا هُمُومَكَ أَوْ

تُصْبِحُ فِي الْقَوْمِ (٢) مُلْحَقَ النَّسَبِ

وَكُنْ طُفَيْلَتَهُمْ عَلَى أَدَبِ

فَمَا أَرَى شَافِعًا سِوَى الْأَدَبِ

وَإِنْ تَدَانَيْتَ مِنْ سُورَادِقِهِمْ

فَاسْجُدْ لِعِزِّ الْجَمَالِ وَأَقْتَرِبِ (٣)

١٥ وَغِبْ حَنَانِيكَ فِي حُضُورِهِمْ

عَنَّكَ فَمَنْ غَابَ عَنْهُ لَمْ يَغِبِ (٤)

(١) الرتب؛ الأحوال والمقامات . . وهى الدرجات الروحية التى ينزل بها الأولياء فى الطريق الصوفى الممتد من الخلق إلى الحق : وللصوفية كلام مطول فى الأحوال والمقامات والفرق بينهما، فمن ذلك قول القاشانى : الحال ما يرد على القلب بمحض الموهبة، من غير تعمل ولا اجتلاب، كالخزن والخوف والبسط؛ فإذا دام وصار ملكاً، سُمى مقاما «اصطلاحات الصوفية ص ٥٧) وللمزيد حول هذه النقطة، يمكن الرجوع إلى الفصول التى عقدها السهروردى فى ذلك بكتابه (عوارف المعارف، ص ٢٢٥ وما بعدها).

(١) القوم - فى الاصطلاح الصوفى - إشارة إلى الصوفية وأهل الطريق .

(٣) قوله تعالى : «واسجد واقترب . . العلق ١٦» .

(٤) الغيبة؛ هى أن يغيب الصوفى من حظوظ نفسه فلا يراها (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٤٠) وهى غيبة القلب من كل ما يجرى من أحوال الخلق، لاشتغاله بأمر الحق تعالى (ألفاظ الصوفية ومعانيها ص ٢٤٥) . . والغيبة التى يشير إليها التلمسانى هنا، هى التى عرض لها الكلاباذى حين قال : وغيبة أخرى، وهى أن يغيب الصوفى عن الفناء والفانى، بشهود البقاء والباقي، فيكون الشهود شهود عيان، وتكون الغيبة غيبة عن شهود الضر والنفع . . لاغيبه استتار واحتجاب (التعرف ٤١) وذلك هو المراد فى إشارة التلمسانى إلى الغيبة فى الحضور .

١ وَأَصَلَنِي ^(١) هَجَرٌ مِّنْ أَحِبُّ
فَلَمْ ^(٢) يَغِبْ لَّا وَلَا يَغِيْبُ
فَلَوْ يَكُونُ السُّلُو حَـيِّا ^(٣)
مَا مَاتَ مِّنْ هَجَرِهِ الْمُحِبُّ
وَأَرْحَمَتَا لِانْكِسَارِ جَفْنِ
لَّا يَعْرِفُ الصَّخْوَمِثُ هَدْبُ
جَارِ ^(٤) عَلَيْهِ الْخُمَارُ حَتَّى
أَتْلَفَهُ ^(٥) وَالْخُمَارُ صَعْبُ
هـ يَا غُصْنًا لَا يَمِيلُ ^(٦) نَحْوِي
وَالْمَيْلُ فِي الْغُصْنِ مُسْتَحَبٌ ^(٧)
صَيَّرْتَنِي ^(٨) كَالنَّسِيمِ سُقْمًا
لِمَ لَا تَمِيلُ إِذَا أَهَبُ

(١) الأبيات في أ، ج.

(٢) ج: قلم.

(٣) ج: فلو يكون للسلوحيا.

(٤) أ: جاز.

(٥) أ: أسقمه.

(٦) ج: يميل.

(٧) أ: يستحب.

(٨) = ج.

أَحْكُمُ^(١) فَفِيكَ الْعَذَابُ عَذْبُ
مَا بَعْدَ حُلُوِّ الْخِطَابِ خَطْبُ
لِي وَلَهُ فِي هَوَاكَ فَنَارُ
وَدَمَعُ صَبَّ عَلَيْنِكَ صَبُّ
وَمَا تَنْزَهْتُ فِيكَ حَتَّى
فِيكَ نَزَهْتُ^(٢) حِينَ أَصْبُو
وَأَمَكَّنَنِي مِنْ لَمَمَاكَ بَرَقُ
مِنَ الْحَيَا لَا يَكَادُ يَخْبُو
يَا سَائِلِي عَنْ شَذَا نَسِيمِ
قَمِيمِ صُهُ بِالْوِصَالِ رَطْبُ
ذَاكَ سَلَامُ الْحَبِيبِ وَأَفِي
فِي عَهْدِهِ لِلْكَثَامِ قُرْبُ
إِذَا تَجَلَّى عَلَيَّ النَّدَامَى
فَهُوَ لَهُمْ خُضْرَةٌ وَشُرْبُ
وَعَادِلِي عَادَ لِي بِلُطْفِ
تَكَادُ مِنْهُ الصَّبَابَاتُ تَهْبُ
أَضْمَرَ غَدْرًا فَعَادَ عُدْرًا
إِذْ رُفِعَتْ لِلْمُحِبِّ حُجْبُ

(١) الأبيات في أقط .

(٢) غير واضحة في الأصل .

١ رَوَتْ^(١) نَفَحَاتُ الطَّيِّبِ عَنْ نَسْمَةِ الصَّبَا
 حَدِيثَ غَرَامٍ عَنْ سُويكِنَةَ الخِيبَا^(٢)
 وَأَهْدَى النَّسِيمُ الحَاجِرِيَّ^(٣) سَلَامَهَا .
 فَيَا لَطْفَ مَا أَهْدَى النَّسِيمُ وَمَا حَبَا
 أَيَا صَاحِبِي مَا لِلحِمَى فَاحِ نَشْرُهُ^(٤)
 فَهَلْ سَحَبَتْ لَيْلَى ذِيولاً عَلَى الرُّبَا
 فَمَاذَا الشَّدَا إِلَّا وَقَد زَارَ طَيْفَهَا
 فَأَهْلًا بِطَيْفِ زَارِ مِنْهَا وَمَرْحَبَا
 ه فَيَا طِيبَ عَيْشِ مَرَّرَلِي بِفِنَائِهَا
 وَلَوْ عَادَ يَوْمًا كَانَ عِنْدِي أَطِيبَا
 لِيَالِي أَنَسُ كُلِّهَا سَحَرُ بِهَا
 وَأَيَّامٌ وَضَلَّ كُلُّهَا زَمَنُ الصَّبَا
 مُمْنَعَةٌ رَفَعُ الحِجَابِ وَضَوْؤُهَا
 كَفَّاهَا فَمَا تَحْتَاجُ أَنْ تَتَّقَبَا^(٥)

(١) الأبيات في أقط .

(٢) سويكينة؛ تصغير (ساكنة) والخبيا، مخفف (خباء) وهو من بيوت الأعراب التي تتخذ من وبر أو صوف (لسان العرب ١/٧٨٩).

(٣) الحاجر؛ منزل من منازل الحاج في البادية (لسان ١/٥٧٣) وهو في لغة العرب؛ ما يمسك الماء من شفة الوادي (معجم البلدان ٢/٢٠٠٤).

(٤) النشر؛ الريح الطيبة.

(٥) في الحديث الشريف: إن لله سبعين حجبا من نور. (أخرجه: مسلم، باب الإيمان ٢٩٣ - ابن حنبل، المسند ٤/٤٠١، ٤٠٥ - ابن ماجه، المقدمة ١٣).

هِيَ الشَّمْسُ إِلَّا أَنْ نُورَ جَمَالِهَا
يُنزَّهُهَا فِي الحُسْنِ أَنْ تَحَجَّبَا
لَئِنْ أَخْلَفَ الوَسْمِيُّ^(١) مَاحِلَ تَرْبِهَا
فَقَدْ رَاحَ مِنْ دَمْعِ المُحِبِّينَ يَخْصِبَا

[الكامل]

١ لَوْلَا^(٢) الحَيَاءُ وَأَنْ يُقَالَ صَبَا^(٣)
لَصَرَخْتُ مِلءَ السَّمْعِ وَأَطْرَبَا
حَضَرَ^(٤) الحَبِيبُ وَغَابَ حَاسِدُنَا^(٥)
مِنْ بَعْدِ طُولِ تَحَجُّبٍ وَخَبَا^(٦)
فَالْيَوْمَ أَخْلَعُ فِيكَ يَا أَمَلِي^(٧)
ثَوْبَ^(٨) الوَقَا وَأَطْرَحُ الرُّتْبَا^(٩)

(١) الوسمي، مطر أول الربيع، وهو بعد الخريف. سُمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات، فيصير فيها أثرا
ووسما في أول السنة (لسان العرب ٣/٩٢٨).

(٢) الأبيات في أ، ج.

(٣) اعتادت العرب أن تقول لمن كفر: إنه «صبا» وهي الكلمة التي كانت دوما تقال للنبي - عليه الصلاة
والسلام - في بداية دعوته للإسلام. . والصابئة فرقتان مختلفتان تماما، الأولى صابئة بغداد (المنذائية)
وهي فرقة يهودية نصرانية والثانية صابئة حران (عبدة الكواكب) وهي فرقة وثنية عاشت زمنا طويلا في
ظل الدولة الإسلامية، وشارك رجالها في مسيرة العلم بديار المسلمين.

وتذهب صابئة حران إلى أن لهم أنبياء، هم: أغاذيمون وهرمس وأورفيوس، وهم يقولون بأن
للعالم صناعا لا يمكن الوصول إلى جلاله مباشرة، بل لا بد من توسط أرواح الكواكب السبع السيارة،
لذلك جعلوا أماكن عبادتهم على شكل هياكل سبعة، لم يبق حتى القرن الخامس الهجري منها إلا
هيكل القمر. . (راجع دائرة المعارف الإسلامية، مادة صابئة - كارديفو - الترجمة العربية ٨٩/١٤ وما
بعدها).

(٤) أ: حضروا. (٥) ج: حاسده. (٦) أ: وغبا!
(٧) ج: يا مني أملِي. (٨) ج: فيك. (٩) ج: الريبا.

[المنسرح]

١ قُمْ^(١) فَاسْقِنِي مِنْ يَدَيْكَ صَافِيَةً^(٢)
خَدُّكَ يَكْسُو شُعَاعَهَا لَهَا
كَأَنَّ مَاءَ^(٣) الصَّفَاءِ قَابِلَهَا
مِنْكَ أَيْتَسَامُ فَمَثَلِ الْحَبِّبَا
فَهَا أَنَا^(٤) فِي الْحُضُورِ مُتَهَيِّزٌ
يَا مُنِيَّةَ النَّفْسِ غَيْبَةَ الرَّقْبَا
مِنْ عَجَبِ أَنِّي^(٥) أَزِيدُكَ^(٦) مِنْ
شُرْبِي^(٧) وَسُكْرِي عَلَى قَدْ غَلَبَا

[الكامل]

١ أَهْلًا^(٧) بِمُغْتَلِّ النَّسِيمِ وَمَرْحَبَا
وَمُذَكَّرِي عَهْدِ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا
حَمَلِ التَّحِيَّةِ عَنْ أَهْيَلِ الْمُنْحَى^(٨)
وَأَبَانَ عَنْهُمْ بِالْمَقَالِ وَأَعْرَبَا

(١) في المخطوطتين، اتصلت الأبيات دونما فواصل، وربما أدت القافية المتشابهة إلى خلط هذه الأبيات بسابقتها.. ولما كان البحر العروضي مختلفا، فقد فصلنا كلا منهما عن الأخرى.

(٢) الصافية، الخمر.. يشير بها التلمساني هنا إلى الواردات الإلهية.

(٣) ب: كأنما.

(٤) أ: فهانا (٥) .. أن

(٦) أ: استزيدك، ج: أسريك!

(٧) ج: قرى.

(٨) الأبيات في أ فقط.

(٩) المنحى، موضع.. يشير به التلمساني إلى عالم الملكوت.

فَعَرَفْتُ عَرَفَهُمْ^(١) بِهِ لَكِنِّي
 أَتَكْرَتُ صَبْرًا عَنِ عُهُودِي نَكَبًا
 يَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهِمْ
 لَمْ أَلْقَ لِّلسَّلْوَانِ عَنْهُمْ مَازَهَبًا
 ه لَا تَلَحْ^(٢) فِيهِمْ مُغْرَمًا أَلِفَ الضَّنَا
 يَجِدُ السَّقَامَ بِهِمْ لَذِيذًا طَيِّبًا
 نَزَلَ الْغَرَامُ بِهِ فَرَحَّلَ صَبْرَهُ
 عَنْهُ وَخَيْمَ فِي حَشَاهُ وَطَنَبَا
 غِبْتُمْ وَأَنْتُمْ حَاضِرُونَ بِمُهْجَتِي
 أَفَدَى الْحُضُورَ بِمُهْجَتِي وَالْغُيْبَا

[المنسرح]

١ مَاهَبٌ^(٣) مِّنْ نَّحْوِكُمْ نَسِيمٌ صَبَا
 إِلَّا وَأَذَكِي بِمُهْجَتِي^(٤) لَهَا
 وَلَا شَدَا مُطْرَبٌ بِذِكْرِكُمْ
 إِلَّا^(٥) وَنَادَى الْمَشْشُوقُ وَأَطْرَبَا

(١) العرف، الرائحة.

(٢) اللحو، اللوم والعذم. . والملاحاة، كالسياب والشتيم (لسان العرب ٣/ ٣٥٤).

(٣) الأبيات في أ، ج وساقطة من ب.

(٤) ج: لاضلعي.

(٥) -ج.

وَلَا تَذَكَّرْتُ عِيشَةً سَلَفْتُ

بالخيف^(١) إِلَّا وَقُلْتُ وَأَحْرَبَا^(٢)

لَا نَالَ مِنْكَ الْمَشُوقُ بَغْيَتَهُ^(٣)

إِنْ كَانَ يَوْمًا إِلَى سِوَاكَ صَبَا

ه. يَا حَبِّذَا لَوْعَتِي عَلَيْكَ^(٤) وَيَا

بُشْرَايَ إِنْ مُتُّ فَبِكِ^(٥) مُكْتَتِبَا

أَحْبَابَنَا^(٦) هَلْ بِقُرْبِكُمْ أَمَلُ

أَمْ هَلْ بَوْصَلِكُمْ أَرَى سَبَبَا

أَهَّا لِأَيَّامِنَا بِقُرْبِكُمْ

وَطِيبِ عَيْشِ بَوْصَلِكُمْ ذَهَبَا

يَا سَائِقَ الْعَيْسِ^(٧) نَحْوَكَاظِمَةَ

أَبْلُغِ^(٨) سَلَامِي لِنَازِلِينَ قُبَا^(٩)

وَقَلْ قَضَى ذَلِكَ^(١٠) الْمَشُوقُ بِكُمْ

وَمَا قَضَى مِنْ وَصَالِكُمْ أَرَبَا

(١) الخيف، ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع من مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف في منى . . والخيف المشار إليه هنا، هو بطحاء مكة (معجم البلدان ٢/ ٤١٢).

(٢) أ: واخربا.

(٣) ج: مطلبه. (٤) - ج.

(٥) ج: فيك كتيب. (٦) = ج.

(٧) العيس، الإبل. (٨) ج: بلغ.

(٩) قباء، مواضع عديدة . . المشار إليه هنا، مسجد الرسول المشهور الذي وردت في فضله أحاديث كثيرة، وفيه كانت أول صلاة جمعة في الإسلام.

(١٠) أ: ذاك.

[الطويل]

١ قَفَا^(١) بِالْمَطَايَا بَيْنَ نَجْدٍ وَشَعْبِهِ^(٢)
 نُؤَدِي تَحِيَّاتِ الْغَرَامِ لِسَبِّهِ
 فَبَيْنَ رَبَّا تِلْكَ الرَّبُوعِ مَنَازِلُ
 لَعْلَوَةٌ^(٣) مَاءُ الدَّمْعِ أَكْثَرُ شُرْبِهِ
 إِذَا مَا التَّثَمَّنَا بِالنَّوَظِرِ تُرْبَةٌ
 تَمَسَّكَتِ الْأَجْفَانُ مِنَّا بِتُرْبِهِ
 أَجْنُ إِلَيْهَا وَهِيَ قَلْبِي وَهَلْ تَرَى
 سِوَايَ أَخُو^(٤) وَجَدِي يَحْنُ لِقَلْبِهِ
 ه وَيُحْجَبُ طَرْفِي عَنْهُ إِذْ هُوَ نَاطِرِي
 فَمَا بَعْدُهُ إِلَّا لِإِنْرَاطِ قُرْبِهِ

[الطويل]

١ أَيَا^(٥) عَرَبَ الْجَرَعَاءِ مَنْ أَيْمَنَ الشُّعْبِ
 بِكُمْ لَا بَشِيءٍ غَيْرِكُمْ شَغَفُ الصَّبِّ
 أَلَمْ تَعِدُونَا أَنْ نَرَاكُمْ بِذِي الْغَضَا
 أَظَنُّكُمْ تُعْنُونَ أَنَّ الْغَضَا قَلْبِي

(١) الأبيات في أفقط .

(٢) الشَّعْب، الطريق في الجبل، وكل ما انفرج بين جبلين، والشَّعْب هنا، ماء في طريق مكة (معجم البلدان ٣/٣٤٧).

(٣) علوة، معشوقة عربية.

(٤) غير واضحة في ج .

(٥) الأبيات في أفقط .

غَرَامًا بِكُمْ وَالنَّارُ يَضْرُمُهَا الصَّبَا
 أَقُولُ عَلَى نَارِي بِكُمْ لِلصَّبَا هُبِّي
 وَوَجَدًا إِذَا مِلْتُمْ إِلَى مَعَ الْهَوَى
 أَقُولُ اعْتِذَارًا يَحْسُنُ الْمِيلُ لِلْقُضْبِ
 ٥ وَإِنْ تَوَقِدُوا نَارَ الْحَرِيقِ فَكَمْ أَضَا
 وَنَارُ فُؤَادِي فِي حَشَا الْوَالِهِ الصَّبَّ
 وَإِنْ تَجِدُوا بِالشَّعْبِ سَيْلًا وَجُئًا
 فَأَنْتُمْ بِمَجْرَى الدَّمْعِ يَأْسَاكُنِي قَلْبِي
 سَبَبْنَا الْجُفُونَ الْبَابِلِيَّاتُ مِنْكُمْ
 وَإِنْ^(١) لُبَّانَاتُ^(٢) اللَّبَاءَةِ فِي الْحَبِّ
 [نَصِيصٌ فَهَلَّا لِلرَّقِيبِ وَعَاذِلِ
 لَكَيْمَا يَيْتَا فِي عَذَابٍ وَفِي نَصَبٍ]^(٣)
 غَزَالُكُمْ ذَاكَ الْمُمَنَّعُ وَصَلُّهُ
 أَبَاحَ حِمَى دَمْعِي وَبَالَغَ فِي نَهْبِي
 ١٠ هُوَ الظَّبِّيُّ لَا صَائِدُ الظَّبِّيِّ لِحَظُّهُ
 وَيَا مَا أُحْيَلَا الصَّيْدَ فِي شَرَكِ الْهُدْبِ

(١) + أ: وهن .

(٢) اللبانات؛ جمع لبنة . . واللبن في اللغة: الضرب الشديد!

(٣) ما ورد في هذا البيت غريب كل الغرابة عن الإطار العام لشعر الصوفية، فهم كثيرا ما يذكرون في شعرهم ما يعانون من لوم الرقيب والعاذل؛ لكنها المرة الأولى التي نرى فيها تمنى النصب والعذاب لهما . . وربما كان هذا البيت مدسوسا على سياق القصيدة .

حَلَا لِحَظَّهُ وَالْمُرُّ فِي الْحُبِّ وَصَلُهُ
وَلَمْ تَحُلْ حَتَّى مَرَّ فِي رِيقِهِ الْعَذْبِ
عَلَى عِطْفِهِ حَتَّى مِنَ الْوُرْقِ غَيْرَتِي
أَلَمْ تَرَهَا هَاجَتْ عَلَى الْغُصْنِ الرَّطْبِ
فَإِنْ ذَبَلَتْ أَجْفَانُهَا وَهِيَ نَرْجِسُ
فَمِنْ طَوْلٍ مَا أَدْمَنْتُ فِيهِنَّ مِنْ شُرْبِ
وَمِنْ عَجَبٍ وَهِيَ الْكُئُوسُ فَمَالَهَا
إِذَا كُسِّرَتْ صَحَّتْ وَدَارَتْ عَلَى الشَّرْبِ
١٥ فَهَلْ عَاوِدَةٌ فِي لَيْلَةٍ مِنْ ذَوَابَّةِ
عَنِ الْبَدْرِ مِنْ ظَلَمَائِهَا دَائِمًا تُنْبِي
تَرْقَى بِهَا قَلْبِي إِلَى سِرِّ وَقْدِهِ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ تَحْتَهُ سُبْحُ الرَّطْبِ (١)
أَرَادَ (٢) تَوَلَّى الْحَلَّ وَالْعَقْدَ عِنْدَهُ
فَجَارَ عَلَى الْمَسْجُونِ مَنْ مُقْتَضَى الْجَدْبِ
دَعَانِي أَنْكَسَارُ الْجَفْنِ مِنْهُ لُضْمَةٌ
فَجَاوَبَنِي: مَا لِلْغُصُونِ سِوَى الْهُضْبِ
وَعَرَّدَتْ تُغْرِيدَ الْحَمَامِ تَوْصَلًا
إِلَيْهِ لِمَا بَيْنَ الْحَمَائِمِ وَالْقُضْبِ

(١) + أ: سلم من . . وشطر البيت: على محفة السبح الرطب! والسبح، موضع السجود (راجع المزيد من معاني الكلمة في: لسان العرب (٢/ ٨١، ٨٢، ٨٣).
(٢) صدر البيت غير واضح في الأصل.

٢٠ وَقُلْتُ زَكَاةُ الْحُسْنِ فَرَضٌ فَقَالَ مَا

تَمِيلُ^(١) الْغُصُونُ الْوُرُقُ إِلَّا عَلَى النَّدْبِ

[المجتث]

١ يَا سَاكِنِينَ^(٢) بِقَلْبِي

مَتَى أَتُوذُبُ قُرْبِ

سَلْبَتُمْ مَوْنِي وَلَكِنْ

أَنَا السَّعِيدُ بِسَلْبِي

يَا عَرَبَ وَادِي^(٣) الْمُصَلَاً

لَأَنْتُمْ خَيْرُ عَرَبِ

نَزِيلِكُمْ مُسْتَتَهَامٌ

مَوْلَهُ الْقَلْبِ مَسْبِي

٥ وَلَسْتُ أَسْأَلُوهُوَ أَكْم

حَاشَا غَرَامِي وَحُبِّي

إِذَا رَضِيْتُمْ تَلَاقِي

فَذَاكَ مَطْلُوبُ قَلْبِي

رُوحِي لَكُمْ إِنْ قَبِلْتُمْ

وَالرُّوحُ جُهِدُ الْمُحِبِّ

(١) في الأصل: يخيل.

(٢) الأبيات في أ، ج.

(٣) أ: بان.

أَنْتُمْ ذَخِيرَةُ قَلْبِي

يَوْمَ الْمَعَادِ وَحَسْبِي

عَشِيقَتُكُمْ وَبِحَقِّي (١)

إِنْ تَهْتُمْ مِنْ فَرْطِ عَجْبِي

١٠ وَمِلْتُ سُكْرًا وَلَمْ لَا

وَمِنْكُمْ كَأَنَّ شُرْبِي

وَقَدْ سَقَانِي حَبِيبِي

وَخَصَّنِي دُونَ صَاحِبِي

وَلَسْتُ بَعْدَ عِيَانِي

جَاهِرًا سَنَا وَجْهَهُ رَبِّي

أَصْنَبُوبُ وَلِزْنِدِ وَبَانَ

وَذَكَرِ غَارٍ وَكُنْثِبِ (٢)

[مجزوء الخفيف]

١ هَاكَ قَلْبِي فَسِرْبِي

لِلْحَمِي دُونَ سَرْبِي

فَلَكُمْ فِي خِيَامِهِ

مِنْ فَاقِيْدِ لِقَلْبِهِ

(١) أ: ويحق.

(٢) الرند والبان والغار والكثبان - وغيرها - من مظاهر الحسن التي تشير إلى جمال الذات الإلهية . . وهنا، وقد وصل التلمساني إلى معانيه الجمال ذاته، فهو لم يعد ينظر إلى هذه المظاهر المتجلية في الكون، لوقع العين على العين.

وَتَعَرَّضُ بِذَى النَّقْصَا

لِلصَّبَا فِي مَهَبِّهِ
فَهُوَ نَشْرٌ مُعَطَّرٌ

بِشَذَا نَشْرِ عُرْبِهِ

وَإِذَا مَا دَعَاكَ

دَاعَى هَوَاهُمْ فَلَبَّهِ

[الطويل]

١ عُيُونَ^(١) الْحَيَا جُودِي لِتُرْبَةٍ يَثْرِبِ

بَدَمْعِ هُتُونٍ وَذُقْهُ^(٢) مُتَصَوِّبِ

عُودِي^(٣) بِطِيبٍ مِنْ سَلَامِي طِيبُهُ^(٤)

نَسِيمُ الصَّبَا النَّجْدِيَّ يَا خَيْرَ طِيبِ

بِلَادٍ بِهَا لِلْوَحْيِ مَرْبَا^(٥) وَمَرَبِعِ^(٦)

وَمُتَجَعِ الْغُفْرَانِ^(٧) عَنْ^(٨) كُلِّ مُذْنِبِ^(٩)

(١) فى هذه الأبيات : يتعرض التلمساني للكلام عن حقيقة النبى - عليه الصلاة والسلام - كما يراها الصوفية ، ويسهب فى بيان النبى وفقا لنظرية الإنسان الكامل .

(٢) الودق ؛ المطر . . . وهى كلمة قرآنية وردت فى الكتاب العزيز مرتين (النور آية : ٤٣ ، الروم آية : ٤٨) .

(٣) ب ، ج : عاد .

(٤) ب : نشره .

(٥) ب : صربا .

(٦) ج : مرتع . (٧) ب : الفرقان .

(٨) ج : عنى . (٩) ب : مذهب .

وَحَيْثُ^(١) الْكَمَالِ^(٢) وَالطَّلُقُ^(٣) وَالْمَرْكَزُ^(٤) الَّذِي

إِلَيْهِ انْتَهَى^(٤) دَوْرُ الْمُحِيطِ الْمُكْوَكَبِ

هَ أَفَاضَتْهُ أَنْوَارُ الْغُيُوبِ^(٥) عَلَى^(٦) الْوَرَى

إِفَاضَةً^(٧) وَهَبِ خَارِجٍ عَنْ تَكْسِبِ

فَأَخْبَرَ عَمَّا غَابَ بِالشَّاهِدِ الَّذِي

يُرْهِنُ^(٨) بِالْإِعْجَازِ فِي كُلِّ مَطْلَبِ

إِذَا نَظَرْتَ عَيْنِنَا بِصَيْرَتِهِ إِلَى

حَقِيقَتِهِ الْمُثَلَّى فَأَحْسِنِ^(٩) وَأَطِيبِ

يَرَى بَرَزَخَ الْبَحْرَيْنِ^(١٠) كَوْنًا مُكُونًا^(١١)

وَمَطْلَعَهُ^(١٢) فِي حَدِّهِ^(١٣) الْمُتَرْتَّبِ^(١٤)

(١) ب: حيث .

(٢) ب: الركاب .

(٣) ب: المركب، ج: المركز .

(٤) أ- .

(٥) ب: العيون .

(٦) ج: عن .

(٧) ب: أفاضت .

(٨) ب: ترهب .

(٩) أ: محقق .

(١٠) ب: الكونين .

(١١) ب: كون مكون .

(١٢) أ: مطلعها .

(١٣) ج: خده .

(١٤) وفقا لنظرية [الإنسان الكامل] فإن حقيقة صاحب هذا المقام تجمع بين الحقائق العلوية والحقائق السفلية، فهو البرزخ الجامع للبحرين . . وهو المقابل بحد كماله، سائر حقائق الوجود [راجع التناول التفصيلي لهذه النظرية في كتابنا: الفكر الصوفي . . ٦٥ وما بعدها].

فَيَأْخُذُ مِنْ هَذَا لِهَذَا (١) بِحَقِّهِ (٢)

عَلَى نَسْبَةِ مَحْفُوظَةِ الْأُمِّ وَالْأَبِ (٣)

١٠ سر على يد مَعْنَاهُ يَمُرُّ وَجُوبُهُ

لِإِمْكَانِهِ (٤) مَرَّ (٥) السَّحَابِ الْمُصَوَّبِ

فَيَقْبَلُ مِنْهُ (٦) قَابِلٍ (٧) حُكْمُ فَاعِلٍ

بِمَضْمُونِ مِيرَاثِ الْكَمَالِ الْمُهَدَّبِ

وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا التَّوَسُّطِ (٨) مُثْبِتًا

عَلَى النَّاسِ حَقًّا أَوْ تَمَيُّزًا مَتَّصِبًا

(١) ب: بهذا.

(٢) ب: لحقه.

(٣) النسبة المشار إليها هنا، هي نسبة الخلق والاختراع في عالم المخلوقات، وهي محفوظة الأم والأب، باعتبار أن وقوع فعل الإيجاد يكون وفقا لما هو مسطور أزالا في «اللوحة المحفوظ» بفعل «القلم الأعلى». . . ويخصوص الدلالة الصوفية لكلمتي «اللوحة والقلم» يمكن الرجوع إلى: اصطلاح الصوفية لابن عربي ص ١٤ / اصطلاحات الصوفية للقاشاني ص ٧٣ / الإنسان الكامل للجبلي ٥ / ٢ وما بعدها / ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوي ص ٢٧٧ / المعجم الصوفى للدكتورة سعاد الحكيم ص ٣١٤ .

(٤) للوجوب والإمكان مباحث مطولة في الفكر الإسلامي الفلسفي والصوفي: والإشارة هنا إلى ما يعرف بقاعدة انتقال الأشياء من وجودها العلمي الكامن في اللوحة المحفوظ، إلى وجودها العيني الحادث. . . وهناك في الأكوان! فالأول وجود واجب، والآخر وجود ممكن. الأول وجود قديم، والآخر وجود حادث. . . وهناك دلالة أخرى لما يشير إليه التلمساني، وهي أن الحقيقة الأزلية للنبي (الواجب) تتجلى على وجوده الجسمي الزماني (الممكن) تجليا متواترا، يشبهه التلمساني بحر السحاب.

(٥) ج: من.

(٦) ج: عنه قاتل.

(٧) القابل: المخلوقات!

(٨) التوسط: الحقيقة المحمدية التي هي واسطة وجودية بين الخلق والخالق.

وَلَكِنْ يَرَى (١) أَنْ (٢) لَيْسَ حَوْلَ وَقُوَّةً

بِغَيْرِ الْجَوَادِ (٣) الْمُطْلَقِ الْجُودِ فَاعْجَبِ (٤)

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ نُكْتَبَةَ قَلْبِهِ

أُزِيلَ بِهَا دَاعِيَ الْهَوَى وَالتَّحَوُّبِ (٥)

١٥ فَهَذَا لَهُ مَعْنَى (٦) الْمَقَامِ مُغَيَّبٌ

وَلَمْ يَكُ عَنْهَا أَهْلُهُ بِمُغَيَّبٍ

إِذَا صُفِّتِ الْأَقْدَامُ مِنَّا وَأَمَّنَا

صَلَاةِ (٧) شُهُودٍ لَا صَلَاةَ تَحَجُّبِ (٨)

مَضَى لَمْ يُعَقَّبْ دَانِيًا مِنْ شُهُودِهِ (٩)

بِنَا وَمَضَيْنَا خَلْفَهُ لَمْ نُعَقَّبْ

أُولَئِكَ وَرَأَتْ النُّبَى شَهَادَةً

وَعَايِبًا وَلَيْسَ الْبَرُّ مِثْلَ الْمُقَرَّبِ (١٠)

(١) أ: ولد ير . (٢) ج: إذ .

(٣) في أ (الكامل) . . والجواد هنا: الله تعالى .

(٤) أ: فارغب .

(٥) الحوبة: الذنب . . وفي الحديث الشريف: اللهم ارحم حوبتي!

(٦) أ: دار، + أ: معنى . (٧) أ: صلوة .

(٨) للصوفية نظرتهم الخاصة للعبادات، فهم يرون أن فروض التعبد، لا ينبغي لها أن تقف عند حد

الظاهر . فالصلاة عندهم ليست حركات وسكنات وكلمات يعجل بها طرف اللسان، وإنما تنضاف

إلى ظواهرها حقائق تجعل منها «صلاة شهود» لا تحتجب بالشكل الظاهر عن حقيقة هذا الفرض . .

وقد أسهب ابن عربي في تناول حقائق الصلاة في كتابه [الفتوحات المكية] كما توسع الجيلي من بعده

في الكلام عن تلك الحقائق . راجع كتابنا: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية [الهيئة المصرية العامة

للكتاب، أعلام العرب، ص ١٠٣ وما بعدها].

(٩) أ: لشهوده .

(١٠) المقرب؛ هو الولي الكامل . وهي تسمية أخذها الصوفية من الحديث القدسي: ما زال عبدي =

وَتِلْكَ سَبِيلٌ قَدْ دَعَا بِبَصِيرَةٍ

لَهَا وَدَعَوْنَا كُلَّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ (١)

٢٠ فَذَلِكَ دَاعِيَ اللَّهِ بِالْمَنْهَجِ الَّذِي

بِهِ صُورَةُ التَّكْمِيلِ فِي كُلِّ مَازَهَبٍ

شَرِيعَةً حَقٌّ حَقُّ كُلِّ شَرِيعَةٍ

مَقَامُ خُصُوصٍ عَنِ عُمُومٍ مُرْتَبٍ

مُشَارًا إِلَيْهِ صُورَةٌ مِنْ جِهَاتِهَا

جَمِيعًا وَمَعْنَى مِنْ حَقَائِقِ غُيْبٍ

[السريع]

١ يَا حَبَّبُ ذَا (٢) الْكَاسِ بِكَفِّ الْحَبِيبِ

أَذَابَتْ (٣) الْأَنْوَارَ وَسَطَ اللَّهَيْبِ

وَحَبَّبُ ذَا الرَّاحِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ

تَضْرِفُنِي بِالسُّكْرِ (٤) حَتَّى أَغِيبُ

= يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . . « والقرب في مفهومه الصوفي يقتربان دوما بالكشف، ولهذا جعل ابن سبعين عنوان كتابه الأشهر «بدء العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف» ثم مضى في فصول الكتاب يفصل حقائق هذا المحقق المقرب .

(١) في أجزء البيتان على النحو التالي :

وتلك سبيل قد دعا ببصيرة إليها ودعونا كل ناء وأقرب!

وليست عموما بل خصوصا لفتية هم ما هم في كل شرق ومغرب!

(٢) الأبيات في أ، ب .

(٣) أ: إذا أثبت .

(٤) أ: في السكر .

يَا غُصْنَ الْبَانَ^(١) أَدْرُ وَرَدَّهُ

وَالْوَرْدُ فِي الْبَانَ لَعَمْرِي عَجِيبُ

وَتَأْوِلِ الْأَقْمَارَ شُهَبَ الدُّجَى^(٢)

يَا شَمْسُ وَالْأَمْرُ أَيْضًا غَرِيبُ

ه أَفْدِيكَ مَا فِي صَبُوتِي رِيَّةُ

وَلَا لِسُلُوَانِي بِقَلْبِي نَصِيبُ

فَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ سَوَى^(٣) جَفَوْتِي

فِعْلُ^(٤) حَبِيبِي كُلُّهُ لِي^(٥) حَبِيبُ

[المجتث]

١ يَا نَسَمَةَ^(٦) الْبَانَ هُبِّي

عَلَى رُسُومِ^(٧) الْمُحِبِّ

وَمَّا عَلَيْنِكَ إِذَا مَا

وَقَدْتُ نِيْرَانَ قَلْبِي

إِنْ تَكْتُمِي سِرِّي لِي

فَطِيْبُهَا عَنْهَا يُنْبِي

(١) أ: يا غصن بان .

(٢) ب: الدجا .

(٣) ب: سوا .

(٤) ب: تجعل . (٥) أ: له .

(٦) الأبيات من أ .

(٧) الرسوم: جمع (رسم) وهو بقية الأثر، ورسم الدار: ما كان من أثارها لاصقا بالأرض [لسان العرب

١ / ١١٦٧].

أَوْ لَا فَمَّا لَشَذَاهَا
 يُسْنِبِي الْعُقُولَ وَيُضْنِبِي
 ه أَهْدَتْ إِلَى حَـدِيثِنَا
 فَهَمُّهُ دُونَ صَحْبِي
 فَحَلَّ فِي الْحَالِ سَلْبِي
 دُونَ الْجَمِيعِ وَنَهْبِي
 يَا طَالِبِ بَأْحَى لَيْلِي
 ذَاتِي حِمَامَاهَا فَطُفْ بِي
 وَنَادِ بَأْسَمِي تَجِدْنَاهَا
 عَلَيَّ لَسَانِي تُلَبِّي

[الطويل]

١ أَمَّا لِكْ (١) رِفِّي لَا تَلْمُ عَاشِقًا صَبَا
 فَحُسْنُكَ لِلْأَلْبَابِ يَا مُنِيَّتِي سَبَا
 وَإِنْ بِكَ فَرُطَ عِشْقِي فَطَاعَتِي
 هَوَاكَ شَفِيعٌ لِي إِذَا مِتُّ مُذْنِبَا
 وَهَبْ أَنْ ذَاكَ (٢) الْحُسْنَ عَنِّي مُحَجَّبٌ
 أَلَيْسَ بَرِيَاهُ سَرَتْ نَسْمَةُ الصَّبَا
 فَدَيْتُ (٣) حَبِيبًا رَنَحَ السُّكْرُ عَطْفَهُ
 فَمَاسَ بَغُضْنِ مَا رَأَتْ مِثْلَهُ الرُّبَا

(١) الأبيات في أقط.

(٢) ج: ذاك أن. (٣) أ: قديت.

٥ يُجَرِّدُ مِنْ أَجْفَانِهِ السُّودَ أَيْضًا

أَرَأَقَ دِمَا^(١) العُشَّاقِ طُرًّا وَمَانِبَا

جَلَا خَدُّهُ لِي كَأَسِّ رَاحٍ وَإِنَّمَا

بِدْرِ اللَّمَى^(٢) المَعْسُولِ حُسْنًا^(٣) تَحِيًّا

تَسْتَرْتُ بِالْأَسْقَامِ فِيهِ فَمُنْذَبَا

ظَهَرْتُ كَمَا فِي الشَّمْسِ قَدْ يَظْهَرُ الهَبَا

وَأَكْسَبَنِي حُسْنًا وَلَا غَرَوًا إِنَّمَا

لِكُلِّ مَلِيحٍ^(٤) مِنْهُ مَا قَدْ تَكَسَّبَا^(٥)

وَإِنِّي لَذَاكَ^(٦) المَغْرَمِ العَاشِقِ الَّذِي

إِلَى غَيْرِ ذَاكَ المَطْلُوقِ الحُسْنِ مَاصِبَا

(١) أ: دم.

(٢) اللما . . واللمى : سمرة الشفتين واللمياء من الشفاء : اللطيفة القليلة الدم (لسان العرب ٣ / ٤٠١).

(٣) أ: لي قد.

(٤) ج: محب.

(٥) يرى الصوفية أن الكون مجلى للجمال الإلهي، فكل مظاهر الحسن في الوجود، إنما هي آثار

جمال الذات الإلهية. وإلى هذا المعنى تنوعت إشارات الصوفية في أشعارهم، فمن ذلك قول

ابن الفارض:

فكل مليح حسنه من جمالها معار له بل حسن كل مليحة

[ديوان ابن الفارض، الثانية الكبرى، بيت ٢٤٢]

وفي نفس المعنى يقول عبد الكريم الجيلي:

تجلى حبيبي في مرآتي جماله ففى كل مرئى للحبيب طلائع

فلما تجلى حسنه متنوعا تسمى بأسماء فهن مطالع

وأبرز منه فيه آثار وصفه فذلكم الآثار من هو صانع

[النادر العينية، أبيات ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨].

(٦) ج: وها أنا ذاك.

١٠ يُرَنَّحُهُ بِالْأَبْرِقِ الْفَرْدِ (١) بَارِقٌ
 وَيُضْبِيهِ فِي (٢) نُعْمَانَ (٣) مِنْ عُلُوَّةِ (٤) نَبَا
 إِذَا رُمْتَ أَنْ تُبْدِي مَصُونَاتِ سِرِّهِ
 فَحَدَّثْتَ بِذَلِكَ الْحَيَّ عَنْ ذَلِكَ الْخَبَا

[الطويل]

١ غَرَامِي (٥) فِيكُمْ مَا أَلَذَّ وَأَطْيَبَا
 وَفِي حُبِّكُمْ أَهْلًا بِسُقْمِي وَمَرَحْبَا
 غَزَالِكُمْ ذَاكَ الْمَصُونُونَ جَمَالَهُ
 إِلَى غَيْرِهِ فِي الْحُبِّ قَلْبِي مَاصِبَا
 تَجَلَّى عَلَيَّ كُلُّ الْعُيُونِ فَعِنْدَمَا
 سَبَى حُسْنَهُ كُلَّ الْقُلُوبِ تَحَجَّبَا (٦)
 أَحْخَبَابَنَا هَلْ عَابِدٌ فِي حِمَاكُمْ
 أَوْيَقَاتٍ وَصَلٍ كُلُّهَا زَمَنُ الصَّبَا

(١) في ج (الأجرع) . . والأبرق؛ الجبل الذي تختلط الحجارة فيه بالرمال . يقول ياقوت : وفيه لغات وألفاظ كثيرة (أبرق، أبراق، برق، برقاء، برق، برقة، برقاقات) ومعاني هذه الألفاظ على اختلافها واحد . وإنما تحيء مختلفة لإقامة وزن الشعر . . والأبرق الفرد؛ جبل مشهور جاء ذكره في الشواهد الشعرية (انظر : معجم البلدان ١/٦٥ ، ٦٩) .

(٢) أ: من، ج: عن .

(٣) نعمان؛ هو نعمان الأراك، واد بين مكة والطائف، غزاه النبي صلى الله عليه وسلم . . (معجم البلدان ٥/٢٩٣) .

(٤) ج: من على .

(٥) الأبيات في أ: فقط

(٦) يريد التلمساني هنا أن يقول: إن كلال القلوب بالمحبة، سبى جمال المحبوب حين تجلّى للعيون، احتجب الجمال بهذا السبى!

ه عَلَى حُبِّكُمْ أَنْفَقْتُ حَاصِلَ أَدْمُعِي

وغيرَ ولاكمُ عبدكم ما تكسبا

وحاشاكم أن تبعدوا عن جنابكم

حليف هوى بالروح فيكم تقربا

وأن تهجروا من وأصل السهد جفنه

وهذب فيكم عشقه فتهدبا

وأخستتم تأديبه بضدودكم

فلا تهجروه بعد ما قد تأدبا

ولي مهجة دين الصبابة دينها

فكيف ترى (١) عنكم مدى (٢) الدهر مذهبا

١٠ ولي في ظلال السرحتين (٣) تنزل

لبسنا به بردا من الوصل مذهبا

بروقك أن يروى أحاديث ورقه

وتصنبو إلى الأحن شجوا فتطربا

وتستنشق الأنفاس من سماته

فتفهم معنى الزهر من منطلق الصبا

(١) في الأصل : ترا .

(٢) في الأصل : مدا .

(٣) غير واضحة في الأصل .

١ تَرَى^(١) يَا جِيْرَةَ الشَّعْبِ
يُسَّرُّ بِوَصْلِكُمْ قَلْبِي
وَتَجْتَمِعُ بَيْنَنَا دَارُ
عَلَى الْإِكْرَامِ وَالرَّحْبِ
أَهَيْلَ الْحَيِّ وَأَعَطَشِي^(٢)
لِذَلِكَ الْمَنْهَلِ الْعَذْبِ
وَيَا شَوْقِي^(٣) إِلَى عَيْشِ
مَضَى فِي ظِلِّهِ الرَّحْبِ
وَأَيَّامٍ بِإِلَّا عَتَبِ
تَقَضَّتْ فِي هَوَى^(٤) عُنْتَبِ^(٥)
إِذَا ذُكِرَتْ لِيَالِيهِ
تَهَيَّجُ^(٦) لَوَاعِجِ الصَّبِّ
وَيُخَيِّي^(٧) قَلْبَ عَاشِقِهِ
حَدِيثُ نَسِيمِ الرُّطْبِ^(٨)

(١) أ: تروا، ب: متى، ج: «ترى السحب بسر وصالكم: لذلك المنهل العذب»... والبيت الأول

مكسور الوزن ولا معنى له!

(٢) أ: يا عطش.. وصدر البيت ساقط من ج.

(٣) = ب، ج.

(٤) مطموسة تماما في ب.

(٥) عتبي، معشوقة عربية.

(٦) ج: يهيج.

(٧) ب: وتحي.

(٨) مطموسة في ب، وفي أ:

فغن بذكرها سعد وأئن معاطف الركب

وَمُخْتَجِبٍ تَبَسُّمُهُ^(١)

يُمَزَّقُ ظُلْمَةَ الْمُجِيبِ

بُصَانُ حِمَاهُ بِالْإِجْلَالِ

لَا^(٢) بِالسُّمْرِ وَالْقُضْبِ

١٠ مِنَ الْأَقْمَارِ مَنْزِلَتَاهُ^(٣)

فِي طَرْفِي وَفِي قَلْبِي

وَضَبِي^(٤) نَقَاً وَبِالْأَسْرَارِ

يَأْتِسُ لَيْسَ بِالسَّرْبِ^(٥)

[الرمل]

١ بَعَثَتْ^(٦) فِي طِيِّ أَنْفَاسِ الْجَنُوبِ

لِيَنْ عَطْفَيْنِهَا إِلَى بَانَ الْكَثِيبِ

فَقَدَتْ أَكْمَامَ أَزْهَارِ الرُّبَا

طَرَبًا تَفْتُقُ أَزْرَارَ الْجُيُوبِ

فَعُمُومُ الْكُونِ يَهْوَى حُسْنَهَا^(٧)

وَخُصُوصًا صَاحِبِ الْقَلْبِ الطَّرُوبِ

(١) أ: وميسمة .

(٢) ج: أو .

(٣) ب: منزله، ج: منزلتان

(٤) = ج .

(٥) ب: الشرب!

(٦) الأبيات في ب، ج .

(٧) راجع ما ذكرناه عن تسييح المخلوقات، فيما سبق .

وَإِذَا يَا سَعْدُ جَاوَزْتَ النَّقَا

فَاحْبِسِ الْعَيْسَ تَرَى (١) نَهَبَ الْقُلُوبِ

هَ فَبِذَلِكَ الْحَى كَمْ مَاتِ هَوَى

قَدْ بَرَّاهُ السُّقْمُ عَنْ عَيْنِ الطَّبِيبِ

يَا بَرُوحِي أَنَا أَفْدِي شَادِنًا

فَاتِنًا أَمْسَى نَدِييَ وَحَبِييَ

[الخفيف]

١ لَوْ (٢) سَقَيْنَا الرَّبُوعَ مَاءَ الشَّبَابِ (٣)

مَا وَفَّقِينَا فَكَيْفَ مَاءُ التَّصَابِي

فَاسْقِنِي مِنْ مَنَازِلِ الْحَى وَجَدًا

يَا رَبُّوعَ الْهَوَى دُمُوعَ السَّحَابِ (٤)

يَا نُغُورَ (٥) الْأَقَاحِ كُونِي رُضَابًا

إِنَّ (٦) أَشْهَى الْأَقَاحِ ذَاتُ الرُّضَابِ

وَبِكَاسِ الشَّقِيقِ كُونِي شَرَابًا

أَنْتِ فِي حُمْرَةٍ كَلُونِ الشَّرَابِ

(١) ج: نرى.

(٢) الأبيات في ب، ج.

(٣) ب: الشبايى.

(٤) ب: السحابى.

(٥) ج: ياكثوس.

(٦) ج: أنا.

(٧) ج: الأقداح.

٥ أَوْثَقْتَنَا بِالنَّرْجِسِ الْغَضِّ مِنْهَا (١)

أَعْيُنٌ لَا كَأَعْيُنِ الْأَخْبَابِ

تَلَكَ فِيهَا مِنْ فِتْرَةِ الْحُسْنِ (٢) جَمْعٌ

فَارِقٌ لِلْجُسُومِ (٣) وَالْأَلْبَابِ

[الطويل]

١ بَدَأَ (٤) عَلَّمَ لِلْحُبِّ يَمَّمْتُ نَخْوَهُ

فَلَمْ أَثْقَلِ حَتَّى اخْتَسَبْتُ بِهِ قَلْبِي (٥)

بَلَوْتُ الْهَوَى قَبْلَ الْهَوَى فَوَجَدْتُهُ

إِسَارًا بِلَا فِكِّ سَقَامًا بِلَا طِبِّ

بِرُوحِي حَبِيبٌ لَا أَصْرَحُ بِاسْمِهِ

وَكُلُّ مُحِبٍّ فَهُوَ يَكْنِي عَنِ الْحُبِّ

بِرَانِي هَوَاهُ (٦) ظَاهِرًا بَعْدَ بَاطِنِ

فَجِسْمِي بِلَا رُوحٍ وَقَلْبِي بِلَا لَبِّ

٥ بِحُبِّكَ هَلْ لِي فِي لِقَائِكَ مَطْمَعٌ

فَأَيُّ مَنِ كَرُبٍ عَلَيْكَ إِلَى كَرُبِ

(١) ج: رمقتنا لنرجس الغصن فيها.

(٢) ج: فيها لكثرة الجمع.

(٣) في ب «الجسوم». . والجسوم التباع؛ فإذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره فهو جسوم. وفي قوله تعالى: سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما «أى متتابعة» (لسان العرب ١/ ٦٣٥) وقد رأينا

«الجسوم» أوفق!

(٤) الأبيات في ج فقط.

(٥) في الأصل: قلب.

(٦) في الأصل: هوه.

بِكُلِّ طَرِيقٍ لِي إِلَيْكَ مَنِيَّةٌ
 كَأَنِّي مَعَ أَيَّامِ بَعْدِكَ فِي حَرْبٍ
 بَكَيْتُ فَسَأَلُوا أَنْتَ بِالْحُبِّ بَاطِحٌ
 صَمَتٌ فَسَأَلُوا أَنْتَ خَلَوْا مِنَ الْحُبِّ
 بَوَارِقُ لَأَحْتِ لِلْوِصَالِ فَثُمَّهَا
 فَيَابَعْدُ بَعْدِ قَدْ دَنَا زَمَنُ الْقُرْبِ
 بَقِيْتُ وَهَلْ يَبْقَى صَبٌّ بِهِ لَوْعَةٌ
 تُقَلِّبُهُ الْأَشْوَاقُ جَنَّبًا إِلَى جَنْبِ
 ١٠ بَلَّغْتُ الْمُنَى مِمَّنْ أَحَبُّ بِحُبِّهِ (١)
 وَلَا بُدَّ لِلْمَرْبُوبِ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ

[الكامل]

١ لَمَّا (٢) انْتَهَتْ عَيْنِي إِلَى أَحْبَابِهَا
 شَاهَدْتُ صِرْفَ الرَّاحِ عَيْنَ حَبَابِهَا
 أَرَى سِوَى لَيْلَى إِذَا حَكَمَ الْجَفَا
 مِنْهَا عَلَيَّ يَبْعُدُهَا وَحِجَابِهَا (٣)

(١) يستند التلمساني هنا إلى أن محبة الرب لعبده سبب في محبة العبد لربه، كما ورد في قوله تعالى: يحبهم ويحبونه (راجع ما سبق).

(٢) الأبيات من أ فقط.

(٣) الحجاب كلمة قرآنية، تعنى في اللغة: الستر والمنع، وتعنى في المصطلح الصوفى: انطباع الصور الكونية - المانعة لقبول تجلّي الحق - في القلب [اصطلاحات الصوفية ص ٥٧] وقد توسع الصوفية في الإشارة إلى مراتب الحجب، فمن ذلك نجد: حجاب الحسن - حجاب الكون - حجاب العين - حجاب الوهم - حجاب النور . . . إلخ.

وَالكَوْنُ مِنْ عَشَاقِهَا وَيَفُوتُنِي
 أَدَبٌ يَرَاهُ الْحُبُّ مِنْ آدَابِهَا
 لَا وَالَّذِي جَعَلَ الضَّنَّ وَالْحُزْنَ
 جِلْبَابِي بِهَا وَالْحُسْنَ مِنْ جِلْبَابِهَا
 ٥ وَنَعِمْتُ مِنْ أَكْوَانِهَا وَرَأَى السُّوَى
 غَيْرِي فَأَصْبَحَ قَلْبُهُ يُكْوَى بِهَا
 وَلَقَدْ طَرَقْتُ الْحَى بَيْنَ خِيَامِهِ
 فَكَأَنَّنِي لِلسُّقْمِ مِنْ أَطْنَابِهَا
 وَقَرَأْتُ هَاتِيكَ الْبَيْوتَ تَصَفُّحًا
 فَكَأَنَّنِي الْمَسْئُولُ عَنْ إِعْرَابِهَا
 حَتَّى إِذَا جَذَبَ الصَّبَاحُ لثَامَهُ
 وَرَمَتْ مَلِيحَةً شَمْسِهِ بِنَقَابِهَا
 رَأَتْ الدَّجِينَةَ^(١) أَنَّنِي مِنْ بَعْضِهَا
 فَذَهَبَتْ بِالْأَنْوَارِ عِنْدَ ذَهَابِهَا
 ١٠ وَشَهِدْتُ لَيْلَى لَا تَرَاهَا غَيْرُهَا
 وَجَمَالَهَا قَدْ شَفَّ مِنْ جِلْبَابِهَا
 وَطَلَبْتُهَا فَوَجَدْتُ أَسْبَابَ الْمُنَى^(٢)
 مَوْصُولَةً بِالْيَاسِ مِنْ أَسْبَابِهَا

(١) فى الأصل : الدجينة .

(٢) فى الأصل : المنا .

إِلَّا لِمَنْ أَعْطَى الصَّبَابَةَ حَقَّهَا
 وَأَتَى بِبُيُوتِ الْحَيِّ مِنْ أَبْوَابِهَا
 وَوَقَى بِعَهْدِ رَسُولِهَا فِي أَمْرِهِ
 عَنْهَا فَمَقَامَ مَقَامِهِ^(١) فِي بَابِهَا

[البيسط]

١ عَيْنَاكَ^(٢) إِنْ سَلَبْتَ نَوْمِي بِلَا سَبَبٍ
 فَالْتَهَبُ يَا أُخْتَ سَعْدِ شَيْمَةَ الْعَرَبِ
 وَقَدْ سَلَبْتَ رُقَادَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 لِذَلِكَ جَفْنُكَ كَسُلَانٍ مِنَ التَّعَبِ
 هَلْ ذَاكَ لَامِعُ بَرْقٍ لَاحٍ مِنْ إِضْمٍ
 أَمْ ابْتَسَمْتَ فَهَذَا بَارِقُ الشَّنْبِ^(٣)
 وَتِلْكَ نَارُكَ بِالْجَرْعَاءِ سَاطِعَةٌ
 أَمْ ذَاكَ خَـذُّكَ وَهَاجٌ مِنَ اللَّهَبِ
 ه لَأَنْقَذَ اللَّهُ مِنْ نَارِ الْجَوَى أَبَدًا
 قَلْبِي الَّذِي عَنْ هَوَاكُمُ غَيْرُ مُنْقَلَبِ^(٤)

(١) قوله هنا «قام مقام الرسول» إشارة إلى ما ورد في الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم: العلماء ورثة الأنبياء . . (أخرجه البخارى فى الصحيح - والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى فى السنن - وابن حنبل فى المسند - والغزالي فى الإحياء . . وهو حديث صحيح متفق عليه).
 (٢) الأبيات فى أ فقط .

(٣) الشنب، البياض والبريق، خصوصا فى الأسنان (لسان العرب ٢/٢٦٦).

(٤) الإشارة هنا إلى كون القلب كثير التقلب، فكما يقال: ماسمى الإنسان إلا لنسيه، وما سمى القلب إلا لأنه يتقلب!

إِنْ عَذَّبْتَهُ بِنَارٍ مِنْ مَحَبَّتِهَا

نُعْمٌ (١) فَذَلِكَ نَعِيمٌ غَيْرٌ مُخْتَجَبٍ

مَنْ رَامَ ذِكْرَ سِوَاهَا يَلْتَمِسُ أَحَدًا

غَيْرِي فَذِكْرُ سِوَاهَا لَيْسَ مِنْ أَرَبِي

إِنْ حَدَّثْتَهُ الْأَمَانِي أَنَّنِي أَبَدًا

أَسْأَلُو هَوَاهَا فَقَدْ أَصْنَى إِلَى الْكَذِبِ

[الطويل]

١ هَلُمُّوا (٢) فَعِنْدِي لِلْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى

سَقَامٌ غَرَامٌ لَسْتُ أَحْسِنُ طِبَّهُ

هَبُوا لِي جَفْنًا يَمْلِكُ الْعَقْلُ دَمْعَهُ

وَالْأَفْقَلْبَا يَحْكُمُ الصَّبْرُ (٣) لَبَّهُ

هَوَتْ قَدَمِي فِي الْحُبِّ عَنْ غَيْرِ خُبْرَةٍ

فَأَلْفَيْتَهُ حُلُو (٤) التَّجْرَعُ عَذْبَهُ

هُوَ الشُّهُدُ مَمْرُوجًا بِسْمٍ وَعَلَقَمٍ

أُوْمَلُّ عَثْبَاهُ وَأَحْذَرُ عَثْبَهُ

(١) نعم: مرخم نعمى . . معشوقة عربية .

(٢) الأبيات في جفقط .

(٣) الصبر عند الصوفية مقام رفيع، وهم يستندون إلى ما ورد في شأنه بالقرآن الكريم، لتحديد مفهومه ودلالته الدوقية [راجع كتابنا: الطريق الصوفى . .] وللصبر عند أهل الطريق مراتب ودرجات، أعلاها ما يشير إليه التلمساني هنا، أعنى: الصبر عن الله .

(٤) في الأصل: نحو!

هَوَيْتُ حَبِيبًا لَسْتُ أَهْلًا لِحُبِّهِ
 وَأَنْنِي لِمِثْلِي أَنْ يَكُونَ مُحِبِّهِ
 هَلَالٌ فُوَادِي كَلَّمَا ذُقْتُ غَفْوَةً
 وَصُبْحُ عَيَانِي كَلَّمَا أَتَنَّبَهُ (١)
 هَمَمْتُ بِإِدْرَاكِ فَقَصَّرْتُ هَيْبَةً
 وَعَجَزِي عَنِ الإِدْرَاكِ أَوْلَى وَأَشْبَهُ
 هَفَا بِكَ قَلْبٌ أَنْتَ أَوْرَيْتَ زَنْدَهُ
 وَنَالِكَ طَرْفٌ أَنْتَ أَهْمَلْتَ سَحْبَهُ
 هَنِئْنَا لِهَذِي النَّفْسِ إِنْ كُنْتَ حَبَّهَا
 وَطُوبَى لِهَذَا الْقَلْبِ إِنْ كُنْتَ حَبَّهِ

* * *

(١) فى الأصل : انتبه!

■ جاء فى ج:

من كان عين الحجاب على نفسه فلا حاجب ولا محجوب
ومن كانت هباته لا تتعدى فليس بواهب ولا موهوب

قافية التاء

[الطويل]

١ نَفُوسٌ^(١) نَفِيسَاتٌ إِلَى الْقُرْبِ حَنَّتِ
فَلَمَّا سَقَاهَا الْحُبُّ بِالْكَأْسِ جُنَّتِ^(٢)
وَكَانَتْ تَمَنَّتُ أَنْ تُمُوتَ صَبَابَةً
فَسَاقَ إِلَيْهَا الْوَجْدُ^(٣) مَا قَدْ تَمَنَّتِ
وَفِي الْحَىِّ هَيْفَاءُ الْمَعَاطِفِ لَوْ بَدَّتْ
عَلَى^(٤) الْبَانَ كَانَ الْوَرَقُ فِيهَا تَغَنَّتِ
عَجِبْتُ لَهَا فِي حُسْنِهَا إِذْ تَفَرَّدَتْ
لَايَةً مَعْنَى بَعْدَهَا^(٥) قَدْ تَثَنَّتِ
هـ شَكَأ سُقْمَهُ^(٦) مُضْنَى هَوَاهَا صَبَابَةً
فَقَالَتْ لَهُ أَصْبِرْ فِي الصَّبَابَةِ أَوْ مِتْ^(٧)

(١) الأبيات في أ، ب .

(٢) أ: حنت، ب: جتى

(٣) أ: الوصل .

(٤) أ: مع .

(٥) ب: معنا في الهوى .

(٦) ب: بثه .

(٧) ب: ما الصبابة أودت

فَمَا (١) عَاشَ إِلَّا مُغْرَمٌ مَاتَ فِي الْهَوَى

بِحُبِّي وَهَذَا فِي الْمُحِبِّينَ سُنِّي

سَتَائِكَ (٢) مَنِي قَهْوَةٌ (٣) إِنْ شَرِبْتَهَا

صَحَوْتُ وَفِي الْهَوَى كُلُّ سَكْرَتِي (٤)

فَلَا تَمَزْجَنَّهَا فَهِيَ بِالْمَزْجِ حُرِّمَتْ

وَلَوْ جُلِّيتْ (٥) صِرْفًا عَلَيْهِمْ لَحَلَّتْ

فَإِنْ هِيَ قَدْ أَفْتَتَكَ سُكْرًا فَغَبْ بِهَا

فَمَنْ صَرَفْتَهُ الصِّرْفُ بِالنَّفْيِ يَثْبُتْ

١٠ وَفَتِيَانِ صِدْقِ كَالنَّجُومِ سَرَوْا عَلَيَّ

رَكَائِبِ عَزَمِ مَالِهَا مِنْ أَرْمَةِ

ذَوِي أَنْفُسٍ لَمْ يَبْرَحِ الْعِزُّ شَأْنَهَا

رَأَتْ عِزَّ لَيْلِي بِالْجَمَالِ فَذَلَّتْ (٦)

تَوَاصَوْا عَلَيَّ حِفْظِ الْوَفَا (٧) وَتَرَاضَعُوا

كُئُوسِ الصِّفَا وَأَسْتَمْسَكُوا بِالْمَوَدَّةِ

فَنَادَاهُمْ (٨) خَمَّارُ دَيْرٍ مُدِيرَهَا

فَلَمَّا أَمَاتَتْهُمْ مِنَ السُّكْرِ أَحْصَيْتْ

(١) أ: وما .

(٢) ب: تساميك .

(٣) القهوة: الخمر .

(٤) أ: نشوة .

(٦) ب: فلبتي .

(٥) أ: تركت .

(٨) ب: فنادمهم

(٧) أ: الهوى .

فَعَاشُوا بِهَا فِيهَا عَلَى حِينِ أَسْلَمُوا^(١)

إِلَيْهَا صِفَاتِ قِيلِ^(٢) مِنْهَا اسْتَعِيرَتْ^(٣)

١٥ فَمَنْ عَاشَ مِنْنَا لَمْ^(٤) يَنْلُ مِثْلَ نَيْلِهِمْ

وَلَكِنْ مَتَى تَذَكُرُهُمُ النَّفْسُ حَنْتَ

[الطويل]

أَمَّا^(٥) هَذِهِ نَجْدٌ أَنْيخَا مَطِيَّتِي

لِيَسْقِي بِيهَا دَمْعِي مَنَازِلَ عِلْوَةٍ

وَأَسْأَلُ عَنْ قَلْبِي فَتَمَّ فَقَدْتُهُ

عَشِيَّةَ سَارِ الظَّاعِنُونَ^(٦) بِمُهْجَتِي

مَنَازِلُ إِطْرَابِي وَمَغْنَى تَهْتِكِي

وَمَرْبَعُ إِيْنَاسِي وَمَوْطِنُ خَلْوَتِي^(٧)

(١) ب: لها حين أرسلوا.

(٢) ب: قبل.

(٣) الإشارة هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بتجلى الصفات الإلهية، وهي النقطة التي توقف عندها الجلي طويلا، ليكشف عن جوانب نظرية الإنسان الكامل (انظر، الفكر الصوفي . . ص ٧٧).

(٤) أ: لا.

(٥) الأبيات في أ، ب.

(٦) الظعن، الهودج، والمرأة ما دامت في الهودج . . والظاعنون: القافلة.

(٧) الخلوة، واحدة من أهم الرياضات الروحية في الطريق الصوفي، ففي عبارة صوفية شهيرة يقول سهل التستري: «ما صار الأبدال أبدا إلا بأربعة خصال، الجوع والسهر والصمت والخلوة . . فكانت هذه الخصال، هي أصول مجاهدة الصوفية لرعونات النفس الإنسانية وسبل الترقى من الخلق إلى الحق. وتكون خلوة الصوفي باعتزاله الناس في مكان خاص، ومداومته الفرائض والنوافل والذكر والتلاوة، حتى تتفجر في قلبه ينباع الكشف (راجع في ذلك: قوت القلوب ١/ ٩٧ - إحياء علوم الدين ٢/ ٣٢٣ - عوارف المعارف ٩٤ - ألفاظ الصوفية ومعانيها ١٥١) ويضع القاشاني للخلوة تعريفا =

وَمَغْنَى^(١) بِهِ كَانَ الْحَبِيبُ مُنَادِمِي

وَمِنْ قُرْبِهِ رُوحِي وَرَاحِي وَرَاحَتِي

ه سَقَى اللَّهُ عَهْدًا فِيهِ عَهْدٌ^(٢) فَعِنْدَهُ

رَمَيْتُ إِلَى مَوْلَى الْخَلَاعَةِ خَلْعَتِي

وَفِيهِ سَقَانِي مَنْ أَحَبُّ مُدَامَةً

فَمِنْهَا إِلَى يَوْمِ التَّوَاصُلِ نَشْوَتِي

وَعَاهَدَنِي^(٣) فِيهِ بِهَجْرَانِ هَجْرِهِ

وَرَاحَ كَفَيْلًا لِي بِسُلْوَانِ سَلْوَتِي

فَـرُحْتُ^(٤) بِهِ بِلِ رَاحِ بِي وَتَرَدَّدْتُ

بِهِ حَالَتِي مَا بَيْنَ مَاحٍ وَمُثَبَّتِ^(٥)

= جامعاً فيقول: هي محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره، وهذه حقيقة الخلوة ومعناها، وأما صورتها، فهي ما يتوسل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله تعالى والانتقطاع عن الغير (اصطلاحات الصوفية ص ١٦١).

ويرى الصوفية أن الخلوة كرياضة روحية، هي اقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - حين كان يعتكف بغار حراء.. إلا أنهم يحذرون من جهة أخرى، من تلك المخاطر التي قد تعترض صاحب الخلوة، والأخطاء التي يمكن أن يقع فيها (انظر: اللمع ٥٢٩ - الإحياء ٣٣٦/٢ - الفتح الرباني ١٥٠).

(١) مغنى.. الغنة: الصوت الذي فيه ترخيم. وروضة غناء: تمر فيها الريح غير صافية الصوت من كثافة عشبها والتفافه؛ فهي مغنى، والجمع مغان (لسان العرب ١٠٢٣/٢).

(٢) أ: كان فيه.

(٣) ب = ب.

(٤) أ: ورحت.

(٥) المحو والإثبات، لفظتان متقابلتان للدلالة في المصطلح الصوفي، فالأولى تشير إلى فناء ما سوى الله من قلب المكاشف.. والثانية تعني رجوعه إلى الصحو وإثبات الموجودات الحسية، لكنه يكون آنذاك مجازياً.. راجع المزيد من هذه النقطة في الفصل الخاص بالعارية الوجودية من كتابنا: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، ص ١٤١.

فَهَا أَنَا مَيَّاسُ الْمَعَاطِفِ رَافِلٌ
بِيرْدِي وَمَنْ أَهْوَى مُدَامِي وَحَضْرَتِي
أَعِيرُ الشَّمُولَ (١) الصَّرْفَ سُكْرَ شِمَائِلِي
وَأُهْدِي إِلَى بَانَ الْحِمَى حُسْنَ خَطْرَتِي
يَمِينًا كَذًا يَاعَازِلِي عَنْ مَلَامَتِي
وَإِنْ شِئْتَ خُذْ بِالْعَذْلِ عَنِّي بِسُرَّةِ (٢)
فَلَيْسَ أَخْوَكَ الْيَوْمَ مَنْ قَدْ عَهْدَتَهُ
وَلَا ذَا الْهَوَى (٣) ذَاكَ الْهَوَى فَتَشَبَّتْ

[الخفيف]

لَكَ (٤) طُرُقِي حِمَى وَقَلْبِي بَيْتُ
فِيهِمَا عَهْدَكَ الْقَدِيمَ خَبَيْتُ
وَمِنَ السُّكْرِ مَا صَحَّوْتُ وَكَلَّأْتُ
كَيْفَ أَصْحُو وَمِنْ لَمَّاكَ أَنْتَشَيْتُ
بَسَطَ الْعَازِلُونَ فِيكَ مَلَامِي
وَبَسَّاطَ الْقَبُولِ عَنْهُمْ طَوَيْتُ
كَيْفَ (٥) يَنْوَى السُّلُوَّ عَنْكَ الْمُعَنَى
يَا مَنْى الْقَلْبِ وَهَوَى فِي الْحَى مَيَّتُ

(١) الشمول، الخمر التي عرضت لريح الشمال حتى تبرد (لسان العرب ٢/٣٦٢).

(٢) ب: مسرتي.

(٣) ب: الهوا.

(٤) الأبيات في أ، ب. (٥) = ب.

٥ وَضَلَّالٌ عَنْ مِثْلِ حُسْنِكَ صَبْرِي
 وَلِقَلْبِي (١) الْهَنَا فَاِنِّي اَهْتَدَيْتُ
 بِكَ يَا كَعْبَةَ الْهَوَى طَافَ قَلْبِي
 وَبَدَأَ بَارِقُ الصَّفَا فَسَغَيْتُ

[السريع]

١ لَا تُتَنَكَّرِ (٢) الْبَاطِنِ (٣) فِي طَوْرِهِ
 فَإِنَّهُ بَعْضُ ظُهُورَاتِهِ (٤)
 وَأَعْطَهُ مِنْكَ بِمِثْقَلِ دَارِهِ
 حَتَّى تُوَفِّيَ حَقَّ إِبْرَائِيمَ
 وَأَظْهَرَهُ فِي ذَاتِكَ مُسْتَكْمِلًا
 خَشْيَةً أَنْ تَظْهَرَ فِي ذَاتِهِ (٥)

[الطويل]

١ تَمَنَيْتُ مِنْ وَصْلِ الْحَبِيبِ اخْتِلَاسَةً
 وَمَا كُلُّ نَفْسٍ أُدْرِكَتْ مَا تَمَنَّتْ

(١) أ: فلقبى . (٢) الأبيات فى أ فقط .

(٣) فى الأصل «الباطل» وهى بذلك تخرج الأبيات عن مفهومها، وتخالف المقابلة الواردة فى عجز البيت بين: الباطن والظاهر .

(٤) الباطن (الكمون) والظاهر (الظهور) مقابلة صوفية شهيرة، يعبرون عنها أحيانا بألفاظ أخرى منها: القشر واللب، الشريعة والحقيقة . ولهذا التقابل الذوقى مبحث طويل فى التصرف، يمكن الرجوع بصدده إلى كتاب (الشريعة والحقيقة) وكتاب (الحكومة الباطنية) وكلاهما للدكتور حسن الشرقاوى .

ويريد التلمسانى هنا أن يقول: إذا لم يتحقق الصوفى بالباطن ويجعل له محلا فى نفسه، فإنه يبطن فى الطريق . . أى لا يظهر، ولا يكون له فيه شأن!

(٥) الأبيات من ج فقط .

تَحَلَّيْتُ بِالتَّذْكَارِ (١) وَهُوَ دَلَالَةٌ
عَلَى زَفْرَةٍ فِي أَضْلَعِي مُسْتَكِنَةً
تَعْجَبُ (٢) نَاسٌ لِانْقِيَادِي مَعَ الْهَوَى
كَذَلِكَ عِنَاقُ (٣) الْخَيْلِ طَوْعُ الْأَعْنَةِ
تَبَدَّى لِي (٤) الْحُبُّ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ
فَاحْتَت (٥) لَهُ رُوحِي بِمَا قَدْ أَجْنَتِ
ه تَجَلَّى لِعَقْلِي دُونَ حِسِّي فَأَدْعَنْتِ
شَوَاهِدُ اسْرَارِي لَهُ وَأَطْمَأْنَنْتِ
نَطَاوَلَ لَيْلِي بَعْدَهُ فَكَأَنَّمَا
يُقَلِّبُ قَلْبِي مِنْهُ فَوَقَّ الْأَسِنَّةِ
تَعَلَّلْتُ فِيهِ بِالتَّمَنِّي لِقُرْبِهِ
وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ تَرْذِيدِ أَنَّةِ (٦)
تَفَيَّرَتِ الْأَشْيَاءُ عِنْدِي لِفَقْدِهِ
فَضَوْءُ صَبَاحِي فِي ظَلَامٍ دُجْنَةٍ

(١) التذكار: النفخة الإلهية في آدم عليه السلام . . كما في قوله تعالى: «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي».

(٢) في الأصل: تعجبت .

(٣) في الأصل: عناق .

(٤) في الأصل: تبدا إلى .

(٥) الحنين: شوق الأرواح إلى حضرة التوحيد الشهودي الأزلي .

(٦) في الأصل: أنت!

تُهَيِّجُ عَلَى الشَّوْقِ كُلَّ مَرْدَّةٍ
وَيُهْدِي إِلَى الْوَجْدِ كُلَّ مَرْنَةٍ (١)
١٠ تَرَفَّقُ (٢) بِقَلْبِي فِي هَوَاكَ فَاِنَّمَا
بِعَادِكَ نَارِي وَأَقْتِرَابُكَ جَنَّتِي

* * *

(١) المرنة هنا من الرنو، وهو إدامة النظر مع سكون الطرف [لسان العرب ١/١٢٣٦] وقوله «مرنة» غير مستساغ في اللغة، إنما جاء هنا موازيا لقوله «مردة» وهو ما يعرف في اللغة باسم: التفليق.
(٢) في الأصل: فرفق!

قافية الشاء

[الطويل]

١ إلى (١) الرَّاحِ هُبُّوا حِينَ تَدْعُو المَثَالِثُ^(٢)

فَمَا الرَّاحُ لِلأُرْوَاحِ إِلَّا بَوَاعِثُ

هِيَ الجَوْهَرُ الصَّرْفُ القَدِيمُ فَإِنْ بَدَأَ

لَهَا^(٣) حَبَبٌ نِيَطَتْ^(٤) بِهِ فَهوَ حَادِثٌ

تَمَزَّزَتْهَا صِرْفًا فَلَمَّا تَصَرَّفَتْ

تَحَكَّمَ سَكْرُ^(٥) بِالتَّرَائِبِ^(٦) عَابَتْ

وَفَاحَ شَذَا أَنْفَاسِهَا فَتَضَرَّرَتْ

نُفُوسٌ عَلَيْهَا الجَهْلُ عَاتِ^(٧) وَعَائَتْ

(١) الأبيات في أ، ب.

(٢) المثلث، جمع (مثلث) وهو الشراب الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه [لسان العرب ١/٣٦٦]. . . والمثلث أيضا جمع مثلث أى ثالث أو ثار العود، وهذا المعنى أرجح لارتباط الخمر بالموسيقى. والمثلث هنا [تدعو] أى تدعو الندامى بصوتها.

(٣) أ: بها.

(٤) ب: زينت.

(٥) ب: سكر.

(٦) الترائب: عظام الصدر. وهى كلمة قرآنية: «فلينظر الإنسان م خلق، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب. . .» (الطارق ٥: ٧).

(٧) أ: عات.

٥ حَلَفْتُ لَهُمْ مَا كَاسَهَا غَيْرُ ذَاتِهَا

فَقَالُوا افْتَدِ (١) فِيهَا فَإِنَّكَ حَانِثٌ

وَمَا غَيْرُ أَضْوَاءِ الْأَشِعَّةِ أَوْهَمَتْ

فَقَالُوا لَهَا فِي الْحُسْنِ ثَانٍ وَثَالِثٌ

أَقِمِ (٢) رَيْثَمَا تُفْنِكَ عَنْهَا بَوَصْفِهَا

وَتَذَهَبُ عَمَّا مِنْكَ فِيهَا يَبَاحِثٌ (٣)

فَإِنْ شَاهَدَتْ مِنْكَ الْعُيُونُ عُيُونَهَا

ظَفِرَتْ وَإِلَّا فَالْعُيُونُ أَخَابِثٌ

وَإِنْ لَمْ تُبَدِّلْ آيَةً مِنْكَ آيَةً

بِمَا قِيلَ عَنْهَا أَذْهَبُ فَإِنَّكَ (٤) مَاكِثٌ (٥)

تَتَكَرَّرُ فِي سَامٍ وَحَامٍ حَدِيثُهَا

وَعَزَّ فَلَمْ يَظْفَرْ بِمَعْنَاهُ يَافِثٌ (٦)

(١) . . . ابتدأ . (٢) ب: ألم .

(٣) في أ «تباحث» وإشارة التلمساني هنا للعقل الجدلي الذي يقيس بظاهر الأشياء .

(٤) ب: فإنك حانث .

(٥) في هذا البيت، يتحدث التلمساني عن شرط من شروط الوصول، وهو أن تتبدل من الصوفى

الصفات، فيما يعرف عند الصوفية بالتخلي والتخلي . . أى سقوط الوصف المدموم للنفس الإنسانية -

كالبخل والغضب . . . إلخ - والتخلي بالأوصاف الربانية - كالكرم والحلم . . إلخ - وذلك ما ورد في

الحديث الشريف: «إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقاً، من أتاه بخلق منها دخل الجنة» [أخرجه

البيهقى فى شعب الإيمان، وأبو يعلى فى مسنده، والبخارى فى الصحيح عن عثمان بن عفان،

والسيوطى فى الجامع الصغير ص ٨٤]. فإن لم تتبدل الآيات الإنسانية بالآيات الربانية، فإن العبد

ماكث فى ظلمات نفسه، غير مؤهل للتلقى عبر جدار الأنوار .

(٦) سام وحام ويافث، ذرية نوح عليه السلام . وهم هنا رموز لظهور آثار الحق تعالى فى الكون، وقد

عجز البعض عن مشاهدة هذا التجلى بعين القلب .

١٠ وَمَا نَبَيْتُ فِي الدَّهْرِ يَوْمًا وَإِنَّمَا
هُوَ الدَّهْرُ فِيهَا إِن تَأَمَّلْتَ لَابِثٌ^(١)

[الطويل]

١ نَوَى^(٢) لَكَ فِي قَلْبِي غَرَامٌ مُبْرَحٌ
إِرَاقَتُهُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ تَنْفُثُ
ثَبَاتِي عَلَى هَذَا الْهَوَى غَيْرُ مُمَكِّنٍ
وَمِثْلِي عَلَى الْهَوَى لَيْسَ يَمُكِّثُ
ثَمِلْتُ وَلَمْ أَمْدُدْ يَمِينًا لِقَهْوَةِ
وَلَا رَاحَ إِلَّا الْحُبُّ بِالْقَلْبِ يَغِيبُ
نَنَيْتُ عِنَانَ الْحُبِّ نَحْوَكَ وَالرِّضَا
وَنَارُ الْأَسَى بَيْنَ الضُّلُوعِ تُورَثُ
ه نَوَابُ الْهَوَى لَوْ أَسْعَدَ الْحُبُّ وَقَفَةُ
يُحَادِثُنِي فِي ظِلِّهَا وَأُحَادِثُ
ثُرَائِي وَجَاهِي فِيهِ وَجَدُّ وَأَدْمَعُ
فَقَلْبِي فِي الْحَالَيْنِ ضَاحٍ وَمُدْمِثٌ^(٣)

(١) يقول هنا: إن الدهر لا يثبت في الذات، والعكس غير صحيح. فالذات الإلهية خارج نطاق الزمن والدهور، فلا يعرف الزمن ولا الدهر إلا بها. وهذا - كما يقول التلمساني - ما يظهر للمتأمل.

(٢) الأبيات من ج فقط.

(٣) الدمث: اللين والسهولة وحسن الخلق. ودمث الشيء: إذا مرسه حتى يلين (لسان العرب

[١٠٠٩/١].

ثَقِيلُ الْأَسَى عِنْدِي خَفِيفٌ لِأَجْلِهِ

فَهَا أَنَا فِي وَجْدِي بِهِ أَتَشَبَّثُ

ثَلَمْتُ^(١) فُوَادِي بِالنَّوَى فَجَبَّرْتُهُ

بِصَبْرٍ بِهِ أَبْرَمْتُ مَا أَنْتَ تَنْكُثُ

ثَكَلْتُ فُوَادِي إِنْ تَأَلَّمْتُ لِلْأَسَى

عَلَى عِلْمِي أَنَّ الْحَوَادِثَ تَخْضُدُ

١٠ ثَنَاؤُكَ رِيحَانِي وَذِكْرُكَ رَاحَتِي

وَحُبُّكَ سُلْوَانِي إِلَى يَوْمٍ أُبْعَثُ

* * *

(١) التلم: الكسر.

قافية الجيم

[المتقارب]

١ أَيَا (١) طَلَعَةَ (٢) الْقَمَرِ الْمُبْهَجِ
وَيَا فِتْنَةَ الْمُسْتَهَامِ الشَّجِي
بِمَا يَبْتَنَّا مِنْ عُهُودِ الْهَوَى
إِذَا جُزْتَ جَبْرُوت (٣) بِي عَرَجٍ
بَنَفْسِجٍ صُدْغَيْكَ قَدْ (٤) لَاحَ لِي
فَبَشَّرَنِي بِاللَّذِي أَرْتَجِي
فَإِنَّ الْبَنَفْسِجَ تَفْسِيرُهُ (٥)
كَمَا قَدْ عَلِمْتُ بِنَفْسِي أَجِي (٦)

(١) الأبيات في أ، ب.

(٢) ب: باطلعة.

(٣) في أ «جيرون» وفي ب «جيروت» . . يقول ياقوت:

جيروت: من بلاد مهرة، في أقصى أرض قضاة . . لها ذكر في حديث الردة.

جيرون: عند باب دمشق، يقال إن سليمان عليه السلام هو الذي بناه، ويقال بل بناه شيطان اسمه جيرون فسمى به! وقال قوم إنه منسوب إلى جيرون بن سعد . . [راجع المزيد في: معجم البلدان

١٩٩/٢].

(٤) ب: من.

(٥) أ: بصحيفة.

(٦) الأوج: الإسراع . . يقال أوج في سيره، إذا أسرع وهوول [لسان العرب ١/٢٣]. وأجى بمعنى أجيء

وحذفت الهمزة لضرورة الوزن الشعري.

ه فَكَمْ لَيْلَةٍ بَتُّ أَطْوَى يَدِي

عَلَى كَبِدِي مِنْ جَوَى مُنْضِجٍ (١)

فَلَا تَمَزِجَنَ (٢) بِدَمِي عَبْرَتِي

وَرِيْقُكَ لِي بِالْكَؤُوسِ (٣) اَمْزِجْ

[البسيط]

١ انظر (٤) إِلَى حُسْنِ هَذَا الطَّائِرِ الْهَزِجِ

وَحُسْنِ بَهْجَةِ زَهْرِ الرَّوْضَةِ الْبَهِجِ

هَاتِيكَ تُجَلِّي وَهَذَا مُطْرِبٌ غَرِدٌ

مِنْ فَوْقِ مَنْبَرِ عُودِ الْمَنْدَلِ (٥) الْأَرْجِ (٦)

فَعَاطِنِي يَا رَشِيقَ الْقَدِّ مَا اعْتَصَرْتِ

يَدُ الْمَلَاْحَةِ لِي مِنْ طَرْفِكَ الْغَنِجِ

فَمَا الْمُدَامَةُ فِي سَلْبِ الْعُقُولِ بِهَا

مَا السُّكْرُ (٧) أَسْلَبُ مِنْ عَيْنِكَ لِلْمُهَجِ

ه صِرْقًا فَإِنْ رُمْتَ مَزْجًا يَأْمَنِي أَمَلِي

دَعَهَا بَرِيقَةً وَجَدِي فِينِكَ تَمْتَزِجْ

(١) ب: من هو منضج .

(٢) ب: تمزجا .

(٣) بالكوس .

(٤) الأبيات في ب فقط .

(٥) المندل؛ العود الرطب . . وهو المندلي [لسان العرب ٣/ ٥٣٤] .

(٦) الأرج: نفحة الريح الطيبة . . وهو الأرج [لسان العرب ١/ ٤٤] .

(٧) في الأصل: فالسكر .

كَمْ بَتٌ فِي لَيْلَةٍ أَرِيَا جُهَا^(١) غَلَبَتْ
 عَلَى التَّشَعُّثِ ضَوْءَ الشَّمْسِ فِي السُّرُجِ
 صَرَخَتْ فِيهَا بِاسْمِكَ كَى أَصْبَرَهَا
 مِنْ لَوْلُو^(٢) بَعْدَ مَا كَانَتْ مِنَ السَّبِيحِ^(٣)
 وَكَمْ فَتَحَتْ لَضَيْفِ الطَّيْفِ مِنْ سَرَفِي
 بَابَ الْمَنَايَا فَأَنْبَا عَمَّا^(٤) لَمْ يَلِجِ
 وَكَمْ سَأَلْتُ حُدَاةَ الْعَيْسِ أَنْ يَقْفُوا
 فِي رَسْمِ^(٥) مَنْزِلِهِ أَوْ سَفَحِ مُنْعَرَجِ
 ١٠ وَكَمْ بَدَّلْتُ جَمِيعِي غَيْرَ مُكْتَرِثِ
 وَصَنْتُ سِرِّكَ فِي قَلْبِ عَلِيكَ شَجِي
 وَشِمْتُ بَرْقًا عَلَى الْجَرَعَاءِ أَخْفَقَ مِنْ
 قَلْبِي عَلِيكَ وَجَفَنَ فِيكَ مُخْتَلِجِ
 حَتَّى سَمِعْتُ لِكَ الْبُشْرَى لَتَهْنَأُ^(٦) قَدْ
 ذُكِرْتَ ثُمَّ عَلَيَّ مَا فِيكَ مِنْ عَوْجِ
 وَصَارَ بَبْتُكَ فِي مَجْرَى تَحْنُنٍ فِي
 إِيْجَابِ سِرِّي مِنْ نَفْسِ^(٧) عَلَيَّ نَهَجِ

(١) غير واضحة في الأصل . وفي اللغة ، أرج النار : أوقدها .

(٢) في الأصل : لولوزة .

(٣) السبيح ؛ خرز أسود . . . وهي لفظة دخيلة معربة [لسان ٨١ / ٢] يقول التيفاشي : السبيح من الأحجار الرصاصية ، يؤتى به من الهند وفارس ، وأجوده الهندي . . وهو حجر أسود شديد السواد ليس فيه شقوق ، يرى فيه الوجه كالمرأة (أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ص ١٨٦) .

(٤) في الأصل : عنه لم . (٥) الرسم ؛ الأثر .

(٦) في الأصل : ليهنك (٧) + ب : بر .

فَلَمْ أَقُلْ لِلصَّبَا مِنْ بَعْدِهَا اِحْتِمِلِي
لِلْمِ شَخْصِي وَلَا نَحْوِ الخِيَامِ عَجِي

[الطويل]

١ جَحَدْتُ^(١) الهَوَى حَتَّى تَبَدَّتْ شُهُودُهُ
فَصَرَّحْتُ بِالْكِثْمَانِ وَالْحَقُّ أَبْلَجُ
جُفُونِي مِنْ ذَاكَ الْحِجَابِ قَرِيحَةً
فَلَا دَمْعَ إِلَّا وَهُوَ بِالدَّمِّ يَخْرُجُ
جَعَلْتُ عَلَى قَلْبِي يَدِي تَأَلَّمَا
فَلَمْ أَرَ إِلَّا جَمْرَةً تَتَأَجَّجُ
جُبِلْتُ عَلَى حُبِّ لِمَنْ أَنَا عَبْدُهُ
٥ جَزَانِي هَوَاهُ^(٢) لَوْعَةً وَصَبَابَةً
وَأَتَى إِلَى غَيْرِ الْجَزَاءَيْنِ أَحْوَجُ
جَمَعْتُ لَهُ^(٣) الضَّدَيْنِ جَمْعَ ضَرُورَةٍ
فَجَجَفْنِي نَمَطُورٌ وَقَلْبِي مُنْضَجُ
جَرَيْتُ مَعَ الْأَشْوَاقِ مِلءَ عَنَانِهَا
وَقُرْبُكَ مَطْلُوبٌ وَحُبُّكَ مِنْهَجُ^(٤)

(١) الأبيات في ج فقط .

(٢) غير واضحة في الأصل .

(٣) في الأصل : بك .

(٤) في الأصل : مهج !

جَنَانُ التَّجَلَّى لِلجَنَانِ مُعَدَّةٌ
وَلَا جَاةَ أَرْقَى فِي رِضَاةٍ وَأَعْرَجُ
جَمِيعُ المُنَى فِي لَمْحَةٍ لَوْ جَنَيْتُهَا
فَمَرَّكَ أَبْهَى فِي العُقُولِ وَأَبْهَجُ
هـ جَمَالُكَ لِي عَيْشٌ وَصَدُوكَ لِي رَدَى
فَأَنْتَ الَّذِي تُبْلِي وَأَنْتَ تَفْرَجُ

* * *

قافية الحاء

[الوافر]

١ لَمِنْ خَيْمٍ تَلُوحُ بِذِي طَلُوحٍ ^(١)
تَضَوُّعَ نَشْرٍ ^(٢) قَيْصُومٍ ^(٣) وَشَيْحٍ ^(٤)
دِيَارٍ ^(٥) بِالْعَوَاصِمِ ذَاتِ سَفْنَجٍ
لِسَلْمَى دَائِمِ الدَّمْعِ السَّفْنُوحِ
تَبَسَّمَ ثَنَفَرُهَا وَاللَّيْلِ دَاجٍ ^(٦)
فَنَبَّهَتِ النَّدَامَى ^(٧) لِلصَّبُّوحِ
وَكَيْفٍ ^(٨) بَقَاءِ لَيْلٍ مَعَ نَهَارٍ
وَلَأْسِيمَا لِذِي النَّظَرِ الصَّحِيحِ ^(٩)

(١) الطلح، شجر له شوك صلب . وهو في القرآن: الموز، وقيل غير ذلك . وهو موضع بين المدينة وبدر . . والمراد هنا، موضع بين مكة واليمامة يقال له : طلح ، ذو طلوح (انظر، معجم البلدان ٣٨/٤).

(٢) أ: تفوح بنشر، ج: يضوع بنشر .

(٣) القيصوم، كل ما طال من العشب . وهو اسم لنبات من رياحين البر، ورقه هذب، وله نورة صفراء تنهض على ساق طويلة (لسان العرب ١٠٦/٣).

(٤) الشيح، نبات سهلى له رائحة طيبة وطعم مر (لسان العرب ٣٩١/٢).

(٥) = ب . (٦) ج: داحى .

(٧) ب: النداما .

(٨) × أ . (٩) أ: القلب الجريح، ج: البصر الصحيح .

ه آيَا (١) لَدُنَّ الْقَوَامِ أَعِدُّ لِحِسْمِي (٢)

بِكَاسِكَ - يَا فَدَّتَكَ النَّفْسُ (٣) - رُوْحِي

فَإِنَّ بِهَا حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِي

لِهَذَا لُقِّبْتُ (٤) بِدَمِ الْمَسِيحِ

أَلَسْتُ تَرَى الْحَمَائِمَ قَدْ تَغَنَّتْ

بِلِحْنِ (٥) مُعْجَمِ الْمَعْنَى فَصِيحِ

تَذَكَّرُكَ الصَّبَابَةَ وَالتَّصَابِي

وَتَنْسَخُ حُكْمَ تَوْبَتِكَ (٦) النَّصُوحِ (٧)

[الطويل]

١ عَسَى (٨) لَيْلُ أَمَالِي بِوَجْهِكَ يُصْبِحُ

وَيُسَعْفُنِي (٩) الدَّهْرُ الْبَخِيلُ وَيَسْمَحُ

وَيَسْكُنُ قَلْبُ (١٠) قَدْ تَمَادَى خُفُوقُهُ

وَيَخْلُصُ طَرْفُ (١١) رَاحَ لِلدَّمْعِ يَسْنَفِحُ

(١) × أ.

(٢) ب: لروحي.

(٣) ب: الروح.

(٤) ج، ب: ألقبت . . والضمير هنا، عائد على الكأس!

(٥) ب، ح: بصوت.

(٦) ج: نوليك.

(٧) ب: النصوح، الخالص . . والتوبة النصوح الخالصة من معاودة الذنب!

(٨) الأبيات في أ، ب.

(٩) أ: ويسعفنا.

(١٠) ب: قلبا.

(١٢) ب: طرفا.

أُوْمِلُ^(١) أَنْ يَيْدُو^(٢) لِعَيْنِي جَمَالَهَا
عَسَى لِحَظْهَا فِي رَوْضَةِ الْحُسْنِ يَسْرَحُ
فَلَمَّا بَدَتْ أَطْرَقْتُ فِي الْحِينِ هَيْبَةً
وَمَنْ ذَا لِعَيْنِ الشَّمْسِ بِالْعَيْنِ يَلْمَحُ
ه تَعَرَّضُ لَأَرَامِ الصَّرِيمِ^(٣) لَعَلَّهَا
بِالْحَاظِهَا تَرْمِي حَشَاكَ وَتَجْرَحُ^(٤)
فَمَا عَاشَ إِلَّا مَيِّتٌ فِي حِمَاهُمْ
وَمَا مَاتَ^(٥) إِلَّا مَنْ لِأَهْلِيهِ يَصْلُحُ
إِذَا أَسْرَتَ قَلْبِي عُيُونُ أَهْلِيهِ
فَلَا عَشْتُ إِنْ أَمَلْتُ أَنْي^(٦) أَسْرَحُ
وَأَيْنَ جَمِيلِ^(٧) مِنْ غَرَامِي وَقَدْ غَدَا
لَدَيْهِ جَمِيلُ الصَّبْرِ فِي الْحُبِّ يَقْبُحُ^(٨)

[الطويل]

١ أَلَمْ تَرَ وَجْهَ الْحُسْنِ^(٨) أَوْضَحَ وَأَضِحَ
بَدَأَ فَهُوَ لِلْأَنْوَارِ أَفْضَحُ فَاضِحٌ

(١) ب: أأمل . (٢) ب: ييدي

(٣) الأرام، جمع «رثم» وهو الغزال الخالص البياض . . الصريم، الزرع والإبل (راجع: لسان العرب ٢٠/١، ٤٣٤/٢) فيكون المراد هنا، الدعوة إلى التعرض للنفحات الإلهية، التي هي حرم العالم

النوراني، عسى أن ينال المتعرض شيئاً منها .

(٤) فتجرح . (٥) أ: ولا فاز .

(٦) أ: أملتني أن + أ: أملت أني .

(٧) يقصد: جميل بثينة، العاشق المشهور .

(٨) راجع ما ذكرناه عن «الصبر عن الله» فيما سبق .

(٩) أ: الصبح .

وَلَا عَائِقُ مِنْ دُونِهِ غَيْرُ ذَاتِهِ (١)
 وَمَادُونُهُ مِنْ مَانِعٍ غَيْرُ مَانِعٍ
 إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَ (٢) الْعُيُونَ عُيُونَهَا
 سَبَّكَ (٣) مَرِيضَاتُ الْعُيُونِ الصَّحَائِحِ
 وَإِنْ أَنْتَ أَفْتَتَكَ (٤) الْمَعَانِي وَكُتِبَتْهَا (٥)
 شَهِدْتَ الْمَغَانِي (٦) أَهْلَاتِ الْجَوَائِحِ
 ه فَشَاهِدْ كَثِيفَ الْكُونِ لَا مُتَّقِصًا (٧)
 تَجِدْ وَجْهَ حُسْنٍ لِلْكَمَالَاتِ لِأَنْحِ
 فَمَا الدُّوْحُ تُثْنِيهِ صَبًّا (٨) سَحْرِيَّةً
 بَكَتْ بِالنَّدَا حَوَافِ الْجَنُوبِ (٩) الْمُنَاوِحِ
 وَرَدَّدَ فِيهَا لِحْنَهُ كُلُّ مُعْرَبٍ
 مِنْ الْوُرُقِ مِنْ مَعْنَى مُغَنَّ (١٠) وَنَائِحِ

(١) الإشارة هنا إلى أنوار الذات الإلهية، التي هي حجاب لها، كما ورد في الحديث الشريف: إن لله

سبعين حجاباً من نور.

(٢) أ: أعطيت.

(٣) ب: رأيت، ج: سكت.

(٤) أ: وابتك، ج: أنتك.

(٥) ب: وكتبها.

(٦) . . . المعاني.

(٧) ب: وشاهدت وجه الكون لا متناقصاً، ج: . . . لامتنقضا.

(٨) الصبيا السحرية، ريح الصبا وقت السحر.

(٩) الجنوب، ريح الجنوب.

(١٠) أ: في معنى، ب: مغنم مع معنا.

وَأَوْقَدَ فِيهَا وَأَمِضَ الْبَرْقِ ضَوْءَهُ^(١)

فَلَأَقَى الدُّجَى مِنْ زَهْرِهِ بِالْمَصَابِحِ^(٢)

فِي أَحْسَنِ^(٣) وَجْهِ مِنْ كَيْفَاتِ^(٤) مَرْكَزٍ

هَجَاهَا غَمٌ^(٥) لَكِنْ بَعَيْنِ الْمَدَائِحِ

١٠ تَطَوَّرَ^(٦) فِي أَشْكَالِهَا ذَلِكَ الَّذِي

لَهُ الْقَيْدُ وَالْإِطْلَاقُ رُتْبَةً^(٧) لَأَمَحِ^(٨)

(١) ضوه، ج: صنوه.

(٢) أ: بأحسن، ج: يا حسن

(٣) ب: عما، ج: عمى . . والإشارة إلى غير المتحقق بالوحدة الإلهية!

(٤) أ: تصور.

(٥) ج: زينة.

(٨) قوله في أول البيت «تطور» يعنى اتخذ أطوارا متعددة . . والبيت في جملته تعبير مركز عن نظرية (الوحدة الإلهية) عند الصوفية، وهى النظرية التى تتضارب فيها أقوال دارسى التصوف فيطلقون عليها تسميات مثل: وحدة الوجود، وحدة الشهود، الوحدة المطلقة . . الخ.

ووفقا لهذه النظرية، فالوهية الحق تعالى جامعة بين الأضداد، بمعنى أن كل مظاهر الوجود، إنما هى محض تجليات إلهية، وظهور لآثار الأسماء والصفات الإلهية . . وبذلك ترجع الأضداد إلى أصل واحد بعينه.

وهناك رتبتان فى الوجود، رتبة القيد! وهى حكم الظاهر على الأشياء من حيث المظاهر المتنوعة، وذلك هو عالم الكثرة الذى يبدو للعين فى حال الصحو . ثم رتبة الإطلاق! وهى حكم الباطن على الموجودات من حيث أصلها الواحد، وذلك هو عالم الوحدة الذى يتجلى لبصيرة الصوفى فى حال المحو.

ولم يكن التلمسانى متفرداً فى قوله بهذه النظرية، فقد سبقه إليها صوفية كبار، كالسهروردى الإشراقى وابن سبعين الأندلسى . كما عنى بالقول المفصل فيها، أكبر صوفية الإسلام أثراً فى العفيف التلمسانى، الشيخ الأكبر: محبى الدين بن عربى . . وفى التصوير الشعرى لهذه الفكرة الصوفية، يقول ابن الفارض (الناثية الكبرى، أبيات ٢٤١، ٢٤٢):

وَصَرَخَ بِإِطْلَاقِ الْجَمَالِ وَلَا تَقُلْ بِنَقْيِيدِهِ مَيْلًا لِرُخْرِفِ زَيْتَةٍ
كُلُّ مَلِيحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِهَا مَعَارِلُهُ حُسْنُ كُلِّ مَلِيحَةٍ

وبعد التلمسانى، جاء عبد الكريم الجبلى ليبدع فى تفصيل هذه النظرية، عارضاً لها فى سائر مؤلفاته، على نحو لم يزد عليه صوفى آخر جاء بعده، بل كان المتأخرون عليه مجرد نقلة للنظرية (راجع كتابنا: الفكر الصوفى ص ١٥٥ وبعدها).

فَإِنْ^(١) غَلَطْتَ عَيْنَ الْجَهُولِ^(٢) فَشَاهَدْتَ

خِلَافًا^(٣) فَفِي عَيْنِ الْوِفَاقِ^(٤) الْمُنَاصِحِ

وَمَا^(٥) غَلَطْتَ عَيْنَ الْجَهُولِ وَإِنَّهَا

لَصَادِقَةٌ فِي كُلِّ كِذْبٍ فَسَامِحِ^(٦)

فَإِنَّ الْوُجُودَ الْمَحْضَ لَمْ يَأْتِ بِدَعَا

وَمَا غَيْرُهُ يَأْتِي بِبِدْعٍ وَصَالِحِ

هُوَ الْبَحْرُ لَا سَطْحٌ وَلَا سَاحِلٌ لَهُ

فَمَنْ طَافَ فِيهِ وَمَاشٍ وَسَابِحِ^(٧)

١٥ شَجَّتْ^(٨) مَاءَهُ^(٩) وَاسْتَوَقَفَتْ مِنْهُ فَلِكُهُ

سَرَائِرُ يَبْدِي صَوْنَهَا كُلُّ بَائِحِ^(١٠)

(١) = ج .

(٢) في المصطلح الصوفي ، لا يعنى الجهلُ مفهومه المشهور! فقد يدخل في دائرة الجهال عندهم الأدباء ، والكتبة ، وفقهاء الظاهر . . وذلك أن الجهل الحقيقي عندهم ، هو الجهل بالله . فمن لم يكن صاحب ذوق ومشاهدة ، فهو في حكمهم من عوام الجهلة (راجع : إجمام العوام عن علم الكلام ، للغزالي - على هامش كتاب : الإنسان الكامل - ص ١٧ ، ١٨) .

(٣) يقصد : خلافا لما يعطيه مشهد الوحدة .

(٤) ب : الزمان .

(٥) ج : فان .

(٦) ب : من كل ذنب تسامح .

(٧) الإشارة هنا إلى مشهد الكثرة في الوحدة ، وهو المشهد الذي يبدو كبحر لا ساحل له . . راجع مفهوم عبارة «بحرى بلا ساحل» في (ألفاظ الصوفية ومعانيها ص ٣٦) .

(٨) = ب ، تنقت ، ج : شجى .

(٩) : ماؤه .

(١٠) أ : نايج .

عَدَارَى (١) أَبُوهَا (٢) كَانَ (٣) مَفْعُولَ (٤) أُمِّهَا

لِذَا (٥) لَمْ يَجِ (٦) فِيهَا (٧) الْقِيَّاسُ بَوَاضِحٍ (٨)

أَيَا طَارِحًا تِلْكَ الْحَبَائِلَ صَائِدًا

هِيَ الصَّيْدُ فَطَرِحَ، طَرَحَهَا غَيْرُ (٩) طَارِحٍ

وَلَا تَشْكُ (١٠) هَجْرًا مِنْ حَبِيبٍ مَوَاصِلٍ

تَنَكَّرَ إِذْ سَمَّيْتَهُ (١١) بِاسْمِ كَاشِحٍ

(١) غير واضحة في ج، ب: وعذرا.

(٢) أ: أبيها. (٣) ج: أبوهان!

(٤) أ: معقول. (٥) ج: كذا.

(٦) ب: تحي.

(٧) ب: فيه.

(٨) في هذا البيت، يقع التلمساني في متاهة فلسفية لم ينج منها سوى قلة من الصوفية المعاصرين له، وهذه المتاهة الفلسفية هي «نظرية الفيض» التي انتقلت إلى المحيط الثقافي الإسلامي من مدرسة الإسكندرية، عبر تلك الترجمات التي اجتاحت العالم الإسلامي مع حركة الترجمة من اللغة اليونانية إلى العربية منذ القرن الثالث الهجري.

ففي الإسكندرية، ظهرت صياغة جديدة للفلسفة اليونانية، عرفت باسم «الأفلاطونية المحدثة» وهي مزيج من أفكار أفلاطون والمتأخرين عليه، من أمثال فيلون اليهودي وأمونيوس ساكاس - سقاء أمون - وتلميذه الشهير أفلوطين. . . وكانت كتابات أفلوطين هي المنبع الرئيسي لمعرفة المسلمين بنظرية الفيض، فقد عرفوا موسوعته الفلسفية (التاسوعات) التي عرضت لكيفية صدور الموجودات عن الواحد «الله» وكيف حدث هذا الفيض عن تأمل الواحد لبهائه، فصدر من تعقل الواحد لذاته «العقل الأول» تعقل ذاته، فصدرت «النفس الكلية» ثم توالى سلسلة الفيوضات إلى العالم الأرضي والتحمت بالمادة، فكان العالم المحسوس. وقول التلمساني هنا «عذارى» إشارة إلى المعقولات والأفلاك العلوية، التي هي نتاج انفعال العقل الأول «الأب» بالنفس الكلية «الأم» ولو كان التلمساني قد تجنب الخوض في تلك المبهمات، لكان خيرا فعل. لكنه تأثر ابن عربي وتلاميذه!

(٩) ب: عند.

(١٠) ج = .

(١١) أ: فتنكر ذا سميته، ب: تذكر إذ سميتها.

وَأَنَّ^(١) كُنْتُ مَرْكُومًا فَلَيْسَ بِلَاتِقٍ

مَقَالِكِ^(٢) إِنَّ الْمَسْكَ لَيْسَ بِفَائِحِ

[السريع]

جُنْحُ^(٣) الدُّجَى مِنْ شَفَرِهِ يَجْنَحُ

أَوْ مِنْ ثَنَائِيَا ثَفَرِهِ يُضْنَبِحُ

عَاجِبْتُ مِنْ بَرْدِ لَمَاهُ وَفِي

قَلْبِي مِنْهُ لَهَبٌ يَلْفَحُ

اشْرَبَ عَلَيَّ نَرْجِسٍ أَجْفَانِهِ

خَمْرًا بِهِ الْحَاظُهُ تَسْمَعُ^(٤)

وَلَا تَقُلُ^(٥) الْوَرْدُ ضَعِيفُ^(٦) أَمَا

فِي وَجَنَّتِيهِ الْوَرْدُ لَا يَبْرَحُ

هَ يَا صَاحِ هَلْ صَحَّ لَنَا مَارَوَى

عَنِ الصَّحَّاحِ^(٧) الطَّائِرُ الْمُفْصِحُ^(٨)

فَأَنَّ^(٩) فِي الْأَفْقِ أَرَى لُجَّةً

لِلشَّهْبِ فِيهَا لَوْلُو يَسْبَحُ

(١) ب: فان. (٢) ج: ملاك.

(٣) × ب (وكتب الناسخ في الهامش: أول القصيدة، جنح الدجى).

(٤) ب: ما عصروا منه وما يسمع، ج: ما عصروا من خمرها واسمحوها.

(٥) أ: ولا تقول، ب: فلا تقول، ج: تقولوا.

(٦) ج: ضيفا. (٧) أ: الصباح.

(٨) انظر ما سبقه عن «السماع» في التعليق التالي.

(٩) = ج.

بَادِرٌ^(١) إِلَى رَاعِي الصَّبُوحِ صَبَاحًا
 وَأَجْعَلْ زَمَانَكَ كُلَّهُ أَفْرَاحًا
 وَأَجِلِ^(٢) الَّتِي تَجْلُو^(٣) هُمُومَكَ فِي الدُّجَى^(٤)
 حَتَّى تَرَى لِظِلَامِهِ إِصْبَاحًا^(٥)
 يَا طَالِبَ الرَّاحَاتِ لَيْسَ يَنَالُهَا
 إِلَّا الَّذِي فِي الرَّاحِ يَجْلُو الرَّاحَا
 أَوْ مُغْرَمٌ أَعْطَى الصَّبَابَةَ حَقَّهَا
 تَدْعُوهُ صَبُوتُهُ إِلَيْهِ كِفَاحًا
 نَشْوَانٌ مِنْ طَرْبِ^(٦) الصَّبَا فَكَأَنَّهُ
 غُصْنٌ يَمِيلُ مَعَ الصَّبَا مُرْتَاحًا
 أَوْ مَا تَرَى عُجْمَ^(٧) الحَمَائِمِ لِحْنِهَا
 قَدْ رَاحَ يَفْصَحُ^(٨) فِي الهَوَى إِفْصَاحًا^(٩)

(١) أ: الأبيات في أ، ب.

(٢) ب: واجلي. (٣) ب: تجلي.

(٤) ب: الهوى. (٥) أ: لصلاته مصباحا.

(٦) أ: خمر. (٧) ب: لحن.

(٨) ب: يفصح. . إفصاحا.

(٩) تكررت إشارات التلمساني إلى ما يعرف عند الصوفية باسم «السماع»، وهو خطاب الحق تعالى لأوليائه على لسان الكائنات. وقد توسع الصوفية في الكلام عن هذا الخطاب الإلهي الكامن في أصوات المخلوقات (راجع على سبيل المثال: الإنسان الكامل، النادرات العينية، للجيلي، التائية الكبرى، الخمرية، لابن الفارض).
 وهناك مفهوم آخر للسماع، وهو تلك الحلقات التي يجتمع فيها المريدون حول منشد يتغنى بأشعار=

وَالرَّوْضُ فِي حُلَلٍ (١) الْجَدَاوِلُ مُشْبَبَةٌ

حُلَلًا (٢) تُجَرِّدُ فَوْقَهُنَّ صِفَا حَا

وَالرُّوحُ بِالْأَنْفَاسِ (٣) تَقْصِدُ أَنْفُسًا (٤)

مَوْتِي فَتَبَعْتُ (٥) فِيهِمُ الْأَرْوَاحَا

فَإِذَا لِحَاكَ عَلَى (٦) الْبُرُوقِ وَشَمَّهَا

لَا حِ وَخَلَّتْ الْكَأْسُ بَرْقًا (٧) لَاحَا

١٠ فَاخْفِضْ (٨) جَنَاحَكَ لِلْمُدِيرِ وَعِيبْ (٩) عَنْ

الَّلَّاحِي تَرَى مِنْ حَالَتَيْكَ نَجَاحَا

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي السُّكْرِ إِلَّا فُرْقَةٌ (١٠)

الَّلَّاحِي فَوَصِّلْكَ قَهْوَةً وَمِلاَحَا

المحبة حتى يثير كوامن الشوق في النفوس، وهي حلقات غالباً ما تستعمل فيها الموسيقى والآلات . .
نهى عنها بعض الصوفية «ابن سالم البصرى، أبو طالب المكى، عبد القادر الجيلانى . .» وتجاوز عنها
أغلب المتصوفة، ولم يروا فيها بأساً (راجع الفصل الخاص بالسماع فى: إحياء علوم الدين، عوارف
المعارف) ولعبد الكرم الجلى رسالة مستقلة فى مناقشة هذه القضية المختلف عليها بعنوان: غنية أرباب
السماع وكشف القناع عن وجوه الاستماع . . (مخطوطة بخط المؤلف، دار الكتب المصرية رقم
٣٦٠/تصوف).

(١) ب: ظلل .

(٢) ب: خيالاً .

(٣) الأنفاس؛ المواهب الربانية وملحات الأنوار العلوية .

(٤) أ: بالأرواح يقصد سائلاً .

(٥) أ: فبيعت .

(٦) ب: عن .

(٧) برق . برق .

(٨) أ: فاخضع .

(٩) ب: غيب . (١٠) ب: غيبة .

أَوْلَيْسَ (١) صَخْوُكَ دَابُّهُ مِنْ شَأْنِهِ
 أَنْ يَجْمَعَ الْعُدَّالَ وَالنُّصَّاحَا
 فَاجْعَلْ مَكَانَ الصَّخْوِ (٢) سُكْرًا تَجْتَلِي
 مِنْ خَمْرِكَ الْأَخْدَاقَ وَالْأَقْدَاحَا
 أَنَا مَنْ تَجِرْتُ مَعَ الْغَرَامِ مُجْرِبًا
 فَوَجَدْتُ كُلَّ تِجَارَتِي أَرْبَاحَا
 ١٥ وَرَأَيْتَنِي غَنِيْتُ (٣) مِنْ طَرَبِ الْهَوَى
 وَأَخُو التَّسْلَى (٤) بِالتَّشْكَى (٥) بَاحَا
 وَرَأَيْتُ لَيْلَى أَسْفَرَتْ فَكَحَلْتُ مِنْ
 الْحَاطِهَا مُقْلًا مُلْتِنَ جِرَاحَا
 وَجَلَا ظَلَامِي نُورَهَا فَكَأَنَّمَا
 أَهَدَّتْ إِلَى ظُلْمَاتِهَا (٦) مِصْبَاحَا (٧)
 فَرَأَيْتُ إِذْ شَاهَدْتُ مِنْ أَجْفَانِهَا
 الْمَرَضَى مَعَانِي (٨) فِي الْجَمَالِ صِحَاحَا

(١) = أ. (٢) + أ.

(٣) ب: قد غبت.

(٤) ب: التشكى.

(٥) أ: التسلى.

(٦) إشارة إلى الحديث الشريف: إن لله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره [انظر تخريجه فيما سبق].

(٧) أ: الإصباحا.

(٨) ب: مرضى المعانى.

وَأَعْجَمْتَ أَعْيُنَكَ السَّخْرَ مُذْ

أَعْرَبْتَ مِنْهُنَّ الصِّفَاتِ الصَّحَاحِ^(١)

فِيآلَهَا سُودٌ مِرَاضٌ غَدَّتْ

تَسَلُّ لِلْعُشَّاقِ بِيضَ الصَّبَاحِ

يَا لِلْهَوَى مِنْ مُسْمِعِ مُغْرَمٍ

رَأَى حَمَامَ الْأَيْكَ غَنَى فَنَاحِ

ه يَا بَانَةَ مَآلَتِ بِأَعْطَافِهِ

قَدْ عَلَّمْتَنِي كَيْفَ هَذَا الرِّمَاحِ

وَأَنْتِ يَا أَسْنَهُمَ الْحَاظِهِ

أَثَخَنْتِ وَاللَّهِ فِئْوَادِي جِرَاحِ

[الطويل]

١ حَنَنْتِ^(٢) إِلَى الْعَهْدِ كَانَ فَاَنْقَضَى

فَهَا أَنَا فِي الظُّلْمَاءِ التَّمَسُّ الصُّبْحَا

حَرِيْقُ بِنَارِ الْقَلْبِ لَا أَجْمَلُ الْأَسَى

غَرِيْقُ بِمَاءِ الدَّمْعِ لَا أَحْسِنُ السَّبْحَا

حُجِبْتُ فَمَالِي فِي لِقَائِكَ حَيْلَةٌ

عَلَى أَنْتَنِي أَظْمَأَ حُبِّكَ^(٣) لَوْ أَصْحَا

(١) في الأصل : صفائح صحاح .

(٢) الأبيات في ج فقط .

(٣) في الأصل : بحبك .

حَشَايَ وَأَجْفَانِي لَهَيْبٍ وَأَدْمَعٍ

فَأَوْنَةٌ سَحًّا^(١) وَأَوْنَةٌ لَفْحًا

ه حَلَالِي ذِكْرُ الْحُبِّ حَتَّى اخْتَبَرْتُهُ

فَأَلْفَيْتُ أَنَّ الْجِدَّ لَا يُشْبِهُ الْمَزْحَا

حَبِيبٌ هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَوْعًا لِحُبِّهِ

وَمِنْ أَجَلِهِ أَضْرَبْتُ^(٢) عَنْ ذِكْرِهِمْ صَفْحًا

حَتَمْتُ عَلَى قَلْبِي مُرَاقِبَ بَابِهِ

عَسَى مُغْلَقُ الْأَبْوَابِ يُعْقِبُهَا فَتْحًا

حُسِدْتُ عَلَى دَمْعٍ عَلَيْكَ أَرْقَيْتُهُ

وَذَاكَ لِأَنَّ الْحُبَّ بِالسَّحِّ قَدْ صَحَّحًا^(٣)

حَنَانِيكَ لَيْسَ الصَّبْرُ عَنْكَ بِمُمْكِنٍ

فَإِنْ لَمْ أَنْلِ مِنْكَ الْمَحَبَّةَ فَالْصَّفْحَا

١٠ حَرَامٌ عَلَى الْعِيدَيْنِ طَرْفِي وَمَسْمَعِي

لَأَنَّكَ يَا مَوْلَايَ فِطْرِي وَالْأَضْحَا

(١) فى الأصل : مسحا .

(١) فى الأصل : أطرقت من .

(٣) يقصد ؛ سح الدمع صار يستوجب الحسد ، لكونه دليل صحة المحبة .

قافية الخاء

[الطويل]

١ عَلَى^(١) صُدْغِهِ بِالْمِسْكِ مِنْهُ نَوَاسِخٌ^(١)
 وَفَى خَدِّهِ بِالْمِسْكِ مِنْهُ نَوَاسِخٌ^(٣)
 كَأَنَّ تَثْنِيَّ قَدِّهِ غُصْنٌ بَانَةٌ
 عَلَيْهِ شَبِيهُ الشَّعْرِ أَسْوَدٌ صَالِحٌ^(٤)
 أَلَا فَارُوبًا عَنِّي أَحَادِيثَ حُبِّهَا
 فَمَا شَافَ أَهْلًا قَطُّ فِيهَا النَّوَاسِخُ
 وَكَمْ لَيْلَةً قَدِ بَتُّ سُكْرًا بِحُبِّهَا
 وَشَيْبُ شَدَا الْأُوتَارِ عِنْدِي شَوَادِخٌ^(٥)

-
- (١) المخطوطة (أ) لم تذكر أية أشعار من قافية الخاء، وانفردت المخطوطة ب بهذه الأبيات، وانفردت المخطوطة ج بالأبيات التالية لها.
- (٢) فى الأصل: ناصخ. . والنضخ، شدة فوران الماء فى جيشانه وانفجاره من ينبوعه. وهى كلمة قرآنية «فيهما عينان نضاختان» والعين النضاخة: كثيرة المياه (لسان العرب ٣/ ٦٥٥).
- (٣) فى الأصل: ناصخ. . ويبدو البيت كما لو كان تعبيراً عن العطاء والمنع، فما ينضخ بالمسك من صدغ الحبيب، يقابله إمساك خده. . وهو معنى غريب!
- (٤) الصلخ، الصمم. . فإذا بالغوا بالأصم قالوا: أصم أصلخ (لسان العرب ٢/ ٤٦٣) وقوله هنا «أسود صالح» للمبالغة فى اسوداد الشعر.
- (٥) الشدخ، والكسر. ويقال خاصة فى الرأس والشىء الأجوف (لسان العرب ٢/ ٢٨٢).

٥ فَلَمْ يُتَّهَرَفِ فِيهَا التَّصَابِي وَالصَّبَا

وَقَدْ أُوعِدَتْ^(١) بِالِانْتِهَازِ الْمَشَايخُ

[الطويل]

١ خَلِيلِي مَا لِلْقَلْبِ يَهْفُو مِنَ الْأَسَى

وَمَا لِلدُّمُوعِ الْعَيْنِ كَالْعَيْنِ^(٢) تَنْضَخُ^(٣)

خَلَقْتُ كَمَا شَاءَ الْهَوَى طَوْعَ حُكْمِهِ

فَهَا أَنَا أَبْنَى مُنْذُ حِينٍ وَأَفْسَخُ

خَلَعْتُ عِذَارِي فِي هَوَاهُ كَأَنَّنِي

أَصَمُّ عَنِ الْعِذَالِ فِي الْحُبِّ أَصْلَخُ

خَضَعْتُ لِمَحْبُوبٍ أَذِلُّ لِعِزِّهِ

فَإِنِّي عَلَى ذُلٍّ لَدَيْهِ وَيَنْسَخُ

٥ خَفِيتُ عَنِ الْأَبْصَارِ لَوْلَا بَقِيَّةُ

مِنَ الْقَلْبِ تُبْقِي الْحُبَّ فِيهَا فَيَصْرُخُ

خَيَالٍ كَمَا لَاحَ أَنْجِلَالٌ وَرَاءَهُ

فَوَادٍ بِمَسْفُوحِ الدِّمَاءِ مُضْمَخُ

خَلِيٌّ وَلَكِنْ مِنْ سَوَاكَ وَفِي الْحَشَا

ضِرَامٌ بِأَنْفَاسِ الصَّبَابَةِ تَنْفُخُ

(١) في الأصل: أعدت.

(٢) في الأصل: كالغير.

(٣) راجع «النضخ» فيما سبق.

(٤) غير واضحة في الأصل.

خَطَابُكَ رِيحَانِي وَرَوْحِي وَجَتِّي (١)

وَمِنْ دُونِهِ لِلرُّوحِ فِي الْحُبِّ بَرَزُخٌ (٢)

خَبَاتُ الْهَوَى وَهُوَ الْهَوَانُ حَقِيقَةٌ

فَدَعَوْتُهُ تُشْجِي وَدَعَاوَاهُ تُرْنِخُ (٣)

* * *

(١) قوله تعالى: «فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم.. الواقعة: ٨٩».

(٢) البرزخ، الفاصل الحائل بين الشيتين، وهو الوقت الممتد من الموت إلى البعث (لسان العرب ١/ ١٣٩) وللصوفية كلام طويل في عالم البرزخ الفاصل بين الدنيا والآخرة.

(٣) الرنخ، الإذلال. يقال «رنخ الرجل» إذا أذله (لسان العرب ١/ ١٢٣٥) وقد انتهت هذه الأبيات ببيت كتبه الناسخ كما يلي:

خذوا الوجد من قلبي عيانا فإنما زمان التصابي يوسخ

قافية الدال

[الطويل]

مُحَيَّاكَ تَهْوَاهُ الْحُمَيَّا^(١) أَمَا تَرَى
حَشَا الْكَأْسِ فِيهِ^(٢) جُدُوَّةٌ^(٣) تَتَوَقَّدُ
وَلَوْلَا بُكَاهَا مَا أَبَدَا فَوْقَ خَدِّهَا
دُمُوعٌ^(٤) حَكَاهَا اللَّوْلُوُّ الْمُتَبَدِّدُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِ فِتْنَةَ الْعِشْقِ قَبْلَهَا
إِلَى أَنْ رَأَتْ عَيْنِي جَمَالَكَ يُعْبَدُ
إِذَا مَا ارْتَشَفْتَ الرَّاحَ^(٥) مِنْ نَعْرِ كَأْسِهَا
أَلَسْتَ تَرَاهَا نَحْوَ وَجْهِكَ تَسْجُدُ
هَ وَلَوْلَا لَمْ^(٦) يَكُنْ مَعْنَاكَ فِي الْكَوْنِ مُطْلَقًا
يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْكَ حُسْنُ مُقَيَّدُ

(١) أ، ب: محيا.

(٢) أ: فيها.

(٣) ب: خمرة.

(٤) ب: حباب.

(٥) ب: الخمر، ج: الكأس.

(٦) ج: ولولا.

لَمَّا شَهِدَتْ^(١) عَيْنِي جَمَالَكَ جَهْرَةً

وَمَنْ لَمْ تُشَاهِدْ عَيْنُهُ كَيْفَ يَشْهَدُ^(٢)

عَجِبْتُ^(٣) لِكَأْسٍ قَدْ صَحَّوَتْ بِشُرْبِهَا

بِهَا أَبَدًا صَحْوِي^(٤) عَلَىٰ يُعْرَبِدُ^(٥)

أَقَامَتْ عَلَىٰ الْحَدِّ أَسْمَاءُ ذَاتُهَا

فَهَلَّا أَقِيمُ^(٦) الْحَدِّ فَيَمْنُ يُحَدِّدُ^(٧)

رَأَوْا عَطْفَ^(٨) لَيْلَىٰ قَدْ تَنَّىٰ فَأَشْرَكُوا

وَقَدْ يَتَنَّى^(٩) وَهُوَ فِي الْحُسْنِ^(١٠) مُفْرَدٌ

(١) ب : شاهدت .

(٢) في هذا البيت يشترط التلمساني لصحة الشهادة «لا إله إلا الله» شهود التجلي الإلهي في الكون، إذ كيف تصح الشهادة بلا شهود . . أما الأبيات الخمسة الأولى، فهي في جملتها تصوير لجوانب نظرية الوحدة، وما يذهب إليه أهل المشاهدات من القول بالوجود المطلق والوجود المقيد، وقد تعرضنا لذلك في تعليق سابق .

(٣) = ب .

(٤) أ : سكرى .

(٥) يشير البيت إلى أثر كأس المحبة الإلهية، وهي كأس - كما نرى - تورث صحوا لا سكرًا! فالمحبة الإلهية تفتح أعين العبد على تجليات كمال الله وجماله في الوجود، فيفوق من سكر الحجاب وكثافة المادة، وينتبه إلى التجليات الإلهية في الكون . . والصوفية يستخدمون مصطلح (الصحو) في مقابل (المحو) قاصدين بهما حالين مخصوصين لأهل التجريد، فالمحو هو فناء ذات الصوفي بالكلية، بعد ارتقائه سلم الأحوال والمقامات، أما الصحو فهو البقاء بعد الفناء، وهو ما يعرف في لغة الصوفية بالبقاء الثاني تمييزا له عن البقاء الأول في عالم الحجب .

(٦) ج : مقيم .

(٧) يشير التلمساني هنا إلى وجوب إقامة الحد على من يحدد الوجود الإلهي في صور الخلق، وذلك كما فعل النصارى حين قالوا إن الله هو المسيح، فكانوا بذلك يقيدون الحق تعالى بصورة . . ووفقا لقول الصوفية على لسان الوحدة، فإن الله هو الإطلاق الذي لا يجوز تحديده وتقييده في صورة معينة .

(٨) ب : حسن .

(٩) ج : تننى . (١٠) أ : حسنها وهو .

١٠. فَإِنْ^(١) حَاوَلُوا مِنِّي: الْحُجُودُ أَوْ الرَّدَى^(٢)

فَهَذَا دَمِي حَلٌّ لَهُمْ لَسْتُ أَجْحَدُ

[الوافر]

١. وَحَقَّقْ^(٣) مَا الْجُفُونَ السُّودُ رُمْدُ

وَلَا سَلَّتْ^(٤) بِهَا الْهِنْدِيَّ هِنْدُ

وَلَكِنَّ الْفُتُورَ بِهَا فُتُونٌ^(٥)

وَفِي الْوَسَنِ الَّذِي تُبْدِيهِ سُهْدُ

لَقَدْ أَطْرَبْتَ سَمْعِي^(٦) يَا عَذُولِي

بذُكْرَاهَا كَأَنَّكَ كُنْتَ تَشْدُو

وَسُقْتَ رِكَابَ أَشْوَاقِي وَدَمْعِي

فَمَعْدَلٌ^(٧) ذَاكَ لِي أَمَّ أَنْتَ تَخْدُو

ه. وَأَغْيَدُ^(٨) فِي الْمَنَاطِقِ مِنْهُ^(٩) غَوْرُ

أَهِيمٌ بِهِ وَفِي الْأَعْطَافِ^(١٠) نَجْدٌ^(١١)

(١) ج: وإن .

(٢) أ: الردى . . والإشارة إلى تخييرهم له بين الموت وبين إنكار ما هو من المحبة .

(٣) الأبيات في أ، ب . (٤) ب: سلب . (٥) ب: فنون .

(٦) ب: سمعك . (٧) ب: بعذلك . (٨) ب: وأهيف .

(٩) أ: عنه .

(١٠) العطف؛ موضع بنجد (معجم البلدان ١٢٩/٤) .

(١١) جاء في صدر البيت «غور» وفي آخره «نجد» وهما كلمتان وردتا في شطر بيت محروم النصف

للأعشى يقول فيه «غار لعمرى في البلاد وأنجدا» فاختلف في مرادهما، قال الجوهري: غار يغور

غورا أى أتى الغور لأنجدا (لسان العرب ١٠٢٧/٢) .

ونرى أن المراد من قول التلمسانى هو أن محبوبه الأغيد نحيف الخصر - حيث يلتف النطاق - ففى

خصره غور، وفى أعطافه «أكنافه» نجد أى ارتفاع . . فهو أغيد أهيف نحيف الخصر .

شَهَدْتُ بِوَجْهِهِ بَدْرًا وَأَدْنَى

وَقَوَائِعِ لِحْظِهِ بَدْرًا وَأَخْدُ^(١)

وَقَالُوا خَدُّهُ: مَاءٌ وَخَمْرٌ

وَكُلٌّ مِنْهُمَا لِأَخِيهِ ضِدٌّ

فَقُلْتُ وَمَقْصِدِي بِالْقَوْلِ خَالٌ^(٢)

هُنَاكَ: نَعَمْ وَفَوْقَ الضِّدِّ نَدٌّ^(٣)

وَأَعْجَبُ مِنْهُمَا وَرَدُّوْا^(٤)

وَلَيْسَ بِكَائِنٍ فِي^(٥) الْأَسِ^(٦) وَرَدُّ

١٠ سَقَى^(٧) عِلْمِي غَدَاثِرَةً^(٨) دُمُوعِي

فَحُسْنُ الطَّلِّ فَوْقَ الْأَسِ يَعْدُو^(٩)

وَحَيًّا^(١٠) الْأَبْرَقَيْنِ وَلَيْسَ^(١١) إِلَّا

ثَنَائِيَه^(١٢) وَجِيْدٌ فِيهِ عِقْدٌ

(١) بدر وأحد؛ موقعتان مشهورتان .

(٢) الخال؛ العلامة السوداء التي تكون على الوجه أو العضو، وهو في الاصطلاح الصوفي: إشارة إلى نقطة الوحدة، التي هي مبدأ الكثرة ومنتهاها (كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ٢/٢٣٣).

(٣) الند؛ الشارد . . يريد أن يقول: إن وراء عالم الكثرة المتناقضة، عالم الوحدة الذي يشرد عن الأفهام. والند أيضاً: نبات طيب الرائحة يدخن به!

(٤) ب: أس وورد.

(٥) -ب .

(٦) الأس؛ شجر معروف لا يثمر.

(٧) ب: شفى . (٨) أ: عذاريه .

(٩) ب: لعدوا . (١٠) أ: وصى .

(١١) . . . ليس .

(١٢) أ: ثناه .

حَلَّتْ أَلْفَاظُهُ لِمَ لَا وَتَنَفَّرُ
الْمَلِيحَةَ سَكَّرَ^(١) وَالرِّيْقُ شُهُدُ

[الطويل]

١ مَتَى زُرْتُمْ نَجْدًا فَإِنِّي أَرَاكُمْ
تَضَوُّعٌ عَلَيْكُمْ نَفْحَةٌ^(٢) مِنْ شَدَى^(٣) نَجْدٍ^(٤)
أَظُنُّ حِمَى لَيْلَى حَلَلْتُمْ^(٥) بِرَبْعِهِ
فَضَاعُ^(٦) لَكُمْ مِنْهُ شَدَى مَسْحَبِ الْبُرْدِ^(٧)
أَلَا، يَا بَرُوحِي أَنْتَ، هَلْ^(٨) لَكَ عَوْدَةٌ^(٩)
فَتُقَرِّي سَلَامِي جِيْرَةَ^(١٠) الْعَلَمِ الْفَرْدِ
عَرِيْبٌ لَهُمْ عِنْدِي رِعَايَةٌ عَنْهُمْ
وَمَا عِنْدَهُمْ لِي^(١١): نَقْضُ عَهْدٍ وَلَا عَقْدِ
ه إِذَا زَمَزَمَ الْحَادِي بِالْحَانَ حُبِّهِمْ
يُسَابِقُهُ^(١٢) رَكْبٌ مِنَ الدَّمْعِ فِي خَدِّي^(١٣)

(١) ب: سكرًا. (٢) عقبه.

(٣) شذا. (٤) تجدى.

(٥) أ: مررتم + أ: حلتتم، ج: مررت.

(٦) ب: وضاع.

(٧) ب: نفحة الندى.

(٨) ب: بروحي هل لك الدهر.

(٩) ج: دعوة. (١٠) أ: ساكني.

(١١) ب: من. (١٢) أ: يسابقيهم.

(١٣) ب: الخلد.

صَبَّغْتُ بِمُحْمَرٍ مِنَ الدَّمْعِ بَعْدَهُمْ
مِنَ الرَّمْلِ مُبَيِّضًا^(١)، لِأَرْعَى لَهُمْ عَهْدِي

[الطويل]

١ خُذُوا^(٢) عَن^(٣) تَشَى الغُصْنِ أَخْبَارَ قَدِهِ
وَلَا سِيِّمًا عَن بَانَ نَجْدٍ وَرَنَدِهِ^(٤)
وَلَا تَسْأَلُوا عَن فَاتِكَاتِ حَاظِهِ
وَأَسْيَافِهَا^(٥) إِلَّا حُشَاشَةَ^(٦) عَبْدِهِ
تَعَشَّقْتُهُ^(٧) عِشْقَ السَّقَامِ لِحِفْنِهِ
وَعِشْقَ الصَّدَى^(٨) الظَّمَانَ^(٩) مِنْهُلَ وَرَدِهِ
وَمَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَ وَسْنَانِ جَفْنِهِ
بِأَنَّ كَلَالَ السَّيْفِ أَمْضَى لِحَدِّهِ

(١) ب: مبيض . (٢) الأبيات في أ، ب وساقطة من ج .

(٣) ب: من .

(٤) الرند والبان؛ من النباتات والأشجار . . والإشارة في البيت إلى عنعنعة الحديث، فالحديث المعنعن: ما يقال فيه فلان عن فلان، من غير بيان للتحديث أو الأخبار أو السماع (تحقيق المختصر من مصطلح الأثر، للشنشوري ص ٢٨) .

(٥) في أ «أسيافه» والضمير هنا عائد على اللحاظ!

(٦) الحشاشة؛ روح القلب ورمق حياة النفس، وكل بقية حشاشة . والحشاشة بقية الروح في المريض (لسان العرب ١/ ٦٤٤) .

(٧) العشق؛ فرط المحبة . . وهو مشتق من «العشقة» وهي قطعة الشجر إذا انفصلت . فيبست وكان ابن الجوزي قد نعى على الصوفية استخدام كلمة «العشق» في الإشارة إلى محبة الله، واعتبر ذلك جهلا منهم «تلبيس إبليس ص ١٧١» وقد ردنا قول ابن الجوزي في الفصل الذي عقدناه للمحبة من كتابنا: الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر [دار الجليل، بيروت] .

(٨) الصدى؛ الشديد العطش . (٩) أ: الضمان، ج: لظمان .

٥ وَلَا لَذَّةَ لِلسُّكْرِ مِنْ قَبْلِ عِشْقِهِ
 إِلَى أَنْ سَقَانِي نَاطِرِي كَأْسَ خَدِّهِ
 وَدَانَ وَلَكِنْ بَيْنَ نَوْمِي وَنَاطِرِي
 مِنَ الْبُعْدِ مَا بَيْنَ الْوَفَاءِ وَوَعْدِهِ
 وَكَيْفَ تَدَانِيهِ^(١) وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ
 مَسَافَةٌ هَجْرٍ وَأَصَلْتُ نَقْضَ عَهْدِهِ
 وَقَدْ^(٢) كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ طَرْفِي يُطِيعُنِي
 إِلَى أَنْ رَأَيْتُ الْقَلْبَ مِنْ بَعْضِ جُنْدِهِ
 فَلَا طَرْفَ^(٣) إِلَّا تَحْتَ رَايَةِ شَعْرِهِ
 وَلَا قَلْبَ إِلَّا تَحْتَ مَعْقُودِ بَنْدِهِ^(٤)

[الكامل]

١ أَنْتَ الْحَبِيبُ وَإِنْ سَلَبْتَ رُقَادِي
 وَأَطَعْتَ فِي^(٥) تَعَرُّضِ الْحُسَّادِ
 لَا كَانَ قَلْبٌ ضَلَّ فِيكَ بِوَجْدِهِ
 إِنَّ^(٦) مَالَ عَنكَ^(٧) إِلَى هُدَى وَرَشَادِ

(١) ب : أدانيه .

(٢) = ب .

(٣) ب : عين

(٤) البند؛ العلم الكبير . فارسي معرب (لسان ١ / ٢٦٧) .

(٥) ج : فيك .

(٦) ب : أو .

(٧) ب ، ج : فيك .

مَلَكْتَ خُدُودَكَ أَسْوَدَى^(١) فَمَاؤَهَا^(٢)

مِنْ مُقَلَّتِي وَلَهَيْبُهَا بِفُؤَادِي
وَأَرْحَمَتَاهُ لِمُقَلَّةٍ بَدْمُوعِهَا

غَرَقِي وَنَظَرُهَا لِيُوجِّهَكَ^(٣) صَادِي^(٤)
ه قَسَمًا بِسَالِفِ عَيْشَةٍ سَلَفَتْ لَنَا

بِسُلَّاقَةٍ أَوْ شَادِنِ^(٥) أَوْ شَادِي
وَبِطِيبِ^(٦) لَيْلَاتِ الْعَقِيقِ^(٧) وَمَا جَنْتُ

تِلْكَ الظِّبَاءُ بِهِ^(٨) عَلَى الْأَسَادِ^(٩)
لَا حِلَّتُ عَنْ وَادِي الْأَثِيلِ^(١٠) بَسْلُوَةٍ

تُنْسِي عُهُودَ أَهْمِيلِ^(١١) ذَاكَ الْوَادِي^(١٢)
حَتَّى بِهِ مَاتَ السُّلُوءُ أَمَا تَرَى

لُبْسَ الْجُفُونِ عَلَيْهِ ثُوبَ حَدَادِ^(١٣)

(١) الأسود: جبل نصفه نجدى ونصفه حجازى، بحذاء بطن نخل، وهو جبل شامخ لانت فيه غير الكلا. والأسودان: أسود الحمى، وأسود الدم. وكلاهما جبل مشهور [معجم البلدان ١/١٩٢].

(٢) ب: مقلتي غاوها. (٣) ب: بوجهك.

(٤) الصادى: العطشان الشديد العطش.

(٥) السلافة؛ الخمر. والشادن؛ ولد الظبية إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه. والشدن؛ شجر له نور شبيه بنور الياسمين إلا أنه أحمر مشرب، وهو أطيب من الياسمين [لسان العرب ٢/٢٨٥].

(٦) ج: ويطيب.

(٧) العقيق؛ مسيل الماء الذى شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه. وهو اسم لأربعة مواضع فى بلاد العرب، يشير التلمسانى هنا بعقيق المدينة منها، وادى بناحية المدينة فيه عيون ونخل [انظر: معجم البلدان ٤/١٣٩].

(٨) ج: فيه. (٩) ب، ج: الأسادى.

(١٠) وادى الأثيل؛ موضع. (١١) ب: أثيل.

(١٢) أ: النادى. (١٣) أ: سواد + أ: حداد.

وَمُحَجَّبٍ مَّا الْوَجْدُ^(١) فِيهِ مُحَجَّبًا^(٢)

عَنْ عَاذِلِيٍّ وَلَا^(٣) التَّصَبُّرُ بَادِي

مَهُمَا انْثَنَى فَأَنَا الطَّعِينُ بِقَامَةِ

هَيْفَاءَ تَهْزَأُ بِالْقَنَا الْمَيَّادِ

١٠ وَإِذَا^(٤) رَنَا فَأَنَا الْقَتِيلُ بِمُقْلَةٍ

نَجْلَاءَ أَمْضَى مِنْ حُدُودِ حَدَادِ^(٥)

[الكامل]

١ عَجَبًا لِمَنْهَلِ خَدِّهِ مِنْ مَوْرَدِ

وَعَيُونُهُ هِيَ مِنْ عَيُونِ الْوَرْدِ^(٦)

تَزَاحِمُ الْأَحَاطِظَ وَهِيَ بِدَمْعِهَا

رِيًّا وَتَصْدُرُ عَنْهُ أَكْثَرُهَا صَدِي^(٧)

يَا^(٨) سَاكِنًا حَبَّ الْقُلُوبِ خَوَافِقًا^(٩)

إِنَّ السُّكُونَ بِخَافِقٍ لَمْ^(١٠) يُعْهَدِ

(١) أ: بالوجد، ج: ما الحسن .

(٢) ج: محجب .

(٣) أ: والى .

(٤) أ: فإذا .

(٥) ج: حدود حداد . . ووفقا لما هو بالمتن؛ فالحدود الأولى: جمع حد، والحدود الثانية: السيوف .

(٦) ب: المورد .

(٧) أ، ب: صد . . ج: وتصدر عنه روى وأكثرها صدى!

(٨) ب: أيا .

(٩) ب: خوافق . (١٠) ب: لا .

مَا بَالُ قَلْبٍ أَنْتَ فِيهِ وَنَارُهُ^(١)

فِي مَاءٍ حُسْنِكَ دَائِمًا لَمْ تُخْمَدِ
هـ وَلَقَدْ سَلَّتَ^(٢) فَلَا تَكُنْ مُتَمَسِّكًا

سَيْفًا مِنَ الْأَجْفَانِ^(٣) لَيْسَ بِمُغْمَدِ
وَقَتَلْتَ^(٤) سُلُوَانِي وَصَبْرِي وَالكَرَى^(٥)

وَبِمُقَلَّتِي دَمَهَا جَرَى لَمْ تَجْحَدِ
إِنْ^(٦) شَاهَدْتَ عَطْفِيكَ أَغْصَانُ النَّقَا

وَسَهَتْ فَكَيْفَ لِسَهْوِهَا لَمْ تَسْجُدِ^(٧)
وَمُحَجَّبٍ أَهْدَى إِلَى خَيَالِهِ

فِكْرِي لِعَجْزِ النَّاطِرِ^(٨) الْمُتَسَهِّدِ
فَظْفِرْتُ^(٩) بِالِدَانِي الْقَرِيبِ وَإِنْ نَأَى

وَالنَّازِحِ النَّائِي^(١٠) وَإِنْ لَمْ يَيْعُدِ

(١) ب: فيه ناره.

(٢) ب: ملكت، ج: سلكت.

(٣) الأجفاء.

(٤) ج: فتكت.

(٥) .. الكرا.

(٦) ب: مذ.

(٧) الإشارة إلى وجوب السجود عند السهو في الصلاة.

(٨) ب: خياله. (٩) ج: وظفرت.

(١٠) تكررت الإشارة إلى الذات الإلهية مرتين، ففي الأولى: الله هو الداني القريب، بحكم «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» وفي الثانية: الله هو المفارق بكماله وجماله وجلاله، فهو تعالى «ليس كمثله شيء وهو السميع العليم».. وفي مشهد الوحدة الذي يحكيه الصوفية، يتلاشى القرب والبعد، فلا يبقى ثم غير وجه الله! ومن هنا نراهم يرددون: ما ثم غير.

١ بَيْنَ لَمَاهُ وَحُمْرَةِ الْخَدِّ
 خَالَ حَكِي نَحْلَةً عَلَى شُهُودِ
 عَجِبْتُ مِنْهُ وَالْتَرَكْتُ تُشْبِهُهُ (١)
 كَيْفَ اعْتَزَى لِحَظَّهُ إِلَى الْهِنْدِ (٢)
 نَابِغَةً (٣) صِرْتُ فِي مَحَبَّتِهِ (٤)
 مِنْ فَرَطٍ (٥) وَجَدِي بِصُدْغِهِ الْجَعْدِ (٦)
 دُونَ وَصَالِي لِثَمِّ وَجَنَّتِهِ (٧)
 دَرَعُ عِذَارٍ (٨) مُقَدَّرِ السَّرْدِ
 هَبْ أَنْهَا لِاخْضِرَارِهِ (٩) مَنَعْتُ
 كَمْ جُهِدَ مَنَعَ الرَّبِيعِ لِلرَّوْدِ
 سَأَلْتُهُ وَالرِّيحُ يَغْبِقُ مِنْ
 وَجَنَّتِهِ تَارَةً وَمِنْ رَنْدٍ (١٠)

(١) ب: تشهده، أ: للترك منه نسبته.

(٢) ج: الهندي.

(٣) ب: تباعد، ج: يانعة.

(٤) ج: حيرت محاسنه.

(٥) ج: فرحة.

(٦) الجعد من الشعر؛ خلاف المسترسل السبط.

(٧) ج: وصلی للثم عارضه.

(٨) العذار؛ موضع نبت اللحية.

(٩) ب: لاخضراره، ج: خضارة.

(١٠) أ: فى فمى وفى زندى.

ذَا^(١) الطَّيِّبُ مِنْ أَيْنَ لِلشَّقِيقِ أَتَى

فَقَالَ مِنْ نَدٍّ^(٢) خَالِي^(٣) النَّدِّ

يَا الْأَيْمَى^(٤) فِي مَدَامِعِ سَكَبَتْ^(٥)

قَدْ نَثَرَتْ دُرَّهَا^(٦) عَلَى الْعِقْدِ

أَضْيَعُ شَيْءٍ مَلَامَةٌ بَدَلَتْ

لِحَاضِرٍ^(٧) الْغَيِّ غَائِبٍ^(٨) الرَّشْدِ

١٠ فَأَيْنَ^(٩) عَقْلِي يَا قَاتِلِي خَطَأً

أَوْ دَيْتِي^(١٠) إِنْ^(١١) قَتَلْتَ بِالْعَمْدِ

لِي مُقْلَةٌ سَمَحَةُ الْقِيَادِ^(١٢) لَهَا

مَدَامِعُ قَصْرُهَا عَلَى^(١٣) الْمَدِّ^(١٤)

زِيَادَةُ النَّيْلِ بَعْضُ^(١٥) نَاقِصِهَا

فَهَلْ أُمِدَّتْ مِنْ النَّدَى السَّعْدِي^(١٦)

(١) ج . (٢) أ، ج : من عند .

(٣) أ : خاله . (٤) ج : يلومني .

(٥) ج : بدم . (٦) عقدها .

(٧) ب : لحاكم . (٨) ب : غالب .

(٩) ب : أفنيت . (١٠) أ : قودي ، ب : ذاتي .

(١١) ج : إذ .

(١٢) ب : العزيز .

(١٣) ج : مد قصرها المد .

(١٤) أ : الأبد .

(١٥) أ : عند ، ب : بعد .

(١٦) لاحظ هنا استخدام التعبيرات «الممدود، المقصور، المنقوص» أما سعدي، فهي قبيلة عربية يتردد ذكرها كثيرا في شعر الصوفية كرمز للحضرة الإلهية .

١ وَاصْلُونِي (١) بَعْدَ بَعْدِي
 وَرَعُوا سَالِفَ عَهْدِي
 وَعَلَى رَغْمِ (٢) الْحَسُودِ
 أَنْجَزُوا بِالْوَصْلِ وَعَهْدِي
 يَا سُرُورِي بِالتَّوَدَّانِي
 يَا هَنَا (٣) حَظِّي وَسَعْفِي
 جَادَ (٤) لِي بَدْرِي بِوَصْلِي
 يَا هَنَائِي نِلْتُ قَصْدِي
 فَاجْتَمَعَ يَمَاءَ عَيْنِي
 وَأَنْطَفَى يَانَارَ وَجْدِي
 أَنَا فِي لَيْلَةٍ (٥) أَنَسِي
 قَدْ صَفَّامُورِدٍ (٦) وَرِدِي
 وَتَنَاوَلْتُ كُؤُوسِي
 بَيْنَ (٧) رِيحَانٍ وَوَرْدِ

(١) الأبيات في أ، ب.

(٢) ب: رقم.

(٣) أ: وهنا.

(٤) = أ.

(٥) ب: مشرب.

(٦) أ: مشرب.

(٧) أ: بنت.

مِنْ يَدِي حُلُو التَّثْنِي (١)

فَاتِن (٢) أَهْيَفِ قَدْ

تَارَةً يُنْشِدُ: خُذْ كَاسِي

وَطَوْرًا: هَاكَ خُذِي [م]

١٠. إِنْ أَقْلُ: يَا أَلْفَ مَوْلِي

قَالَ لِي: يَا أَلْفَ عَبْدِي

أَوْ سَقَى (٣) الْمَمْرُوجَ غَيْرِي

خَصَّنِي (٤) بِالصَّرْفِ وَخُدِي

فِي هَوَاهُ دَعِ مَلَامِي

وَأَطْرِحْ غِيِّي وَرُشْدِي

نَارُ وَجْدِي فِي هَوَاهُ

كَنَعِيمِ الخُلْدِ عِنْدِي

[الوافر]

١. مُقِيمٌ (٥) لِلْمُقِيمَةِ (٦) فِي فُؤَادِي

هَوَى بَيْنَ السُّوَيْدَا وَالسَّوَادِ

(١) ب: التجنى .

(٢) ب: فاتني .

(٤) ب: وسقا .

(٤) ب: وسقاني .

(٥) الأبيات في أ، ب .

(٦) ب: القيامة . . والمقيمة؛ الخمر .

وَوَجَدَ مَا تُغَيِّرُهُ اللَّيَالِي

حَفِظْتُ بِهِ عُهُودَ هَوَى سَعَادِ

دَعَى مَنْ شَاءَ فَبِكَ يَلْمُ كَيْبًا

غَرِيقًا فِي الْمَدَامِعِ وَهُوَ صَادِ

وَحَقٌّ هَوَاكَ مَا فَقَدْتُ عُيُونِي

مَدَامِعَهَا وَلَا وَجَدْتُ رُقَادِي

سَقَى مَغْنَاكَ مِنْ هَضَبَاتِ نَجْدِ ٥

كُئُوسُ الْقَطْرِ مِنْ أَيْدِي الْغَوَادِي

فَكَمْ لِي فِيهِ مِنْ وَطَرٍ تَقْضَى

بِأَحْيَانٍ^(١) عَلَيَّ وَفَقِ الْمُرَادِ

بِحَيْثُ دَنُو سُغْدَى مِنْ تَدَانَ^(٢)

كَمَا نَهَوَى وَبُعْدٍ مِنْ بُعَادِي

وَإِذْ أَنَا وَالْمَلِيحَةَ فِي عِتَابِ

يُلِينُ^(٢) بِلُطْفِهِ عِطْفَ الْجَمَادِ

إِذَا ضَلَّتْ بِطُرَّتِهَا^(٣) عُيُونِي ١٠

فَلِي مِنْ ثَغَرِهَا الْبَسَامُ هَادِ^(٤)

(١) أ: بأحبابي .

(٢) ب: يبين .

(٣) الطرة؛ هي في الثوب شبه علمين يخاطان بجانبى البرد على حاشيته، وطرة كل شيء: حرفه .

(٤) في البيت إشارة إلى أنه: إن ضل عن الذات الإلهية بتنوع تجلياتها المختلفة في العالم الأرضي، فإن إشارات جمالها النورانية لا تلبث أن ترده من عالم الكثرة إلى حقيقة الوحدة . وهي النقلة الواجبة بين «لا إله» و«إلا الله» .

مِنْ الشُّعْرَاءِ دَمَعِي فِي هَوَاهَا
 تَهَيِّمُ سُيُولُهُ فِي كُلِّ وَادٍ (١)
 فَدَيْتِكَ هَلْ أَذْبَتِ (٢) سِوَى جَمِيعِي
 وَمِنِّي هَلْ تَرَكْتَ (٣) سِوَى وَدَادِي (٤)
 وَكَيْفَ يَكُونُ فِيكَ خَفَاءٌ وَجَدِي
 وَهَذَا (٥) حُسْنُكَ الْفَتَّانُ بَادٍ

[الكامل]

١ يَا بَرَقَ نَجْدٍ هَلْ (٦) حَكَيْتَ فُؤَادِي
 فِي ذَا التَّلْهَبِ وَالْخُفُوقِ (٧) الْبَادِي
 لَوْلَا اشْتِرَاكَ هَوَاكُمَا لَمْ تَسْفَحَا
 دَمْعَيْكُمَا (٨) فِي سَفْحِ ذَاكَ الْوَادِي
 أَتْرَى سُوَيْكِنَةَ الْحِمَى بِجَمَالِهَا (٩)
 سَلَبْتُ رُقَادَكَ (١٠) فِي الْهَوَى وَرُقَادِي

(١) الإشارة من قوله تعالى: «والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون.. الشعراء ٢٢٤/٢٢٥».

(٢) ب: أذيب.

(٣) ب: سلبت.

(٤) ب: رقادى.

(٥) ب: وهادى.

(٦) ج: قد. (٧) ب: والجفا.

(٨) ج: لم تسحقا دمع همى.

(٩) ج: بجماله.

(١٠) ب: فؤاده.

عَرَضْتُ قَلْبِي يَوْمَ رَامَةَ إِذْ بَدَتْ

بِنَوَاطِرِ تَحْكِي حُدُودِ^(١) حِدَادِ^(٢)

وَسَأَلْتُهَا سَلْبِي لِعِلْمِي أَنَّ مَنْ

سَلَبْتُهُ صَارَ أَمِيرَ^(٣) ذَاكَ النَّادِي

وَأَعَنَّ^(٤) تَعَشَّقُ^(٥) لِيْنَهُ قُضِبُ^(٦) النَّقَا

إِنْ مَاسَ أَهْيَفُ قَدِّهِ^(٧) الْمَيَّادِ

يَسُقِي النَّدِيمَ بَكَاسِهِ وَبِلِحْظِهِ

وَبِشْفَرِهِ^(٨) رِيًّا فَيُصْبِحُ صَادِي

مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ وَقَّادَ الْجَوَى^(٩)

بَيْنَ الْجَوَانِحِ دَائِمُ الْإِبْقَادِ

وَيَبِيْتُ أَدْنَى لِلْحَشَا مِنْ مُهْجَتِي

وَأَبَيْتُ^(١٠) أَشْكُو مِنْهُ^(١١) فَرُطَ بَعَادِ

(١) ج: خدود.

(٢) ب: حدادي.

(٣) أ. صارمين.

(٤) الأغن؛ الغنة صوت فيه ترخيم، والأغن من الغزلان: الذي في صوته غنة [لسان العرب

١٠٢٣/٢].

(٥) ب: يعشق.

(٦) أ، ب: قده سمر.

(٧) ب: عند اهتزاز قوامه.

(٨) ج: ويلفظه.

(٩) ج: الهوى.

(١٠) ج: قربا.

(١١) ب: أساء.

شَفَفْنَا وَنَكَرَهُ^(٣) التَّمَعَّدَادَ^(٤)

(١) ج : فكأننا .

(٢) ب : النضال بعادنا .

(٣) ب : يكثر .

(٤) من الملاحظ أن ناسخ المخطوطة ب قد تعمد تغيير سياق البيت، حتى يتحاشى كلمة «الاتحاد» وهي الكلمة التي أساء الكثيرون فهم مضمونها الصوفى، وعتوا القائلين بها بالكفر والحلول. ومرجع سوء الفهم، أن غير الصوفية يتوهمون أن المراد بالاتحاد، هو أن يكون الله وخلقهم متحدين. فى حين يراد بهذا اللفظ عند الصوفية: شهود الوجود الحق الواحد المطلق، بحيث يكون الخلق آنذاك موجودا به تعالى، معدوما بنفسه [اصطلاحات الصوفية ص ٢٤] ففى حال الاتحاد يشهد الصوفى أن الوجود الخلقى قد رجع إلى الوجود الحقى ودخل فيه بحكم كون الوجود الحقى هو الوجود الحقيقى، أما وجود الخلق فهو محض خيال موهوم معار [راجع تفصيل هذه المسألة فى الفصل الخاص بالعارية الوجودية من كتابنا: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية ص ١٤١ وما بعدها، وفى الباب الخاص بالوحدة من كتابنا: الفكر الصوفى . . ص ١٥٩ وما بعدها].

وكان ابن الفارض قد حاول الدخول إلى هذه القضية تأسيسا على نص من الحديث القدسى، هو قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه: ما تقرب إلى عبدى بأحب مما افترضته عليه، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها. . (أخرجه البخارى، كتاب الرقاق ٨٨- وابن حنبل فى المسند ٦/٢٥٦، ٦٧٢).
يقول ابن الفارض:

وَجَاءَ حَدِيثٌ بِاتِّحَادَى ثَابِتٌ
يُشِيرُ بِحُبِّ الْحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ
وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الْإِشَارَةَ ظَاهِرٌ
رَوَيْتُهُ فِي النَّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةٍ
إِلَيْهِ بِنَقْلِ أَوْ أَدَاءٍ فَرِيضَةٍ
بَكُنْتُ لَهُ سَمْعًا كَنُورِ الظَّهِيرَةِ

واستنادا لذلك، راح ابن الفارض يحشد أبيات تائيته الكبرى بصريح لفظ الاتحاد (انظر أبيات : ١٦٥، ٣١٢، ٢٩٥، ٣٠١، ٣٩٣) دوغما خشية من أن يتهم بما سبق أن اتهم به البسطامى والحلاج . . أما عبد الكريم الجيلى فقد استند لأثر آخر، هو قوله عليه الصلاة والسلام: لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا، من أتاه بخلق منها دخل الجنة. . (أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، وأبو يعلى فى مسنده، والبخارى فى الصحيح عن عثمان بن عفان، والسيوطى فى الصغير ص ٨٤) يقول الجيلى (النادر العينية: ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٣).

وَكُنْ نَاطِرًا فِي الْقَلْبِ صُورَةَ حُسْنِهِ
فَقَدْ صَحَّ فِي مَتْنِ الْحَدِيثِ تَخَلَّقُوا
وَعَصْ فِي بَحَارِ الْإِتِّحَادِ مَنَزَمًا
عَلَى هَيْئَةِ - الْمُنْقُوشِ يَظْهَرُ طَابِعُ
بِأَخْلَاقِهِ مَا لِلْحَقِيقَةِ مَانِعُ
عَنِ الْمَرْجِ بِالْأَغْيَارِ إِنْ أَنْتَ شَاجِعُ

١ غَزَالَ الْحَيِّ مِنْ أَثْلَاتِ (١) نَجْدٍ
لِوَجْهِكَ وَجْهَتِي وَهَوَاكَ (٢) قَصْدِي
وَدَيْنِكَ فِي مُدَاوَمَةِ التَّصَابِي
عَلَى وَلِيٍّ وَفِي قَبْلِي (٣) وَعِنْدِي
أَحْنٌ إِذَا تَبَسَّمتِ النُّعَامِي (٤)
مُعْطَرَةٌ بِمَسْحَبِ (٥) ذَيْلِ هِنْدِ (٦)
وَأَصْبُو (٧) لِلصَّبَا النَّجْدِي إِذَا مَا
سَرَى (٨) مَا بَيْنَ بَانَاتٍ وَرَنَدٍ
وَمَعَشُوقُ الدَّلَالِ (٩) يَغَارُ مِنْهُ
مِنَ الْأَغْصَانِ كُلِّ رَشِيقٍ قَدِّ
سَقَتْ أَلْحَاظُهُ الْعُشَّاقَ كَأَسَا (١٠)
حَبَابَهَا خَالَهُ بِخَتَامٍ نَدِّ

(١) الأثل؛ شجر معروف، أغصانه شديدة التعقيد، وورقه دقيق.

(٢) ج: وهذاك.

(٣) الإشارة بالقبيل هنا، إلى عالم الأرواح قبل خلق الأجساد، حيث كان الإقرار الأزلي بوحداية الله وربوبيته.

(٤) ب: ابتسمت غمام.. والنعامي، من أسماء ربيع الجنوب، سميت بذلك لأنها أبل الرياح وأرطبها. وقيل: هي ربيع تحيي بين الجنوب والصبأ (لسان العرب ٦٧٧/٣).

(٥) ب: بسحب.

(٦) ب، ج، هندی.

(٧) ب: واصبر، ج: واصبوا

(٨) ح: سرت

(٩) ج: الزلال. (١٠) أ: صرفا.

فَرَأَوْا فِي مَحَبَّتِهِ نَشَاوِي

لِغَيْرِ نَهَايَةٍ وَلِغَيْرِ حَدٍّ

لِقِبْلَةٍ وَجْهَهُ أَبَدًا صَلَاتِي

وَلَثَمُ الْوَرْدِ مِنْ خُذْيِهِ وَرْدِي^(١)

[الطويل]

سَلَبْتُمْ^(٢) رِقَادِي^(٣) فِي الْهَوَى وَتَجَلَّدِي

وَزِدْتُمْ^(٤) بَدْمَعِي فِي ظَمَا قَلْبِي الصَّدِي

وَأَلْبَسْتُمْوَنِي مِنْ جُفُونِكُمْ ضَنَّا

فَوَاعَجَبًا مِنْ لَابِسٍ مُتَجَرِّدٍ^(٥)

أَحْبَابَنَا^(٦) لَا وَالْغَرَامِ الَّذِي لَهُ

وَرُودِي وَمَالِي مَصْدَرٌ بَعْدَ مَوْرِدِي

لِنَّ كُنْتُمْ أَنْبَتُمْوَرَسَمِي الَّذِي

مِنَ السَّقْمِ لَوْلَا الْوَصْلُ لَمْ يَتَجَسَّدِ

(١) الورد؛ الجمع «أوراد» وهي مجموعة من الآيات القرآنية تقرأ في اليوم واللييلة . . يقول ابن منظور: الورد، النصيب من القرآن، بحيث تضم السور دون أن تكون بينها سورة منقطعة، والورد أيضا: الجزء من الليل يكون على الرجل أن يصلية (لسان العرب ٣/٩٠٩) والأوراد عند الصوفية واحدة من مستلزمات الطريق الروحي، غالبا ما يكلف بها كل شيخ طريقة مرديه .

(٢) الأبيات في أ، ب .

(٣) ب: فوادي . (٤) ب: وجدت .

(٥) التجريد عند الصوفية: أن يتجرد الصوفي بظاهره عن الأعراض، وبباطنه عن الأعراض . . فلا يأخذ من عرض الدنيا شيئا، ولا يطلب على ما تركه منها عوضا، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى، لا لعلة غيره . . ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التي يحلها، والأحوال التي ينازلها (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٣) والصوفية يدعون أهل الطريق باسم: إخوان التجريد .

(٦) أبيات ٣، ٤، ٥، ساقطة من ب .

٥ فَمَا نَبَيْتَ تِلْكَ الرُّسُومَ بِغَيْرِكُمْ
 وَلَوْلَاكُمْ كَانَ الْفَنَاءُ بِمَرْصَدٍ
 دَعُوا أَدْمُعِي تَسْقِي مَعَاهِدَ أَرْضِكُمْ
 فَفِي غَيْثِهَا الْهَامِي رِضًا كُلِّ مَعْهَدٍ (١)
 وَلَا تَسْأَمُوا (٢) مِنْ نَاحِلِ أَشْبَهَ الضَّنَا
 سَقَامًا (٣) وَأَنْفَاسًا وَفَرَطَ تَرَدُّدٌ (٤)
 فَمَا حَقَّ أَنْفَاسِ الصَّبَا (٥) أَنْ تَمَلَّهَا
 غِصُونُ النَّقَا مَعَ لِيْنِهَا وَالتَّأَوُّدِ
 وَلَا تَعْتَبُوا فِي النَّوْحِ كُلِّ مُطَوَّقٍ (٦)
 عَلَى هَيْفِ أَعْطَافِ الْغُصُونِ مُغَرِّدٍ
 ١٠ لِأَنَّكُمْ (٧) طَوَّقْتُمْ كُلَّ عَاشِقٍ
 بِدِمْعٍ فَرَّاحُوا بَيْنَ بَاكِ وَمُنْشِدٍ
 فَيَا سَاقِي الْأَجْفَانِ (٨) خَمْرَكَ عَاطِنِي
 وَيَا سَكْرَتِي مِنْهَا عَلَى الصَّحْوِ عَرْبِدِي

(١) المعهد؛ الموضع الذي كنت قد عهدته، أو عهدت هوى لك فيه، أو كنت تعهد به شيئاً.. والجمع: معاهد (لسان العرب ٢/ ٩١٥).

(٢) ب: ولا تسألوا.

(٣) ب: مقاما.

(٤) لفرط تأود.

(٥) ب: الظبا أن ييلها.

(٦) المطوقة؛ الحمامة التي يلتف حول رقبتها شريط من الريش الأسود.

(٧) = ب.

(٨) ب: فيا سائق الأظعان.

١ لَا تُخَدَعَنَّ (١) بِرِقَّةٍ فِي خَدِّهِ
 ٢ فَالسَّيْفُ قَتَّالٌ بِرِقَّةِ حَدِّهِ
 وَدَعِ الْجُنُفُونَ فَإِنَّمَا وَسَنَانُهَا
 أَضْحَى سِنَانًا فِي مُثَقَّفٍ (٢) قَدِّهِ
 ظَبْيٌ حَكَى نَوْمِي دَوَامٌ (٣) نَفَارِهِ
 عَنِّي فَوَاصِلَ ضِدِّهِ (٤) مَعَ صَدِّهِ
 وَسَرَى إِلَى جِسْمِي الضَّنَا مِنْ خَصْرِهِ
 فَهَوَيْتُ ذَاكَ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ
 ٥ عَجِبَ الْحَسُودُ وَقَدْ رَأَى سُكْرِي (٥) بِلَا
 حَدٍّ وَقَلْبِي (٦) فِي عُقُوبَةِ حَدِّهِ
 خَفِضَ (٧) عَلَيْكَ أَلَيْسَ خَفَقُ وَشَاحِهِ
 يَحْكِي فُوَادِي أَوْ تَلْهَبُ خَدِّهِ
 هِيَ نِسْبَةٌ (٨) لَوْ أَنَّ قَلْبِي (٩) نَالَهَا
 مُتَوَقِّدًا لَعَذْرَتُهُ فِي وَقْدِهِ

(١) الأبيات في أ، ب/ وفي ب: لا تتخذ عن .

(٢) الثقافة؛ ما تسوى به الرماح (لسان العرب ١/ ٣٦٥) والمثقف هنا . الرمح المستوي .

(٣) ب: ودام . (٤) ضد النوم، السهر!

(٥) ب: سكر . (٦) أ: وقلبي .

(٧) أ: هون، ب: حفص . . وقوله «حفص عليك» من قولهم: حفص الله عنه، أي خفف عنه! وهو

أسلوب - كما يقول ابن منظور - من النوادر . . (لسان العرب ١/ ٧٦٢) وقد جعلنا (حفص) لاتفاقها

مع (خفق) الواردة بعدها .

(٨) أ: سنة . (٩) أ: قلبك .

شُكْرِي لِصَبْرِي عَنْهُ إِذْ هُوَ خَانِنِي

وَرَأَى (١) الْخِيَانَةَ كَالْوَفَاءِ بَعَهْدِهِ (٢)

وَلِمَدَمَعِي (٣) بُعْدًا وَسَحْقًا إِنَّهُ

دُرٌّ لَدَيَّ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِغْفُدِهِ

١٠ مِنْ مُنْصِفِي مِنْ (٤) قُرْبِهِ فَلَقَدْ أَبَى

قُرْبِي وَمَنْ ذَا مُنْقِذِي مِنْ بُعْدِهِ

يَا بَانَةَ الْوَادِي وَيَا وَرَقَاءَ (٥)

نُوحِي لِعُصْنِكِ إِذْ أَنْوَحُ لِفَقْدِهِ

أَنْتِ الْحَزِينَةُ وَالْحَزِينُ أَنَا كِلَانَا

الْيَوْمَ مَفْذُورٌ يَنْوَحُ بِوَجْدِهِ

حَالِي (٦) كَحَالِكِ وَالْمُجَاوِرُ - كَفُهُ

لِلْمَاءِ يَعْرِفُ حَرَّهُ مِنْ بَرِّهِ

[البسيط]

١ بِاللَّهِ بَلَّغُ (٧) سَلَامِي أَيُّهَا الْحَادِي

إِلَى (٨) غَزَالِ الصَّرِيمِ (٩) الرَّائِحِ الْعَادِي

(١) أ: وارى . . والإشارة هنا إلى: الصبر عن لله .

(٢) ب: بعبده . (٣) = ب . (٤) أ: في

(٥) أ: ورقاه، ب: ورقاؤه . . والورقاء؛ الحماسة الرمادية اللون .

(٦) = ب . (٧) = جـ . (٨) ب: على .

(٩) للصريم في اللغة معان متعددة [انظر: لسان العرب ٤٣٤/٢ وما بعدها] ينطبق منها هنا: الخصام،

القطع، الحصاد . . والإشارة الصوفية هنا إلى سوانح التجليات النورانية التي تخطف الأبصار وتمر

سريعا؛ كالغزال!

وَقُلْ لَهُ لِي (١) عَلَى مَنَّاكَ حَقُّ هَوَىٰ

لَأَنَّ دَمْعِي (٢) رَوَى رَبْعَهُ (٣) الصَّادِي

وَقَفْتُ مِمَّا جَرَى لِي فِي مَعَاهِدِهِ (٤)

أَبْكِي إِلَى أَنْ جَرَى مِنْ دَمْعِي (٥) الْوَادِي

وَلَمْ أُنَادِ (٦) سِوَى بِاسْمِ الَّتِي سَفَرْتُ

لَيْلًا فَأَشْرَقَ مِنْ أَنْوَارِهَا النَّادِي

حُذِّ يَنْسِيمُ بَقَايَا (٧) الْمَيْتِ فَاسْرِ بِهِ

لِلْحَى تَجْمَعُ أَرْوَاحًا بِأَجْسَادِ

وَالْتُمْ ظُهُورَ الثَّرَى مِنْ حَيْثُ مَا خَطَرْتُ

بِهِ سُعَادُ إِذَا حَاوَلْتَ إِسْعَادِي

مَا أَعْشَقْتُ (٨) الْغُصْنَ مَيَّاسًا (٩) مِعَاطِفُهُ

إِلَّا لِقَامَةً قَدَّمْنَاهُ مَيَّادِ

وَلَا أَرَى الْبَرِّقَ أَهْلًا أَنْ أَلَا حِظَّهُ

إِلَّا لِمَا مِنْهُ يَحْكِي (١٠) ثَغْرَهُ الْبَادِي

(١) - ب.

(٢) ج: ربحي .

(٣) ب: من ربعه، ج: عن ربعه .

(٤) ج: معادته .

(٥) ب: أدمعي .

(٦) أ، ب: أنادي .

(٧) أ: بقا . (٨) ج: ما اعتنق .

(٩) ج: ميادا . (١٠) ب: فيه، ج: في معاني .

١ يَا خَدَّهُ وَثَنًا يَا ثَغْرَهُ النَّضِيدَ
 مِنْ سَوَّغِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْجَمْرِ وَالْبَرْدِ
 وَيَا تَلْهَبَ قَلْبِي فِي مَحَاسِنِهِ
 قَدْ أُعْجِزُ الدَّمْعُ أَنْ يُطْفِئَكَ فَاتَّقِدِ (١)
 مَا ضَرَّ مِعْطَفَكَ الْبَادِي تَأْوُدُهُ
 لَوْ كَانَ يُبْقِي تَشْنِيهِ (٢) عَلَى أَوْدِي (٣)
 وَصَلْتَ هَجْرَكَ إِعْرَاضًا لَتَقْطَعِنِي (٤)
 أَمَا كَفَاكَ (٥) الَّذِي أَخْلَدْتَ فِي خَلْدِي
 ه لَوْ كَانَ يَعْلَمُ طَرْفِي (٦) أَنْ يَزِيدَ ظَمًّا
 فِي وَرْدِهِ مَاءَ ذَلِكَ الْحُسْنِ لَمْ يَرِدْ
 فَالْيَوْمَ مِنْ فَرَطٍ إِلْفِي بِالصَّبَابَةِ لَوْ
 تَرُومُ (٧) نُقْصَانَ مَا أَلْقَى لَقُلْتُ زِدْ (٨)
 فَلَا تُغِبْ (٩) نَاطِرًا تَلْقَاكَ (١٠) عَبْرَتُهُ (١١)
 فَالشَّمْسُ (١٢) تُسِيلُ (١٣) دَمْعَ الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ

(١) + ب .

(٢) ب، ج: تشنيه .

(٣) ب: الأودي .

(٤) ج: ليقطعني .

(٥) ب: كتاب!

(٦) ب: بي .

(٧) ج: يروم .

(٨) ب: زدي ج: ردي .

(٩) ب، ج: تعب .

(١٠) ب: يلقاك، ج: لفاك!

(١١) ب: غرته .

(١٢) ب: كالشمس .

(١٣) ب: تسلب .

١ قَدْ بَدَلْنَا النُّفُوسَ يَا أُخْتَ سَعْدٍ (١)
 ن فَاقْبَلِيهَا (٢) نَقْدًا (٣) وَجُودِي بِوَعْدِ
 وَنَثَرْنَا دُمُوعَنَا فَاَنْظِمِيهَا (٤)
 فَهِيَ (٥) أَبْهَى مِنْ كُلِّ لَوْلُؤٍ عَقْدٍ (٦)
 يَا بِنَةَ الْقَوْمِ إِنْ يَكُنْ لَكَ (٧) بُرْدٌ
 مِنْ بَدِيعِ الْجَمَالِ فَالْسُقْمُ بُرْدِي
 كَيْفَ أَبْغَى (٨) وَرْدًا بَرَوْضٍ وَوَرْدًا
 مِنْ مُدَامٍ (٩) وَمِنْكَ وَرْدِي وَوَرْدِي
 ٥ جَنَّةٍ (١٠) حُسْنُهَا كَحُسْنِ وَضَالٍ
 فِيهِ مِنْ خَالِهَا بَقِيَّةٌ صَدِّ (١١)
 قَدْ تَعَدَّتْ عَلَى النُّفُوسِ وَلَكِنْ
 لَا يُسَمِّيهِ عَاشِقُوهَا تَعْدِي
 مَا رَأَيْنَا مِنْ صَيْرِ الْجَفْنِ سَيْفًا
 يُخْجِلُ الْهِنْدَ غَيْرَ أَجْفَانِ هِنْدِ

(١) ج: سعدى .

(٢) ج: فخذيتها .

(٣) ب: منا . (٤) ب: فانضميها .

(٥) - ج . (٦) ب ، ج: عقدي .

(٧) أ: كل . (٨) ب: أهوى .

(٩) ب: لمدام . (١٠) ج: وجنة .

(١١) ب: صدى .

قَالَ لِي خَدُّهَا الصَّقِيلُ وَقَدْ صَارَ

مِرَاةً مَاذَا تَرَى قُلْتُ خَدِّي (١) م

[الطويل]

١ بُرُوقَ الْحِمَى هَلْ دَمَعُنَّ يَجُودُ

وَهَلْ (٢) عَطِشَتْ بَعْدَ الْغَرِيقِ زُرُودُ (٣)

مَنَازِلُ (٤) مِنْ سَعْدَى سَعِيدِ (٥) نَزِيلِهَا

كَأَنَّ بِهَاتِيكَ (٦) الْبَيْوتِ عُقُودُ

إِذَا ابْتَسَمَتْ لَيْلًا (٧) بَكَى (٨) مُسْتَهَامُهَا (٩)

فَمِنْهَا وَمِنْهُ (١٠) بَارِقٌ وَرَعُودُ

وَفِي الْحَىِّ وَسَنَانُ اللَّوَاظِحِ سَالِبٌ

وَأَخْرُ مَسْلُوبُ الْفُؤَادِ فَقِيدُ

٥ وَظَبْيٌ فَفَلَاةٌ أَنَسٍ فَكَأَنَّهُ

لِرَأْيِيهِ عِنْدَ الْأَلْتِفَاتِ شَرُودُ

(١) الخد الصقيل هنا؛ مشهد الوحدة . . وكونه يرى ذاته في مرآة هذا المشهد، إشارة إلى المقابلة بين العالم الصغير (الإنسان) والعالم الكبير (الكون) . . وسوف نعود لهذه النقطة الدقيقة فيما بعد.

(٢) ب، ج: فقد.

(٣) زرود؛ موضع مشهور . . يقول ياقوت: الزرد؛ البلع! ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تطورها السحائب، لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة [معجم البلدان ٣/ ١٣٩].

(٤) × ب، وبقية الأبيات مضطربة الترتيب.

(٥) ج: من سعيد.

(٦) ج: بها تلك.

(٨) أ، ب: بكا.

(٧) أ، ج: ليلى!

(٩) ج: بكأس اتهامها . (١٠) ج: منه ومنها.

تَرْفَرِقَ مَاءَ الْحُسْنِ فِي وَجَنَاتِهِ

وَلَيْسَ لَظْمًا إِيَّاهُ (١) وَرُودٌ

لِأَهْلِ إِلَى عَصْرِ الصَّبَا لِي (٢) عَوْدَةٌ

وَهَيْهَاتَ مَا قَدَفَاتِ (٣) لَيْسَ يَعُودُ

كَأَنَّ لَيَالِيَهُ لِمُبْدِعِ (٤) حَسْنَهَا

شُعُورٌ وَمُخَمَّرَ الْأَصِيلِ خُدُودٌ

[الرمل]

١ يَا أَهْيَلُ (٥) الْحَيِّ مِنْ ذَاكَ الْحَمِيِّ

أَنْتُمْ الْمَقْصُودُ مِنْ كُلِّ الْوُجُودِ (٦)

ظَبِيُّ أَبِيَاتِكُمْ ذَاكَ الَّذِي

لَا تَسْلُ مَا حَلَّ مِنْهُ بِالْأَسْوَدِ (٧)

وَسَقِيمِ (٨) الْجَفْنِ قَدْ صَحَّ لَهُ

سِنَّةُ الْمَنْعِ وَإِبْطَالُ الْوَعُودِ (٩)

(١) ج: البدور .

(٢) ب: التصابي، ج: لسكان الحمي لى!

(٣) أ: مر .

(٤) ب: البديعة .

(٥) الأبيات فى أ، ب . . وفى ب التحقت الأبيات بمجموعة أبيات أخرى من بحر الرمل وقافية الدال، فبدت وكأنها جميعا قصيدة واحدة!

(٦) ب: الوجودى .

(٧) الأسودى .

(٨) أ: فالصحيح .

(٩) ب: الوجودى .

١ لَوْلَاكَ يَا غَايَتِي (١) وَقَصْدِي
 مَا هِمَّتُ وَجُدًّا بَرَّعَ (٢) نَجْدِ
 أَسْقَيْتَنِي فِي الْهَوَى حَدِيثًا (٣)
 يُسْكِرُ لِلْعَاشِقِينَ بَعْدِي (٤)
 وَمَذْكَرِي (٥) لِلْسُّلُو (٦) عَهْدًا (٧)
 بِذِكْرِ غَيْرِي (٨) نَسِيتَ عَهْدِي (٩)
 وَرَبَّ مُهْدِي الصَّبَا (١٠) سَحِيرًا (١١)
 أَغْتَتَهُ عَنْ نَشْرِهَآ يُرْدِ (١٢)
 ه لَّا تَذْكُرُوا (١٣) لِلنَّسِيمِ سُكْرِي
 فَقَدَاتِي مُبْشِرًا بَوَجْدِي

(١) ج: يا نهاية.

(٢) ج: بروع.

(٣) ب: للهوى حديثا، ج: كأس هوى حديثها!

(٤) أ، ج؛ يسكر منه العاشقون بعدي.

(٥) ج: ×.

(٦) ب: للسلوى.

(٧) ج: يا مذكر السلو إنما.

(٨) ج: محبوبى.

(٩) فى ج: ولم تدع يا سودى مكانا لغير دمعى ولهيب خدى.

(١٠) ب، ج: ما هدى.

(١١) ج: وربما أحدى الصبا تحية.

(١٢) ب: أعينه، ج: أغتته فى نشوتها عن ردى.

(١٣) = أ، ج.

- ١ سَلَّتْ جُفُونُكَ لِي سُيُوفَ حَدَادٍ^(١)
- ٢ فَاقْتَلْتَنِي وَلَبَّسَنَ^(٢) ثَوْبَ حَدَادٍ
وَوَطَّقَنَ يَدَيْنِ الذُّبُولِ تَصَوُّنًا
- ٣ أَسَّيْنِ أَنْ دَمِي بِخَدِّكَ^(٣) بَادِي^(٤)؟
يَا بَدْرَتَمْ^(٥) سَلَوْتِي كَمُحَاقِهِ
- ٦ وَكَمَمَالِهِ وَنُمُوهُ كَوُدَادِي^(٦)
لَوْ أَنْ فَرَطَ نِعَاسٍ^(٧) جَفَنِكَ مَانِحِي
- ٧ مَا عَنْهُ يَفْضُلُ مَا شَكَيْتُ سُهَادِي^(٨)
بَرْدٌ بِظُلْمِكَ حَارٌّ ظُلْمِكَ جَارِيًا
- ٨ فِيهِ عَلَيَّ مَا لَيْسَ^(٩) بِالْمُعْتَادِ
أَوْ فَارْتَجِعْ قَلْبِي الَّذِي أَعْدَيْتَنِي^(١٠)
- ٩ فِيهِ كَمِثْلِ قَوَامِكَ الْمَيَّادِ
وَعَجِبْتُ^(١١) مِنْ وَرْدِ الْعِطَاشِ بِمَنْهَلٍ
- ١٠ وَعُيُونُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْوَرَادِ

(١) ب: حدادي، ج: حدود حدادي.

(٢) أ: وليست. (٣) بخدي، ج: بوجهك.

(٤) بقية الأبيات ساقطة من ج.

(٥) أ: حسن. (٦) ب: كغوادى، + ب: كودادى.

(٧) ب: أنفاس. (٨) أ: أن سلبت رقادى.

(٩) ب: من ليس.

(١٠) عذبتنى.

(١١) = أ.

أَرْسَلْتُ^(١) طَرْفِي نَحْوَ خَدِّكَ رَائِدًا
 فَعَلِمْتُ كَيْفَ خِيَانَةِ الرُّوَادِ
 قَالُوا الْقَضِيبُ^(٢) عَلَى الْكَثِيبِ نَظِيرُهُ
 أَرَأَيْتَ كَيْفَ تَقُولُ الْحُسَّادِ
 ١٠ مَنْ لِي لَوْ أَنَّكَ كَالْقَضِيبِ تَنَالَهُ
 كَفَى وَيُصْبِحُ زَهْرُهُ بُوَسَادِي^(٣)
 قَالَ^(٤) الْعَذُولُ أَرَى^(٥) حَلَاوَةَ وَعَدَهُ
 لِحْدَاعِهِ ضَرْبًا مِنَ الْإِعْعَادِ^(٦)
 كَالْعُودِ يَضْرِبُ فِي^(٧) فُؤَادٍ فَارِغٍ
 فَتَأْسُ^(٨) لَوْ أَحْتَالَ^(٩) بِالْإِنْشَادِ
 لَا تَعْذِلْنِي مَا فُؤَادُكَ فِي يَدِي^(١٠)
 صَبْرًا وَلَمْ يَكُ فِي يَدَيْكَ فُؤَادِي
 وَتَنَحَّ عَنْ زَفَرَاتِ أَنْفَاسِي الَّتِي
 لَوْلَا الدُّمُوعُ لَأَحْرَقْتُ عُوَادِي

(١) = ب .

(٢) القضيب؛ الفرع من الشجر، والسهم الدقاق، والسيف [لسان العرب ٣/ ١٠٥] .

(٣) ب: لو ساري .

(٤) في أفضل النسخ بين الأبيات فكتب (وقال أيضاً) مما يشعر بأن الأبيات التالية منفصلة عن سابقتها!

(٥) ب: أتري .

(٦) ب: إلبعادى .

(٧) ب: من .

(٨) أ: فأناس .

(٩) ب: يحتال . (١٠) ب: لى يد .

١ فَضَحْتُ^(١) جِيدَ الْغَزَالِ بِالْجَيْدِ
 ٢ وَفُقَّتَهُ بِالِدَّلَالِ وَالْغَيْدِ
 وَكُنْتُ أَوْلَى مِنَ الْغُصُونِ بِمَا
 يُعْزَى لِأَعْطَافِهَا مِنَ الْمَيْدِ
 يَا سَاقِيَا^(٢) مُهْجَتِي كُؤُوسَ هَوَى
 وَسَايِقًا مُقْلَتِي إِلَى السَّهْدِ
 حَسْبِي وَحَسْبُ الْهَوَى وَحَسْبُكَ مَا
 يَفْعَلُهُ الْهَجْرُ بِي فَلَا تَزِدْ
 ه أَنَا الَّذِي أَحْتَسِي الْخُدُودَ فَلِمَ
 تَسْتُرُّهَا بِالْعِذَارِ وَالزَّرْدِ^(٣)
 حَلَلْتُ قَلْبِي وَرُخْتُ تَمْنَعُنِي
 حَلَّ نِطَاقٍ بِالْخِصْرِ مُنْعَقِدِ
 عِنْدِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بِهِ أَحَدٌ
 يَفِي وَلَمْ أُبْدِهِ إِلَى أَحَدِ
 كَمْ فِيكَ لِلْعَاذِلِينَ مِنْ عَادِدِ
 قَدْ أُتْعِبْتُ قَبْلًا لَهَا عُدْدِي

(١) الأبيات في أفقط .

(٢) في الأصل ورد البيت التالي :

(ما أنت ممن يلوى على كبدى أتلفتها بل بدمى على كبدى)

وهو غير مستقيم الوزن والمعنى!

(٣) الزرد؛ الدرع التي تداخلت حلقاتها، فهي مزرودة [لسان العرب ١٩/٢].

وَأَعَجَبَا وَالِدْمُوعُ فِي حَلَبٍ

وَالْقَلْبُ حَرَّانَ وَهَوَّ فِي صَفْدٍ (١)

١٠ بِاللَّهِ يَا لَيْلِي الطَّوِيلَ لَقَدْ

قَصَّرتَ نَوْمِي وَلَمْ تَعُدْ بِنَعْدِ

جَعَلْتَ حَظِّي فِي الْحَبِّ مُنْعَكِسًا

فَجُودُ بَوْصَلٍ لِلصَّبِّ مُطْرِدِ

حَتَّى تَرَانِي أَقُولُ مِنْ طَرْبِ

يَا عَيْنُ رُودِي وَيَا شَفَّاهُ رِدِي

أَوْدَعْتَنِي صَبُوءًا وَأَوَائِلُهَا

يَقْصُرُ عَنْهَا أَوَاخِرُ الْأَبْدِ

أُورِدْتَنِي فَوْقَ مَا أُطِيقُ جَوِيَّ

وَفَوْقَ طَوْقِي فِي الْحَبِّ لَا تَزِدْ

١٥ فَإِنَّ مَنْ كَانَ فَوْقَ طَاقَتِهِ

يَحْمِلُ تَعْجِزُ قُوَاهُ فَاتَّئِدْ

(١) في معجم البلدان :

* حلب : مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات ، سميت بذلك ؛ لأن نبي الله إبراهيم كان يحلب فيها غنمه ويتصدق بها على الفقراء [الجزء الثاني ص ٢٨٢].

* حران : مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام والروم ، وهي قصبه ديار مضر ، قيل إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان ، وكانت منازل الصابئة [الجزء الثاني ص ٢٣٥].

* صفد : مدينة في جبال عاملة المظلة على حمص بالشام ، وهي من جبال لبنان [الجزء الثالث ص ٤١٢].

وقد جعل التلمساني لهذه البلدان دلالة خاصة ، فهي تشير على الترتيب إلى : حلب الدمع ، حر القلب ، أصفاد الحب!

رَوَيْتُ قَتْلِي عَنْ مُقْلَتَيْكَ فَنِي

رَوَايَتِي قَتَلْتِي بِلَا سَنَدٍ

۱ فَلَمْ يُكَذِّبْ رَوَايَتِي أَحَدٌ

إِذْ لَمْ يُكَذِّبْ هَوَايَ مِنْ أَحَدٍ

بِاللَّهِ لَا تُرْسِلِ الْجُفُونَ إِلَيَّ

قَلْبِي فَمَا لِلْقُلُوبِ مِنْ عَدَدٍ

وَخَلَّ جَفْنِي لَا تُفْنِهِ سَقَمًا

لَا بُدَّ لِلرُّوحِ فَيْكَ مِنْ جَسَدٍ

۲۰ مَا خُلِدِي بِالْقُرْبِ مِنْكَ فَلَمْ

رَمَيْتَ سَهْمَ الْجُفُونَ^(١) فِي خُلْدِي

[الطويل]

۱ لَكَ^(١) الْخَيْرُ دَاعِيَ الْخَيْرِ أَسْعِدِ يَا سَعْدُ

إِذَا مَا نَهَى عَنْهُ النَّهَى وَدَعَا الْوَجْدُ

فَإِنَّ عِقَالَ الْعَقْلِ يَدْعُو إِلَى السَّوَى

وَوَصَلَ السَّوَى فَصَلُّ وَوَجِدَانُهُ فَقْدُ

إِلَى الذِّكْرِ^(٣) فَارْجِعْ وَأَتْرِكِ الْفِكْرَ فِي السَّوَى^(٤)

إِذَا كُنْتَ مِمَّنْ قَصَدَهُ الْعَلَمُ الْفَرْدُ

(١) في الأصل: جفنيك، + : الجفون.

(٢) الأبيات في أ، ب.

(٣) ب: أبي الذكر.

(٤) ب: الذكر للسوا.

وَلَا تَكُ غَيْرَانًا إِذَا ذُكِرَ اسْمُهَا

فَذَاكِرُهَا حَادٍ إِلَى حُبِّهَا يَحْدُو^(١)

تَجَلَّى^(٢) مُحَيَّاهَا لِغَيْرِ^(٣) بَنِي الْهَوَى

فَصُدُّوا، كَذَاكَ الشَّمْسُ وَالْأَعْيُنُ الرُّمْدُ^(٤)

وَلَا حَظَّهَا^(٥) لِحَظِّ الْمُحِبِّ فَإِنْ بَكَى^(٦)

سُرُورًا فَرَأَى الشَّمْسَ أَدْمَعُهُ تَبْدُو

فَدَعُ^(٧) ثَمَنَ النَّفْسِ النَّفِيسَةَ عِنْدَهَا

فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا بِلَا ثَمَنِ عَبْدُ

قَرِيبَةٌ وَصَلٍ^(٨) لِلْمُحِبِّ وَإِنَّمَا

إِذَا وَصَلَتْ لَمْ يَبْقَ قُرْبٌ وَلَا بُعْدُ

تَثَنَّتْ فَظَنُّوا أَنَّهَا ثَنَوِيَّةٌ

وَقَدْ يَتَثَنَّى قَدُّهَا وَهُوَ الْقَرْدُ^(٩)

(١) ب : إلى ذكرها يحد .

(٢) × ب .

(٣) ب : لعين .

(٤) ب : قصد وكذلك الشمس للأعين الرمذ .

(٥) ب : فلاح لها .

(٦) ب : فلم يكن .

(٧) = أ .

(٨) ب : عهد .

(٩) يحتاج هذا البيت إلى وقفين ، الأولى عند معنى «الثنوية» والأخرى عند مفهوم الأديان لدى الصوفية . .

الثنوية : هي ديانة القائلين بأن النور والظلمة أصلان خالقان ومتساويان في الأزلية (راجع مقالة شتروتمان بدائرة المعارف الإسلامية) وفي التعليق الوافي الذى كتبه محمد يوسف موسى على هذه المقالة يقول : ترجع هذه النحلة إلى الزرادشتية ، وهي ديانة ترى أن النور (يزدان) والظلام (أهرمن) هما أصل العالم ؛ إذ حصلت تراكيب العالم بامتزاجهما ، وجاء بعد زرادشت أربعة من أصحاب هذا المذهب ، هم (ابن ديصان - مانى - مزدك - مرقيون) الذين كونوا فرقا ثنوية كان لها دورها فى تاريخ =

١٠ وَقَدْ نَطَقَتْ حُسْنًا مَنَاطِقُ خَصْرِهَا

فَظَنُّوا حَمَامًا فَوْقَ بَآئِنَتِهِ (١) يَشْدُو

وَقَالُوا لَهَا خَالٌ مِنَ النَّدِّ (٢) فَاتِنٌ

صَدَقْتُمْ لَهَا خَالٌ، بَلَى مَالَهَا (٣) نَدٌّ

فَإِنْ كُنْتَ ذَا وَعْدٍ (٤) بِوَصْلِ جَمَالِهَا

فَبَعْضُ مُحِبِّيهَا لَدَيْكَ لَهُ عَدٌّ (٥)

فَلَا (٦) تَقُلِ الدُّنْيَا اسْتَمَالَتْهُ

تَجَلَّتْ مِنَ الدُّنْيَا لِمُقْلَتِهِ هِنْدٌ

= العقائد . . انظر، دائرة المعارف الإسلامية - الترجمة العربية - المجلد السادس ص ٢١٦ وما بعدها - وللمزيد عن هذا الفرقة يمكن الرجوع إلى (الآثار الباقية للبيروني، الفهرست لابن النديم، الملل والنحل للشهرستاني، الفرق بين الفرق للبغدادى، الفصل لابن حزم . .).
أما عن المفهوم الصوفى للديانات، وهو ما يسميه الباحثون باسم مضلل هو: وحدة الأديان - فالصوفية يرون أن اختلاف عبادات البشر، راجع إلى الوهم الناشئ من إدراكهم القاصر لتجليات الله تعالى فى الوجود، فقد اعتقد أصحاب الملل والنحل المختلفة أن الله مقيد فى صورة معينة . . فهو النور أو الظلام أو النار أو الشمس، إلى آخر صور التغيير التى ظن هؤلاء أن الله عز وجل منحصر فيها - لضعف إدراكهم - أما المسلمون فقد انفردوا بالتوحيد حين أقرؤا بالواحد فى ذاته، رغم تنوع تجلياته ومظاهر أنواره فى الكون.

وفى هذا البيت، يشير التلمسانى إلى انخداع الزنادقة بتجليات الذات الإلهية، فظنوها ترد إلى اثنين هما النور والظلام، مع أن كليهما محض تجليات إلهية وحجب للواحد الفرد . . كما جاء فى الحديث: إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة!

(١) ب: تظن حماما فوق باناته.

(٢) الند: نبات طيب الرائحة، وقيل: هو العنبر (لسان العرب ٦٠٧/٣).

(٣) ب: ماله.

(٤) ب: وجد.

(٥) ب: الذى فيها لديك له وعد.

(٦) أ: ولا.

يُذَادُ عَنِ الْوَرْدِ الْعَذِيبِ سِوَى امْرِئٍ

غَرِيبٍ لَهُ فِي كُلِّ مَنْهَلَةٍ وَرْدٌ^(١)

[الخفيف]

لَا تَخَفُ مِنْ ظُبَاءٍ^(٢) تَرَقُّ حُدُودًا

بَلْ ظُبَاءٌ فِي الْحَى^(٣) رَقَّتْ خُدُودًا

فَسِنَانُ الْقَنَاةِ أضعفُ فَعْلًا

مِنْ جُنْفُونٍ وَسَنَى^(٤) عَلَوْنَ قُدُودًا

وَبِرُوحِي الظَّبِّي^(٥) الَّذِي قَدِ حَكَى النَّوْمَ

نَفَارًا عَنِ نَاطِرِي وَصُدُودًا

لَوْ^(٦) يَرَى غَيْرَ سَقَمٍ^(٧) عَيْنِيهِ جَفْنِي^(٨)

مَا هَوَيْتُ الضَّنَا وَرَمْتُ الْمَزِيدَا

عَاقَبَ الْقَلْبَ إِذْ رَأَى السُّكْرَ مَنَى

دُونَ حَدٍ^(٩) لِكَيْ يُقِيمَ الْحُدُودَا

(١) فى ب ورد البيت كالتالى :

وليس يذود الورد يوما سوافنا غريب له فى كل موردة ورد

(٢) أ، ج : ظبا . . والظباء ، حدود السيوف وأعلاها .

(٣) ج : فى الحى بل ظباء فى الحى !

(٤) . . وسنا .

(٥) ب : أفدى .

(٦) = أ ، صدر البيت مقابل لعجر البيت التالى له فى ج !

(٧) ب : من سقام .

(٨) ج : جسمى .

(٩) ب : فوق حد ، ج : فوق خد .

فَهَوِّنِي ذَا الْخُفُوقِ (١) يَحْكِي وَشَاحِيهِ

وَفِي ذَا اللَّهَيْبِ يَحْكِي الْخُدُودَا

ر نِسْبَةً لَوْ يَنَالُهَا حَاسِدِي مِنْهُ

لَأَصْبَحْتُ لِلْحَسُودِ حَسُودَا

وَلِعَمْرِي إِنْ خَانَ صَبْرِي فَاِنِّي

أَغْبَطُ النَّاسِ (٢) إِذْ حَكَاهُ عُهُودَا

يَا خَيَالِ (٣) الْحَبِيبِ أَغْمَضْتُ عَمْدَا

فَاسْتَعِدَّ بِالْإِغْمَاضِ (٤) عِنْدِي (٥) هُجُودَا (٦)

١٠ يَتَجَافَى عَنِ الْمَضْجَعِ جَنِّبِي

وَتَقْضِي لَكَ (٧) الْجُفُونَ سُجُودَا

أَثْرِي يَحْمِلُ النَّسِيمَ بِقَايَا

جَسَدِي أَوْ أَزُورُ يَوْمًا زُرُودَا

[الطويل]

١ بِكَاسِكَ (٨) يَا سَاقِي الْمُحِبِّينَ يَهْتَدِي

فَكَمْ فِيهِ نَجْمٌ نُورُهُ قَدْ تَوَقَّدا (٩)

(١) ب: الجفون.

(٢) أ: الصبر. (٣) = ج.

(٤) ب: فالإغماض. (٥) أ: عنى.

(٦) الهجود، النوم. . . وقيل «صلاة التهجد» لأنها تكون وقت النوم.

(٧) أ: وتمضى لك، ب: ثم تقضى لك، ج: ثم نقضى إلى.

(٨) الأبيات فى أ، ب.

(٩) ب: ضوءه يتوقدا!

إِذَا مَا أَنْقَضَى سُكْرُ النَّدَامَى وَشَاهَدُوا

جَمَالَكَ عَادَ السُّكْرُ فِيهِمْ كَمَا بَدَا

تَجَلَّى بِأَوْصَافِ الْجَمَالِ جَمِيعَهَا

وَلَكِنَّهُ لَمَّا تَثْنَى تَفَرَّدَا

وَأَوْحَى الَّذِي أُسْرَى ^(١) إِلَى سِرِّ عَبْدِهِ

فَأَصْبَحَ جَهْرًا فِي الْمُحِبِّينَ ^(٢) سَيِّدَا

تَأْمَلُ تَرَى الْأَلْبَابَ تُنْهَبُ جَهْرَةً

إِذَا هُوَ لِلْأَحْبَابِ فِي سِرِّهِمْ بَدَا

وَيَاكَ وَالْإِشْرَاكَ فِي دِينِ حُبِّهِ ^(٣)

وَلَا تَكُ إِلَّا بِالْجَمَالِ مُقَيَّدَا

[الوافر]

أَتَرَعَبَ ^(٤) فِي الْحَيَاةِ ^(٥) وَلَحَظَ هِنْدَ

عَلَيْنَا مِنْهُ سُلَّتْ أَيُّ هِنْدِي ^(٦)

تَعَرَّضْنَا لِمُقْلَتِهَا إِلَى أَنْ

تَرَاضَعْنَا كُؤُوسَ هَوَى وَوَجَدَ

(١) أ: أوحى .

(٢) ب: المحبة .

(٣) ب: دين دينه .

(٤) الأبيات في أ فقط .

(٥) في الأصل: الحياة .

(٦) في الأصل: هند . . والهندي، السيف المصنوع من حديد الهند (لسان العرب ٣/٨٣٧) .

فَهَاتِ عَلَيَّ اسْمَهَا كَأَسَى فَأُنِّي
تُعَدِّي الكَأْسَ مَعَ ظَمَانٍ بَعْدِي
ر وَوَالِ كُنُوسَهَا حَتَّى تَرَانِي
وَعَسَى نِي لَأَتَرَكَ وَأَنْتَ عِنْدِي
ه مُدَامًا مَا الحَبَابُ بِهَا سِوَاهَا
لَهَا مِنْهَا عَلَيَّهَا أَيُّ عَقْدِ
أَنَا وَلَهَا نَدِيمِي فَهُوَ مِثْلِي
وَفَيْتُ بَعْدَهُ وَوَفَى بَعْدِي
كَتُومُ السَّرِّ لَأَلْقَاهُ غَيْرِي
إِذَا مَا كَانَ عِنْدِي كُنْتُ وَخَدِي
تَفَرَّقْنَا نَوَى فَأَمَرَ حُلُوِي
وَكَدَّرَ بِالتَّفَرُّقِ صَفْوَوُدِّي
فَلَمْ أَرِذَا نَهْوَرٍ^(١) مِثْلَ طَرْفِي
عَصَرْتُ الدَّمْعَ مِنْهُ فَجَاءَ وَرْدِي
١٠ وَلَا كَحَشَايَ تُقْدَحُ فِيهِ نَارُ
تَذَكَّرُ مَا لِكَيْهِ بِغَيْرِ زَنْدِ
أَمَا مِنْ مُسْعَدٍ يَا سَعْدُ أَشْكُو
صَبَابَاتِي إِلَيْهِ وَفَرَطَ وَجَدِي

(١) في الأصل: نهاري.

شَرِبْتُ مُدَامَ نَعْمَى (١) مِنْ قَدِيمٍ (٢)
 مُرَوِّقَةً وَلَيْسَتْ ذَاتَ دُرْدَى (٣)
 فَأَعْجَزَ بَعْضُ أَيْسَرِهَا بِنَانِي (٤)
 عَلَى بَدَلِي لَهَا مَا فَوْقَ جُهْدِي
 فَدَيْتِكَ جَامِعًا لِلْفَضْلِ، فِيهِ
 يُؤَدِّنُ دَائِمًا مَدْحِي وَحَمْدِي
 ١٥ وَمُشْتَقًا ذَكَرْتُ لَهُ اسْمَ لَيْلَى
 فَهَامَ وَذَكَرُ الْحُبَّ يُعْدِي
 عَلَى لَهُ وَعِنْدِي مَا يُرْجَى
 وَبُشْرَى مِنْ عَلِيٍّ لَهُ وَعِنْدِي
 لِأَنِّي قَبْلَ مَنْ جَاءَ قَبْلِي
 هُنَاكَ وَبَعْدَ مَنْ قَدْ جَاءَ بَعْدِي
 وَلِي فِي مَا يُقَالُ كَلَامٌ حُرٌّ
 وَفِي مَا يُقَالُ سُكُونٌ عَبْدٍ (٥)

(١) في الأصل: نعم.

(٢) الإشارة إلى توحيد الأرواح في عالم الدرّ، وهو ما أشار ابن الفارض إليه حين قال في مطلع قصيدته الخمرية:

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكْرُنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ

(٣) الدردى؛ ما يركد في أسفل الخمر من الشوائب، وهو أيضا: الخميرة التي تترك على العصير والنبيد ليتخمر (لسان العرب ١/ ٩٦٥).

(٤) كلمات هذا الموضع غير مقروءة تماما في الأصل.

(٥) يبدو أن التلمساني قد أراد الحديث عن اتحاده بالحقيقة الأزلية السارية من بدء الخلق إلى منتهاه، وهي ما يعرف عند الصوفية بالحقيقة المحمدية. . لكنه أثر - بعد بضع إشارات - الإحجام عن الخوض في ذلك المفهوم الدقيق، لأنه أمر بحسب تعبيره: مما لا يقال!

١ هَلُمَّ^(١) نَقَضَى الْفَرَضَ لِلْأَجْرَعِ الْفَرْدِ

بِوَرْدِ الْمَطَايَا مَنَهَلِ الْمَدْمَعِ الْوَرْدِ

فَفِي مِثْلِ هَذَا السَّفْحِ يُبْرَدُ عَاشِقٌ

حَشَاهُ بِسَفْحِ الدَّمْعِ فِي مَسْحَبِ الْبُرْدِ

وَقَفْنَا بِرَبْعِ الْعَامِرِيَّةِ مَوْقِفًا

بِهِ الْحُرُّ مَبْذُولُ الْحَشَاشَةِ كَالْعَبْدِ

سُكَارَى حَيَارَى أَعْيُنٍ فَكَأَنَّمَا

أَضَلَّ بِنَا حَادٍ مُجِدُّ عَنِ الْقَصْدِ

٥ وَفِي الْحَيِّ غَيْرَانُونَ كَادَتْ نَفُوسُهُمْ

تَمَيَّزُ مِنْ غَيْظِ عَلَيْنَا وَمِنْ حِقْدِ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا غَيْرَةٌ مِنْ حُلُولِنَا

بَلِيَلَى مَحَلِّ الْمُكْرَمِينَ مِنَ الْوَفْدِ

وَلَمَّا عَرَفْنَا عَرَفَهَا نَزَّهُ الْهَوَى

شَذَا عَرَفَهَا النَّدَى عَنْ وَجْهَةِ النَّدِّ

فَلَمْ^(١) نَرَّ إِلَّا أَوْجَهَا عَرِيَّةً

عَلَى الْعُرْبِ عَجْمَ اللَّفْظِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ

(١) الأبيات في أقط .

(٢) الأبيات التالية غير واضحة في الأصل ، ويزيد من صعوبة قراءتها كونها غير منقوطة في معظم الأحيان!

وَكَمْ كَبِدٍ حَرَّى تُكَابِدُ مَا بِهَا
 وَصَفْحَةَ خَدِّ فِيهِ لِلدَّمْعِ كَمْ خَدٌّ
 ١٠ وَكَمْ تَمَّ جِيدٍ لِرِنَّا^(١) لَيْسَ عَاطِلًا
 ضَمَمْنَا عَلَيْهِ اللَّثْمَ عَقْدًا عَلَى عِقْدٍ
 وَلَمْ يَدَعِ الْوَرَقَاءَ لِلنُّوحِ وَخَدَهَا
 فَتَى قَائِلًا: إِنِّي الْمَعْنَى بِهَا وَخَدِي
 وَمِتْنًا لَهَا طَوْلَ الْحَيَاةِ^(٢) وَقَدْ بَدَتْ
 عَلَى عَهْدِهَا وَالرَّسْمُ فِي الرَّسْمِ وَالْعَهْدِ
 فَمَنْ يَرُبُّدًا مِنْ فَنَاهُ فَلَيْسَ مِنْ
 فَنَاءٍ - رَعَاكَ اللَّهُ يَا سَعْدُ - مِنْ بَدٍّ
 وَمَنْ يَرَعْنَهَا الْبُعْدَ يَقْتُلُ فَالَّذِي
 أَرَى أَنْ قَتَلَ الْقُرْبَ أَرْجَى مِنَ الْبُعْدِ
 ١٥ فَيَبْقَى الَّذِي مَعْنَى الْبَقَاءِ لَوَجْهِهِ
 دَوَامًا وَيَفْنَى مَنْ بَقَاهُ إِلَى حَدِّ^(٣)

(١) في الأصل: الرنى . . والرنا؛ المنظور إليه (انظر: لسان العرب ١/١٢٣٦).

(٢) في الأصل: الحيوة . . والإشارة هنا إلى المعنى الصوفي القائل: موتوا قبل أن تموتوا (الموت هنا بمفهومه الصوفي الذي عرضنا له فيما سبق).

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى: «كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الإجلال والإكرام . . .» (الرحمن: ٢٧).

١ نَسِيمٌ ^(١) الصَّبَا، أَذْكَرْتَنِي الْعَهْدَ بِالْوَادِي
 وَهَيَّجْتَ أَشْوَاقًا شَقَقْنَ فُؤَادِي
 ٢ فَإِنْ كُنْتَ تُحْيِي مَيِّتَ الْهَجْرِ وَالْجَوَى
 بِقَتْلِ ^(٢) الْهَوَى، أَحْيَيْتَنِي بِمِرَادِي
 فَإِنِّي مُذْفَارَقْتُ أَحْبَابَ مُهْجَتِي
 وَعَوَّضْتُ مِنْ قُرْبِ لَهُمْ بِبِعَادِ
 جُفُونِي جَفَتْ نَوْمَ الدُّجَى لِمَضَاجِعِي
 وَصِرْتُ جَلِيْسًا لِلشُّهَابِ بِسُهَادِي
 ٥ فَيَا ذَلِكَ الدَّانِي إِلَى ذَلِكَ الْحَمِي
 إِذَا مَا أَنْخَتَ الْعَيْسَ فِي ذَلِكَ الْوَادِي
 فَنَادِي بِهِ السُّكَانَ: أَسْكَنْتُمُ الْحَشَا
 وَقُودَ لَظِي، فَالْجَمْرُ صَارَ مِهَادِي
 فَلَمْ أَسْتَطِعْ فِي اللَّيْلِ مَيْلًا لِمَضْجِعِي
 أَأَهْجَعُ وَالنَّيْرَانُ حَشْوُ وَسَادِي
 رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى ^(٣)
 وَلَيْلًا نَفَى فِيهِ الْوِصَالَ رُقَادِي

(١) الأبيات في أ فقط .

(٢) في الأصل : قتيل .

(٣) منعرج اللوى : موضع يشير به التلمساني إلى زمن القرب .

١ كَأَنَّ عِذَارَ (١) مَنْ أَحَبَّ بِخَدِّهِ
 رِضَاهُ (٢) وَفِيهِ بَعْضُ آثَارِ (٣) صَدِّهِ
 رَشِيقُ التَّثْنِيِّ (٤) رَأَشِقُ الْجَفْنِ فَاتِكُ
 جِيُوشُ الْهَوَى مِنْ تَحْتِ رَايَةِ قَصْدِهِ (٥)
 يَكْلَفُ رِدْفِيهِ مِنَ الثَّقَلِ مِثْلُ (٦) مَا
 يَكْلَفُ مِنْ ثِقْلِ الْهَوَى قَلْبَ عَبْدِهِ
 يَمْوِجُ غَدِيرٌ (٧) تَحْتَ غُصْنِ قَوَامِهِ
 وَتُعْبَبَانُ ذَاكَ الشَّعْرِ ظَامٌ (٨) لَوْرِدِهِ
 ٥ تَوَلَّى (٩) قَضَايَا الْحَلِّ وَالْعَقْدِ بِنْدِهِ
 فَضَاقَ مَجَالُ الْخُصْرِ مِنْ عَقْدِ بِنْدِهِ (١٠)
 فَإِنْ كَانَ مِنْ خَدْيِهِ نَارٌ دُخَانُهَا
 بِصُدْغِيهِ (١١) فَالْجَنَّاتُ مِنْ تَحْتِ بُرْدِهِ

(١) ب، ج: عذارى. (٢) ب: رضاء.

(٣) ج: من بقية. (٤) ب: التجنى.

(٥) ب: آثار بنده، ج: نحف قده.

(٦) أ: يكلف ردفيه من الأثمل مثل ما.

ب: يكلف عطفيه من الحمل مثل ما.

ج: يحمل عطفيه من الات ثقل ما.

(٧) ج: عديدا.

(٨) ب: ضام. (٩) = ج.

(١٠) البند؛ العلم الكبير من أعلام الروم.. وهو أيضا: الذي يسكر من الماء!

(١١) أ، ضرامها بقلبي.

فَلَا تَلْتَمِسْ إِنْجَازَ مَوْعِدِ جَفْنِهِ (١)

فَفِيهِ فُتُورٌ فَالْتَمِسْ (٢) خُلْفَ وَعْدِهِ

فَإِنْ (٣) كَانَ يَهْوَى الْخُلْفَ - أَفْدِيهِ - مَالَهُ

يُؤَافِقُ فِي قَتْلِ (٤) الْمُحِبِّ بِجَهْدِهِ

فَخَرْتُ (٥) بِحُسْنِ النِّظْمِ فِيهِ فَقَالَ لِي

تَعَلَّمْتَهُ مِنْ نَظْمِ ثَغْرِي وَعِقْدِهِ

١٠ وَلَمَّا رَأَى دَمْعِي دَمَّاطِنًا خَدَّهُ

تَرَأَى (٦) لِدَمْعِي فَانْتَسَى لَوْنَ وَرَدِّهِ (٧)

وَلَوْ (٨) أَنْ قَلْبِي حَازَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ

سَلَوْتُ، وَلَكِنْ حَازَ رِقَّةَ خَدِّهِ

وَقَدَّمْتُ دَمْعِي رَشْوَةً وَهُوَ لَوْلُؤٌ

فَمَا جَادَ لِي، يَا لَيْتَ (٩) جَادَ بَرْدَهُ

أَحْيَابَنَا (١٠) أَنْتُمْ لَنَا (١١) الْقَصْدُ وَالْمَنَى

أَيَّرَغَبُ صَبٌّ عَنِ مَنَاهُ وَقَصْدُهُ

(١) ب: وعد جفونه .

(٢) أ: والتمس . (٣) ج: وإن .

(٤) ج: فتك . (٥) ب: فجزت .

(٦) ب: براء، ج: تراأى!

(٧) ب: خده .

(٨) = ب، أ: فلو .

(٩) أ: فياليت إذ لم يجد .

(١٠) ب: أحبابنا .

(١١) أ: هم .

حَلَلْتُمْ مِنَ الْقَصْرِينِ قَلْبِي وَنَاظِرِي

وَمَا أَحْكَمَ الْمَوْلَى عَلَى مَلِكٍ (١) عَبْدِهِ

١٥ فَإِنْ قُلْتُمْ مَا الشَّامِ مِصْرٌ فَذُو (٢) الصَّفَا

يَرَى الْقُرْبَ (٣) فِي التَّوْحِيدِ (٤) مِنْ غَيْرِ بَعْدِهِ

[الرمل]

١ بِذِمَامِ (٥) الْحَبِّ (٦) يَا أَهْلَ زَرُودِ

مَنْ تُرَى عَلَمَكُمْ نَقْضَ الْعَهْدِ (٧)

أَتْرَأَكُمْ قَدْ مَلَلْتُمْ (٨) عَبْدَكُمْ

أَمْ سَمِعْتُمْ فِيهِ أَقْوَالَ الْحَسُودِ

هَكَذَا كُلُّ مُحِبٍّ لَكُمْ

أَمْ أَنَا الْمُخْصُوصُ وَخَدِي بِالصُّدُودِ

كَيْفَ مَا شِئْتُ (٩) فَكُونُوا سَادَتِي

أَنَا فِي حُبِّي لَكُمْ بَعْضُ الْعَبِيدِ

٥ وَلَكُمْ عُهُدَةٌ رَقِي كُنَيْتَ (١٠)

بِمِدَادِ الدَّمْعِ فِي رَقِّ الْخُدُودِ

(١) أ: قلب، ب: حكم.

(٢) ب: ما السماء وذا الصفا، أ: فذو صفا.

(٣) ب: القلب.

(٤) التوحيد هنا، إشارة إلى الوحدة بمفهومها الصوفي.

(٥) الأبيات في أ، ب وساقطة من ج.

(٦) بذيمام الحب هنا، أمر يستخلف به العاشق أحبه.

(٧) ب: العهدى. . وكذا الحال في بقية الأبيات!

(٨) ب: ملكتم. (٩) أ: كتتم. (١٠) ب: كتب.

كَلَّمَا رُمْتُ تَقَاضِي وَصَلِكُمْ

وَقَفَ الْإِجْلَالَ بِي دُونَ وَرُودِ (١)

[الكامل]

ب

١ لَوْ كُنْتُ فِيهِ هَائِمًا وَخَدِي

لَعَاذَرْتُ (٢) عُدَالِي عَلَى وَجَدِي

أَمَا (٣) وَكُلُّ الْكَوْنِ يَعْشَقُهُ

فَعَلَامَ أَخْفَى فِيهِ مَا عِنْدِي (٤)

هَامَ النَّسِيمُ بِلُطْفِهِ فَلَذَا

ظَهَرَ أَعْتِلَالَ (٥) فِي صَبَا نَجْدِ

وَلَهُ عِيُونُ الزَّهْرِ رَامِقَةٌ

بِنَوَاطِرٍ مِلَّتْ مِنَ الشُّهُدِ

١ وَأَبِيكَ، لَوْلَا لَيْنٌ قَامَتِهِ

مَا اشْتَقْتُ (٦) لَيْنَ مَعَاطِفِ الرَّنْدِ

يَا قَاتِلِي وَجَّوَانِحِي أَبَدًا

تَشْتَاقُهُ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ

(١) فى أ: دون وجودى . . ثم التحقت فى النسخ أ، بتلك الأبيات الثلاثة التى وردت قبل ذلك منفصلة

فى أ، والتى يقول مطلعها: يا أهبل الحى من ذاك الحمى!

(٢) ب: لعذلت . (٣) أ: أنا .

(٤) عشق الكون لله تعالى، مشهد يعرج إليه الصوفى فى رحلة ترقّيه من الخلق إلى الحق . . فىرى حقائق

الأشياء - بعين قلبه - منجذبة إلى الخالق عزو وجل . وهنا يتساءل التلمسانى: إذا كانت أجزاء الكون

منجذبة إلى الله، فلماذا يخفى هو منجذبه إليه تعالى!

(٥) أ، ب: اعتدال . (٦): ما شتقت، ج: ما شقت

لَكَ أَنْ تَجُورَ عَلَيَّ يَا أَمَلِي
وَعَلَىَّ أَنْ أَرْضَى بِمَا تُبَدِي
وَلَيْتَنِي^(١) أَرَأَقَ دَمِي هَوَاكَ^(٢) فَيَا
شَرَفِي وَيَا حَظِّي وَيَا سَعْدِي
أَخْفَيْتُ حُبَّكَ إِذْ خَفَيْتَ ضَنَا
فَكَأَنَّمَا كُنَّا^(٣) عَلَى وَعْدِ
١٠ لَكَ نَاطِرٌ أَبَدًا لِحَاجِبِهِ^(٤)
يَشْكُو ظِلَامَةَ عَامِلِ الْقَدِّ
لَكَ عَارِضٌ^(٥) لَمَّا اعْتَرَضْتُ رَأَى
إِطْلَاقَ جَارِي الدَّمْعِ فِي نَقْدِي^(٦)

[الخفيف]

١ مَا أَضَا الْبَرْقُ^(٧) اللَّمُوعُ بِنَجْدِ
إِنَّمَا ذَاكَ مِنْ تَبَسُّمِ هِنْدِ
وَإِذَا^(٨) قَارَنَ^(٩) الْغَمَامُ بَرْقُ^(١٠)
فَهِيَ لَوْ تَعْلَمُونَ مِنْ نَارٍ وَجَدِي

(١) أ، ب: لين.

(٢) ب، ج: هواك دمي.

(٣) أ: فكأنا كانا، ج: فكأنا كنا.

(٤) ب: لواحظه. (٥) ب، ج: ولعارض.

(٦) أ، ج: نقد. (٧) ج: البرق.

(٨) أ، ج: فإذا. (٩) ب: ما علا، ج: فارق.

(١٠) أ: الغمام برق، ب: الغرام برق.

سَامَحَ اللَّهُ مُقَلَّةً فَتَكَّتْ بِي (١)

إِنَّ قَتْلِي مَا كَانَ (٢) مِنْهَا بِقَصْدٍ

ر مَادَرَتْ إِذْ رَنْتَ بِجَفْنٍ (٣) سَقِيمٍ

فَاتِرٍ (٤) أَنْ ذَلِكَ السُّقْمُ يُعْدِي

ه لَيْتَهُ (٥) بَاعِنِي نُعَاسًا (٦) تَشْكِي

ثُقْلُهُ وَأَشْتَرِي بِهِ بَعْضَ سُهْدِي

يَا رَشِيقَ الْقَوَامِ كَيْفَ (٧) بَرُّشْدِي

وَتَشِي عَطْفَ نِيكَ أَتْلَفَ رُشْدِي

هَاتِ كَأْسِي فِي حُبِّهِ يَا نَدِي

فَهِيَ تُعْزِي مِنْهُ لِشَفْرِ وَخَدِّ

وَأَجْلِهَافِي غِلَالَةٍ مِنْ (٨) نُضَارِ

دَرَزَتْهَا (٩) يَدُ الْمِرْزَاجِ بِعَقْدِ

(١) ج: قتلنتي، ب: فتكت في.

(٢) + أ.

(٣) ب: بطرف.

(٤) - ب.

(٥) الأبيات الأربعة التالية وردت قبل ذلك منفردة في المخطوطة أ، ثم تكرر ورودها هنا . وفي ب بدأ الناسخ بها صفحة جديدة، فبدت منفصلة! أما في ج فقد اتصل التسلسل الخاص بالأبيات .

(٦) ب: نعاس .

(٧) ج: لیس .

(٨) ج: غلالتين .

(٩) الدرز، الحياطة والحياكة . . وهي كلمة فارسية معربة (لسان العرب ١/ ٩٦٨) ويبدو أن الكلمة لم

تعجب ناسخ ب فكتبها: طرزتها!

١ تَذَكَّرْتُ مِنْ رَامَةِ مَوْرِدَا
 إِلَى مَائِهِ الْعَذْبِ أَشْكُو^(١) الصَّادَا
 مَنَازِلُ قَدْ نَزَلَتْهَا سُعَادُ
 وَإِلَّا فَمَا الطَّيْرُ فِيهَا شَادَا^(٢)
 لَثَمْتُ ثُرَى أَرْضِهَا بِالْجُفُونِ
 وَمِنْ شَغْفِي خَلَّتْهَا أَثْمَادَا
 وَصَوَّرَهَا الْوَجْدُ^(٣) لِي كَعْبَةً
 فَأَلْزَمَنِي الشُّوقُ^(٤) أَنْ أَسْجُدَا
 أَقْبَلُ مُبْيَضَّ أَرْكَانِهَا
 كَتَقْبِيلِي الْحَجَرَ الْأَسْوَدَا

[السريع]

١ قِمْرِيَّةُ الْأَشْحَارِ لِي تُسْعِدُ^(٥)
 أَنُشِدُ فِي غُصْنِي^(٦) كَمَا تُنْشِدُ
 بِي شَادِنِ^(٧) قَلْبِي شَقِيًّا بِهِ
 وَجَدَا وَطَرْفِي نَظْرًا^(٨) يَسْعَدُ

(١) ج: شكو.

(٢) ب، ج: الطيب فيها سدا.

(٣) ب: الشوق. (٤) ج: الوجد.

(٥) ب: قمرى به الأشجار لا تسعد!

(٦) ب: الغصن. (٧) أ: وشادن. (٨) ب: ناظرا.

وَأَعْجَبًا^(١) مِنْ رَمَدٍ نَالُهُ

وَخَلَّتْ أَنْ الْبَدْرُ لَا يَرْمَدُ

كَيْفَ اكْتَسَتْ مُقْلَتُهُ حُمْرَةً

وَالنَّرْجِسُ الْأَحْمَرُ لَا يُعْهَدُ^(٢)

هَارُوتُهَا أَضْحَى وَمَارُوتُهَا^(٣)

عِلْمَهُمَا بِالسَّحْرِ لَا يُجْحَدُ

[الطويل]

وَجُودٌ وَحَسْبِي أَنْ أَقُولُ^(٤) وَجُودٌ

لَهُ كَرَمٌ مِنْهُ عَلَيَّهِ وَجُودٌ^(٥)

تَنْرَهُ عَنْ نَعْتِ الْكَمَالِ لِأَنَّهُ

بِمَعْنَى^(٦) اِعْتِبَارِ النِّقْصِ فِيهِ يَعُودُ^(٧)

وَلَكِنَّهُ^(٨) فِيهِ الْكَمَالُ وَضَدُهُ

لَهُ مِنْهُ وَالْمُجْمُوعُ^(٩) فِيهِ صُمُودٌ^(١٠)

(١) ب: عجب . (٢) أ: يوجد .

(٣) الإشارة إلى سحر هاروت وماروت

(٤) ب: يقال . (٥) ب: يجود .

(٦) ب: معنا، ج: لمعنى . (٧) أ: يود .

(٨) أ: ب: لما بدأ منه المجموع . (٩) ب: لما بدأ منه المجموع .

(١٠) يرى الصوفية أن مرتبة الألوهية تجمع الأجزاء جميعا، فهي الرتبة الجامعة المشتملة على سائر حقائق الوجود الحقى والخلقى . . يقول الجبلى: اعلم أن جمع مراتب الوجود وحفظها فى مراتبها، تسمى الألوهية! والوجود والعدم متقابلان، وتلك الألوهية محيطة بهما، لأن الألوهية تجمع الضدين من القديم والحديث والحق والخلق والوجود والعدم [الإنسان الكامل ١/ ٢٣] ومن هنا قال التلمسانى إن الوجود، الذى هو المجلى التام للألوهية، فيه الكمال وضده . . يعنى الكمال والنقص باعتبارهما من متقابلات الوجود! وقوله عقب ذلك [المجموع فيه صمود] إشارة إلى رتبة الإحاطة .

وَأَشْرَفُ أَشْكَالِ الْكَثَائِفِ مَا بِهِ

[م]

اسْتَدَارَتْ كُرَاهُ (١) فَهِيَ مِنْهُ سَعُودٌ (٢)

لِحَيْطَتِهَا (٣) الْأَشْكَالُ فِيهَا بِأَسْرَهَا

وَمِنْهَا إِلَيْهَا تَبْتَدِي وَتَعُودُ

وَقُوتُهَا تُعْطِي التَّنَوُّعَ كُلَّهُ

فَلَيْسَ عَلَيْهَا فِي الْكَمَالِ مَزِيدٌ

سِوَى قُوَّةِ الْإِطْلَاقِ فَهِيَ مُحِيطَةٌ

بِسَطْوَتِهَا كُلُّ الْكُرَاتِ تَبِيدُ (٤)

كَذَا حَرَكَاتُ الدَّوْرِ أَشْرَفُ مَا بِهِ

تَحَرُّكُ جِسْمٍ كَيْ يَنَالَ قُصُودُ

فَتَشْمَلُ أَنْوَاعَ التَّحَرُّكِ كُلَّهُ

فَفِي كُلِّ آنٍ خَلَقْنَهُنَّ جَدِيدُ (٥)

(١) ب: كياه!!

(٢) أ: وهي فيه صعود، ج: وهن صعود.

(٣) يقول ابن سبعين في رتبة الإحاطة التي يتحدث عنها التلمساني هنا: إن الخارج عن الإحاطة ممنوع ومعدوم، والداخل فيها قد أحاطت به، وليست هي كالمكان، ولا يمكن فيها المكان والزمان ولا العدد ولا الإضافة. . فهي إحاطة تحيل العدد إلى واحد، ثم تمتع زمن الإحاطة وزمان الجمع وزمان التفرقة! وهي الله في الحقيقة! فالإحاطة شبه مغناطيس، والموجودات كالحديد، والنسبة الجامعة بينها هوية الوجود، والذي فرق بينهما هو وهم الموجود [ابن سبعين: رسالة الإحاطة - مخطوط - عن ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور/ أبو الوفا التفتازاني ص ٢٢٠ وما بعدها] ولا يخرج التلمساني هنا عن كونه ناظما لهذه الفكرة السبعينية شعرا.

(٤) إشارة إلى دخول كل دوائر الوجود الخلقى في رتبة الإحاطة التامة، إذ إن سطعات الوحدة تتلاشى معها كل ظلمات الموجودات.

(٥) الآية: بل هم في لبس من خلق جديد. . (ق: ١٥).

١٠ مَعَانَ بِهَا مِنْهَا عَلَيْهَا أَدَلَّةٌ

وَفِيهَا لَهَا فِيمَا تَرُومُ شُهُودٌ^(١)

وَلَوْلَا انْخِرَامُ الْكُلِّ بِالْقُوَّةِ الَّتِي

لِإِطْلَاقِهَا فِي جَمْعِهَا قِيُودٌ

لَمَّا عَدِمَ الْمَوْجُودُ يَوْمًا وَلَا انْقَضَتْ

رُسُومٌ بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ^(٢) وَحُدُودٌ

وَلَكِنَّهَا تَأْتِي النَّهْيَةَ وَصَفَهَا^(٣)

فَلَيْسَ لَهَا فِي الدَّوْرِ قَطُّ جُمُودٌ^(٤)

وَلَوْ وَقَفَتْ يَوْمًا بِحَدِّ لَنَا لَهَا^(٥)

بِهِ عَدَمٌ هِيَ هَاتِ وَهِيَ وَجُودٌ^(٦)

[الطويل]

١ إِذَا كُنْتُ بَعْدَ الْمَحْوِ^(٧) فِي الصَّحْوِ^(٨) سَيِّدًا

إِمَامًا مُشْنَى^(٩) النَّعْتِ بِالذَّاتِ مُفْرَدًا

(١) الآية : شهد الله أنه لا إله إلا هو . . (آل عمران : ١٨) .

(٢) ب : البكاء . . والإشارة إلى فناء عالم الأجسام . (٣) ب : نهاية وضعها .

(٤) الدور هنا : إشارة إلى دوام الإيجاد بترادف التجليات الإلهية التي تتوالى فلا تتوانى ، وتنوع ولا

تنقطع . . فهي كل يوم في شأن جديد ، ولها في كل شأن مظاهر وجود شاهدة بالمتجلى عز وجل !

وبخصوص تفصيل هذه النقطة ، يمكن الرجوع إلى فصوص الحكم لابن عربي [الفص الأدمي] .

(٥) ب : لما لها . (٦) إشارة إلى تنوع التجليات الإلهية ودوامها بلا انقطاع .

(٧) للمحو عند الصوفية عدة مراتب يوضحها الفاشاني في [اصطلاحات الصوفية ص ٧٩] على النحو التالي :

- محو أرباب الظواهر : رفع أوصاف العادة والحصال الذميمة ، ويقابله الإثبات الذي هو إقامة أحكام العبادة واكتساب الأخلاق الحميدة .

- محو أرباب السرائر : إزالة العلل والآفات ، ويقابله إثبات المواصلات ؛ وذلك برفع أوصاف العبد ورسم أخلاقه وأفعاله بتجليات صفات الحق وأفعاله وأخلاقه ، كما قال : كنت سمعته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به .

- محو الجمع الحقيقي : فناء الكثرة في الوحدة .

- محو العبودية ومحو عين العبد : إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان . . ومعرفة أن الوجود ليس إلا عين الحق تعالى ، والإضافة نسبة ليست لها وجود في الخارج .

(٨) انظر معنى الصحو ، فيما سبق . (٩) ب : مبین .

فَمَا الرَّسْمُ إِلَّا مَانِعٌ غَيْرٌ^(١) حَاجِزٍ
 حَاصِنٌ^(٢) بِهِ^(٣) الْإِطْلَاقُ لَنْ^(٤) يَتَّقِيَدَا
 وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَرْقَ^(٥) صَارَ تَوْهُمًا
 بِهِئَتِهِ وَالْجَمْعُ^(٦) فَرْدًا^(٧) كَمَا بَدَا
 وَمِنْ^(٨) قَوْلِهِمْ: مَا قَامَ إِلَّا مُحَمَّدٌ^(٩)
 دَلِيلٌ بِهِ حُكْمُ الصَّوَابِ تَأْيِيدًا^(١٠)
 رَفَعْنَا^(١١) عَنْ^(١٢) الْإِعْرَابِ رَفَعَ مُحَمَّدٌ
 لِقَامَ، وَإِلَّا^(١٣) عَنْهُ تَنْفِي مُحَمَّدًا^(١٤)
 وَإِذْ^(١٥) لَمْ يَكُنْ مَا قَامَ، يَطْلُبُ فَاعِلًا
 سِوَاهُ رَفَعْنَاهُ بِهِ^(١٦) فَتَأَكَّدَا

(١) ب: دون.

(٢) ج: خضير.

(٣) ب: بها.

(٤) ب: لم.

(٥) في الدلالة الصوفية للفرق، يقول القاشاني: الفرق الأول الاحتجاب بالخلق عن الحق، وبقاء الرسوم الخلقية بحالها. والفرق الثاني هو شهود قيام الخلق، ورؤية الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة من غير احتجاب [اصطلاحات الصوفية ص ١٣٦].

(٦) الجمع عند الصوفية: شهود الحق بلا خلق. . وجمع، الجمع: شهود الخلق قائما بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع [اصطلاحات الصوفية ص ٤١].

والتلمساني هنا يشير إلى سقوط مفاهيم الفرق والجمع بعد التحقق التام بالإحاطة والوحدة المطلقة. (٧) ب: والفرد جمعا. (٨) = ج.

(٩) في ج: محمداً. . وسوف يسعى التلمساني لتحليل القواعد النحوية في هذه العبارة مازجا بين قواعد النحو واصطلاح الصوفية، ومستغلا كل إمكانات التعبير الشعري؛ كي يؤكد على نظريته في الوحدة.

(١٠) عجز البيت ساقط من ب. (١١) صدر البيت ساقط من ب.

(١٢) أ: على. (١٣) ج: ولما.

(١٤) ب: ولاء عنه يبقى مخلدا! (١٥) ج: إذا.

(١٦) ب: بها.

فَالِإِلَّا، وَإِنْ دَلَّتْ عَلَى الْفَرْقِ ظَاهِرًا

فَتَحْقِيقُ حُكْمِ الرَّفْعِ (١) يَجْعَلُهَا سُدَى (٢)

فَلَا تُطْعِ الْإِجَابَ إِلَّا تَقِيَّةً (٣)

بِهَا وَاعْتَمَدُ فِي سَلْبِ إِجَابِهَا الْهُدَى (٤)

كَذَلِكَ (٥) وَالسَّلْبُ (٦) الَّذِي ابْتَدَأَتْ بِهِ

شَهَادَتُنَا (٧) مَا كَانَ شَيْءٌ فَيُجْحَدُ

١٠ فَتَحْقِيقُ ذَلِكَ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ وَوَاحِدٌ

وَمَنْ وَجَدَ (٨) الْإِثْبَاتَ فِي نَفْيِهِ اهْتَدَى (٩)

[البسيط]

١ لِلْقَضْبِ بِالزَّهْرِ أَجْيَابٌ وَأَجْيَادٌ (١٠)

تَدْنُو إِلَيْكَ وَتَنْأَى (١١) حِينَ تَنَادَى (١٢)

(١) ب: الفرق .

(٢) .. سدا .

(٣) أ، ج: بقية . . والتقية: هي إظهار الإنسان خلاف ما يعتقد، خوفا من بطش الآخرين به، خاصة إن كانوا على غير مذهبه . وهي أصل من أصول التشيع، لجأ إليه الشيعة هربا من بطش السنة بهم .

(٤) ب: الهدا .

(٥) = ب .

(٦) ج: لذلك أسباب .

(٧) الإشارة إلى شهادة: لا إله إلا الله .

(٨) ج: وخذ .

(٩) ب: الأسباب في فعله هذا .

(١٠) ب: للغصن بالدوح أحباب وأجنادا!

(١١) ب: ثناء .

(١٢) أ، ب: تنقاد .

وَلِلْحَبَابِ عَلَى (١) سُقْمَى (٢) جَدَاوِلِهَا
 لِلسَّيْفِ (٣) وَالْعِقْدِ نَضَاءً (٤) وَنَضَادًا (٥)
 وَلِلنَّسِيمِ عَلَى الْآفَاقِ (٦) زَمَزَمَةٌ
 وَلِلْحَمَائِمِ بِالْأَعْوَادِ (٧) أَعْوَادًا (٨)
 فَهَاتِ كَأْسَكَ أَوْ (٩) لُطْفًا يَقُومُ لَنَا
 مَقَامَ كَأْسِكَ يَبْقَى حِينَ تَنْقَادًا (١٠)
 هـ فَمَا (١١) الْمُدَامَةُ أَحْلَى مِنْ حَدِيثِكَ إِذْ
 يَجْلُوهُ لِلسَّمْعِ إِنْشَاءً (١٢) وَإِنْشَادًا
 أَوْ حُذًا (١٣) حَدِيثَ غَرَامِي فَاتَّخِذْ سَمْرًا (١٤)
 فَفِيهِ لِلسَّمْعِ إِسْعَافٌ وَإِسْعَادٌ
 بِي شَادِنٌ لِغَرَامِي شَارِدًا (١٥) أَبَدًا
 وَلِلتَّصَبُّرِ نَقَاءٌ وَنَقَّادٌ

(١) ج: وللجنان على . . وباقي الشطر ساقط!

(٢) غير واضحة في أ.

(٣) أ: للسبق . (٤) ب: الدر نضام .

(٥) النضو؛ التجريد والخلع . . يقال: نضا السيف، إذا سلَّه من غمده [لسان العرب ٦٥٩/٣] والنضد، التركيب والتنسيق . . يقال: نضد العقد، إذا نظمه .

(٦) ج: الأوقاف . (٧) ب: بالأغوار .

(٨) ب: أعياد، ج: عواد . . وأعواد التي اخترناها من أ: جمع عود .

(٩) ب: إذ . (١٠) أ: تناد .

(١١) = ج . (١٢) أ: إفشاء .

(١٣) ب، ج: وخذ .

(١٤) ب: واتخذ سكر، ج: واتخذ سكتنا .

(١٥) أ: شاید .

كَمْ فِي غِرَامِي بِهِ وَاشٍ وَوَأَشِيَّةُ
 وَكَمْ مَعَ الدَّهْرِ حُسَابٌ^(١) وَحَسَادُ
 وَكَمْ عَلَيَّ إِذَا مَا غِبتُ عَنْهُ وَكَمْ
 فِي حِينِ أَحْضُرُ نَقَّالٌ وَنَقَّادُ

[الكامل]

١ لَا تَطْمَعَنَّ^(٢) فَمَا سَلُوْهُ فُوَادِهِ
 فِي وَسْعِ طَاقَتِهِ^(٣) وَلَا اسْتِعْدَادِهِ
 هَيْهَاتَ أَنْ يُصْنَعِيَ إِلَى غَيْرِ الْهَوَى
 قَلْبُ الْمُحِبِّ فَإِنْ^(٤) شَكَّكَتَ فَنَادِهِ
 أَعْطَى هَوَى لَيْلَى جَمِيعَ رُسُومِهِ
 إِلَّا^(٥) مُنِيْزَةَ الَّذِي بَفُوَادِهِ
 لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ وَصَلَهُ عَانَقْتُهُ
 حَتَّى أَرَى^(٦) التَّوْحِيدَ فِي تَعْدَادِهِ
 ٥ لَكِنِّي مَارُمْتُ أَشْهَدُ حُسْنَهُ
 إِلَّا فَنِيْتُ فَنِبتُ عَنْ^(٧) إِشْهَادِهِ

(١) ب: حسام.

(٢) الأبيات في ب، ج.

(٣) ب: طاعته.

(٤) ب: قلب وإلا أن.

(٥) عجز البيت ساقط من ج.

(٦) ج: لذا.

(٧) ب: في.

١ صَبَا (١) لِرُبَا (٢) الْأَرَاكِ (٣) وَحَى هِنْدِ
 طَرِيحُ صَبَابَةٍ وَحَلِيفٌ وَجَدِ
 وَهَاجَتُهُ الْبُرُوقُ فَحَنَّ شَوْقًا
 إِلَى رَشْفِ اللَّمَى مِنْ نَغْرِ هِنْدِ (٤)
 سَكِرْتُ وَمِنْ شَمَائِلِهَا شَمُولِي
 وَمِنْ وَجَنَاتِهَا آسِي وَوَرْدِي
 مُحَجَّبَةٌ وَلَكِنْ فِي ضَمِيرِي
 بِمَوْطِنِ (٥) صَبَوْتِي وَمَحَلِّ وُدِّي
 وَأَشْهَدُنِي تَذَكُّرَهَا جَمَالًا
 أَنْزَهُ وَصَفَّفَهُ عَنْ كُلِّ حَادٍ
 إِذَا (٦) أَبْدَى التَّبَسُّمُ نَظْمُ عِقْدِ
 أَعَانِقُهُ فَأَنْثُرُ كُلَّ عِقْدِي
 وَيَتُّ فَلَا تَسَلْ عَنْ عَيْشِ صَبِّ
 حَظِّي بِالْوَصْلِ بَعْدَ جَفَا وَصَدِّ (٧)

(١) الأبيات في ب، ج.

(٢) ب: لربا.

(٣) الأراك، شجر طويل أخضر، تتخذ من فروعه المساوك (لسان العرب ١/٤٩).

(٤) ج: إلى الهيفاء لا عرب بنجد!

(٥) ب: لموطن.

(٦) = ج.

(٧) ج: تملأ بالحبيب بغير رد!

[الخفيف]

١ يَا زَمَانَ^(١) الرُّضَا لَنَا هَلْ تَعُودُ
وَلَأَيَّامٍ وَصَلْنَا هَلْ تُعِيدُ
وَعُهُودُ الْحِمَى كَمَا قَدْ عَهَدْنَا
حَبِّذَا لَوْ تَكُونُ تِلْكَ الْعُهُودُ
كَمْ نَعِيمٍ لَنَا بِنِعْمَى^(٢) تَقْضَى
بِوَصَالٍ قَدْ غَابَ عَنْهُ الْحَسُودُ
يَا أَهْيَلِ الْحِمَى حَلَلْتُمْ بِقَلْبِي
جَنَّةً لِلْغَرَامِ^(٣) فِيهَا وَقُودُ

[المنسرح]

١ يَا عَرَبَ^(٤) الْحَىَّ عَذْلِي عَدْدُ
وَيَلَاهُ أَيْنَ الرَّجْجَالُ وَالْعُودُ
مَا صَحَّ فِي حُبِّهِ سِوَى سَقَمِي
بِكُمْ وَمَمَاتِ السُّلُوِ وَالْجَلْدُ
عَهْدِي وَجِيدُ الْكَنْثِيبِ طَوْقُهُ
مِنْكُمْ بِطَوْقٍ كَالْعِقْدِ يَتَّضِدُ

(١) الأبيات في ب فقط وساقطة من أ، ج.

(٢) في الأصل: بنعم.

(٣) الغرام: اللّازم من العذاب والشر الدائم، والبلاء والحب والعشق وما لا يستطيع تجنبه. . وهو في اللغة: أشد العذاب، قال تعالى «إن عذابها كان غراما» أى ملحا دائما ملازما (لسان العرب

.(٩٨١/٢)

(٤) الأبيات في ب فقط وساقطة من أ، ج.

يَزْدَادُ مِنْ مَاءٍ وَرِدِهِ عَطَشًا

لِحِسْنِهِ كُلُّ وَارِدٍ يَرِدُ

٥ مِنْ كُلِّ رَامِيٍّ (١) الْعُيُونِ مَعْرَكَةٌ

مَعَ وَجَّتَيْنِهِ وَصُدْغُهُ الزَّرْدُ

[الكامل]

١ يَا سَيْفٌ (٢) مُقْلَتُهُ سَكِرَتْ فَعَرِبِدِ

كَيْفَ اشْتَهَرْتَ عَلَى الْمُحِبِّ الْمُكْمَدِ

وَرَمَيْتَ عَنْ قَوْسِ الْفُتُورِ فَأَصْبَحْتَ

غَرَضًا لِأَسْهَمِكَ الْقُلُوبُ فَسَدَّدِ (٣)

مَنْ لَمْ يَمْتَ بِعَذَابِ حُرْقَةِ (٤) قَلْبِهِ

مُتَنَعَّمًا لَا فَازَ مِنْكَ بِمَوْعِدِ

لِلصَّبِّ أَسْوَةٌ خَالِ خَدِّكَ إِنَّهُ

مُتَمَتِّعٌ (٥) فِي جَمْرِهِ الْمُتَوَقِّدِ

[مجزوء الكامل]

١ وَصَلِّ (٦) عَلَى رَغْمِ الْحَسُودِ

إِلَيْكَ سَعْدًا يَا سَعِيدُ

(١) في الأصل : من للعيون .

(٢) الأبيات في ب : فقط .

(٣) في الأصل : فشددى .

(٤) في الأصل : بين بعذاب .

(٥) في الأصل : متمتعا .

(٦) الأبيات في ج فقط .

فَدَنَا الْبَعِيدُ وَيَا هَنَا [م]

المُشْتَقِ إِذْ يَدُنُو الْبَعِيدُ

[المتقارب]

فَوَادِي (١) حَقِيقَةً نَادِيكُمْ

فَكَيْفَ بِنَجْدٍ أَنْادِيكُمْ

وَأَنْتُمْ لِأَسْوَدَ عَيْنِي سَنَا

فَأِنْسَانُهَا (٢) مِنْ أَيَادِيكُمْ

[الطويل]

دُمُوعِي (٣) أَبْتُ إِلَّا أَنْسِكَابًا لَعَلَّهَا

بِمَكْنُونٍ حُبِّي عِنْدَ حُبِّي (٤) تَشْهَدُ

دَنُوتٌ فَأَقْصَانِي فَعُدْتُ فَرْدَنِي

فَلَا هُوَ يَدْنِينِي وَلَا أَنَا أَبْعُدُ

دَهَيْتُ بِفُقْدَانٍ لِمَنْ قَدْ وَجَدْتُهُ

فَلَا مَدْمَعٌ يَرْقَا وَلَا وَجْدٌ يُخَمِّدُ

دَيْبُ الْهَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ مُوَجِّجٌ

لَهَيْبٍ اشْتِيَاقِي فِيهِ لِلْقَلْبِ مُورِدُ

(١) البيتان في ج فقط .

(٢) إنسان العين، المثال الذي يرى في السواد . وهو أيضا: ناظر العين (لسان العرب ١/١١٣) .

(٣) الأبيات في ج فقط .

(٤) في الأصل: خلى .

٥ دَعَانِي، فَمَنْ ذَاقَ الْهَوَىٰ ثُمَّ لَمْ يَنْلُ

وَصَالَ حَبِيبٍ كَيْفَ لَا يَتَنَهَّدُ

دَعَاوَى الْأَسَىٰ عِنْدِي عَلَيْكَ صَحِيحَةً

فَقَلْبِي خَفَّاقٌ وَجَفْنِي مُسَهَّدُ

دَمِي بِكَ مَسْفُوكٌ وَدَمْعِي مُسَفَّحٌ (١)

فَيَصْلُحُ قَلْبِي فِيكَ مِنْ حَيْثُ يُفْسَدُ

دَفَائِنُ حُبِّ فِي حُودِ جَوَانِحِ

لَهَا بِكَ حَشْرٌ - كُلَّ يَوْمٍ - وَمَوْعِدُ

دُجَاي (٢) إِذَا وَأَصَلْتَ يَوْمٌ مُؤَبَّدُ

وَيَوْمِي إِذَا أُبْعِدْتَ لَيْلٌ مُسَرْمَدُ

١٠ دُنُوكَ أَقْصَىٰ مَا أَحْبَبْتُ وَأَشْتَهَىٰ

فَإِنْ نَلْتُهُ فَهُوَ النَّعِيمُ الْمُخَلَّدُ

* * *

(١) في الأصل: سفوح ودمعي بسفكه!

(٢) في الأصل: رجائي!

قافية الذال

[مجزوء الكامل]

١ بَرَقُ^(١) الْحِمَى^(٢) أَنْتَ الَّذِي
أَذَكَّيْتِ عَنَبَرَهُ الشَّذِي
وَأَخَذْتِ^(٣) فِي شَيْبِهِ الثُّغُورِ
الغُرَّ أَحْسَنَ مَا أَخَذِ
مَنْ لِي بِنُوقِ^(٤) الْعَامِرِيَّةِ
لَوْ بَخَدِي تَحْتَتِي [م]
يَا سَاهِمَ مُقَلَّتِي هَاهَا إِلَيَّ
قَلْبِي وَصُؤْلُكَ فَانْفُذِ
هَ مَنْ مُنْقِي^(٥)، كَلَّا غَلِطْتُ
وَمِنْكَ أَطْلُبُ مُنْقِي^(٥) [م]

(١) الأبيات في أ، ب.

(٢) ب: بروق الحما.

(٣) ب: واحده.

(٤) ب: بريق.

(٥) أ: مسعدى.

أَبْدًا بِوَسْنِ وَأَسِ عَلَيْكَ

مِنَ الْعَذُولِ^(١) تَعَوَّذِي [م]

[الطويل]

١ ذَكَرْتُكَ فَارْتَاعَ الْفُوَادُ صَبَابَةً

إِلَيْكَ وَمَالِي مِنْ إِسَارِكَ مَنَفَذُ

ذُعِرْتُ لِفُتْقَدَانِ الْوِصَالِ بَغْرَةً

وَذَلِكَ ذُعْرٌ لَيْسَ مِنْهُ تَعَوَّذُ

ذِمَائِي^(٢) مَسْفُوحٌ بِمِذْرَجَةٍ^(٣) الْهَوَى

وَقَلْبِي بِنِيرَانِ الصَّبَابَةِ يُنْبَذُ

ذَوَارِفُ^(٤) دَمْعِي بِالذَّمَاءِ^(٥) مَشُوبَةٌ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ قَلْبِي مَجْذُذُ

٥ ذَهَلْتُ عَنِ السَّلْوَانِ وَالْحُبِّ أَفَةً

يَحَارِبُهَا التَّخْرِيرُ وَهُوَ مُجْهَبَذُ

ذِرَائِي، فَمَا عَرَضْتُ لِلْحُبِّ مُهْجَتِي

وَلَكِنْ سَهَامُ الْحُبِّ فِي الْقَلْبِ نُفَذُ

(١) ب : العدو .

(٢) الذمء ؛ بقية الروح في المذبوح . . يقال «ذمى العليل» إذا أخذه النزع فطال عليه خروج الروح (لسان العرب ١/١٠٧٨) .

(٣) المدرجة : درج السيل ، ومنحدره في الأودية . . وهي أيضا : المسلك والمذهب (لسان العرب ١/٩٦٣) .

(٤) في الأصل : ذوارق .

(٥) في الأصل : بالذماء !

ذَوَى (١) زُهْدِي اللَّذَاتِ (٢) فِيكَ صَبَابَةٌ
 كَأَنَّ انْسِكَابَ الْمُرْنِ مِنِّي يُؤْخَذُ
 ذُؤَابٌ (٣) الْأَسَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ لِأَمْعٍ
 وَلَيْسَ بِقَلْبِي مِنْ عِذَارِيهِ مُنْقَذُ
 ذَلَّتْ لِمَحْبُوبٍ هُوَ الْعِزُّ (٤) كُلُّهُ
 عَلَى أَنَّنِي فِي ذَلَّتِي أَتْلَذُّ
 ١٠ ذِمَامُكَ مَحْفُوظٌ وَحَقُّكَ وَاجِبٌ
 وَحُبُّكَ مَحْتُومٌ وَأَنْتَ الْمُنْفَذُ

* * *

(تم الجزء الأول من الديوان)

(٦) الذوى : الذبول .

(٦) فى الأصل : زهد واللذات .

(٣) فى الأصل : ذباب . . والذؤاب ؛ جمع «ذؤابة» وهى طرف السيف .

(٤) فى الأصل : القلب .

أعمال د. يوسف زيدان

- (١) المقدمة فى التصوف، لأبى عبد الرحمن السلمى (تقديم وتحقيق) الطبعة الأولى: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٧ .
الطبعة الثانية: دار الجليل، بيروت ١٩٩٩ .
الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .
- (٢) عبد الكريم الجليلى فيلسوف الصوفية (تأليف). الطبعة الأولى: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٨ .
الطبعة الثانية: دار الجليل، بيروت، ١٩٩٢ .
- (٣) الفكر الصوفى (تأليف). الطبعة الأولى: دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٨ .
الطبعة الثانية: مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٦ .
الطبعة الثالثة: دار الأمين، القاهرة ١٩٩٨ .
الطبعة الرابعة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .
- (٤) شرح فصول أبقراط لابن النفيس (دراسة وتحقيق) الطبعة الأولى: دار العلوم العربية، بيروت ١٩٨٨ .
الطبعة الثانية: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/ بيروت ١٩٩٠ .
الطبعة الثالثة: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .
- (٥) شعراء الصوفية المجهولون (تأليف). الطبعة الأولى: مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١ .
الطبعة الثانية: دار الجليل، بيروت ١٩٩٦ (طبعة مزيدة منقحة).
الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

- (٦) ديوان عبد القادر الجيلاني (دراسة وتحقيق).
 الطبعة الأولى: مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١.
 الطبعة الثانية: دار الجليل، بيروت ١٩٩٩.
 الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.
- (٧) ديوان عفيف الدين التلمساني (دراسة وتحقيق).
 الطبعة الأولى: مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١ (الجزء الأول).
 الطبعة الثانية: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.
- (٨) قصيدة النادرات العينية للجيلي، مع شرح النابلسي (دراسة وتحقيق)
 الطبعة الأولى: دار الجليل، بيروت ١٩٨٨.
 الطبعة الثانية: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.
- (٩) الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر (تأليف).
 الطبعة الأولى: دار الجليل، بيروت ١٩٩١.
- (١٠) عبد القادر الجيلاني، باز الله الأشهب (تأليف).
 دار الجليل، بيروت ١٩٩١.
- (١١) رسالة الأعضاء، لابن النفيس (دراسة - تحقيق)
 الطبعة الأولى: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/ بيروت ١٩٩١.
 الطبعة الثانية: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.
- (١٢) المختصر في علم الحديث النبوي، لابن النفيس (دراسة وتحقيق)
 الطبعة الأولى: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/ بيروت ١٩٩١.
 الطبعة الثانية: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.
- (١٣) المختار من الأغذية، لابن النفيس (دراسة وتحقيق)
 الطبعة الأولى: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/ بيروت ١٩٩٢.
 الطبعة الثانية: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.
- (١٤) شرح مشكلات الفتوحات المكية، للجيلي (دراسة وتحقيق)
 الطبعة الأولى: دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٢.
 الطبعة الثانية: دار الأمين، القاهرة ١٩٩٨.
 الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

- (١٥) فوائح الجمال وفوائح الجلال، لنجم الدين كبرى (دراسة وتحقيق).
 الطبعة الأولى: دار سعاد الصباح، القاهرة ١٩٩٣ .
 الطبعة الثانية: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة وبيروت ١٩٩٨ .
 الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .
- (١٦) التراث المجهول، إطلالة على عالم المخطوطات (تأليف).
 الطبعة الأولى: دار الأمين، القاهرة ١٩٩٤ .
 الطبعة الثانية: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٥ (طبعة جامعية خاصة).
 الطبعة الثالثة: دار الأمين، القاهرة ١٩٩٧ .
 الطبعة الرابعة: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .
- (١٧) فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية (الجزء الأول).
 معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٤ .
- (١٨) فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية (الجزء الثاني).
 معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٥ .
- (١٩) نوادر المخطوطات بمكتبة بلدية الإسكندرية.
 برنامج الأمم المتحدة للتنمية / UNDP / الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٥ .
- (٢٠) فهرس مخطوطات رفاة الطهطاوى (الجزء الأول).
 معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٦ .
- (٢١) فهرس مخطوطات رفاة الطهطاوى (الجزء الثاني).
 معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٧ .
- (٢٢) فهرس مخطوطات رفاة الطهطاوى (الجزء الثالث).
 معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٨ .
- (٢٣) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الأول: المخطوطات العلمية).
 الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦ .
- (٢٤) بدائع المخطوطات القرآنية بالإسكندرية.
 الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦ .
- (٢٥) التتقاء البحرين (نصوص نقدية).
 الدار المصرية اللبنانية، القاهرة وبيروت ١٩٩٧ .

- (٢٦) فهرس مخطوطات أبي العباس المرسى (الجزء الأول: التصرف، التفسير، السيرة، الحديث).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٧.
- (٢٧) حى بن يقظان، النصوص الأربعة ومبدعوها.
الطبعة الأولى: الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الفلسفة والعلم ١٩٩٧.
الطبعة الثانية: دار الأمين ١٩٩٨ (طبعة مزيدة منقّحة).
الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.
- (٢٨) المتواليات (دراسات فى التصوف).
الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/ بيروت ١٩٩٨.
- (٢٩) المتواليات (فصول فى المتصل التراثى المعاصر).
الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/ بيروت ١٩٩٨.
- (٣٠) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الثانى: التصوف وملحقاته).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٨.
- (٣١) فهرس مخطوطات رشيد ودمهور.
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن ١٩٩٨.
- (٣٢) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الثالث: التاريخ والجغرافيا).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٩.
- (٣٣) ابن النفيس، إعادة اكتشاف.
الطبعة الأولى: المجمع الثقافى، أبو ظبى ١٩٩٩.
الطبعة الثانية: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.
- (٣٤) فهرس مخطوطات شبين الكوم.
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن ٢٠٠٠.
- (٣٥) فهرس مخطوطات المعهد الدينى بسموحة.
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- (٣٦) فهرس مخطوطات أبي العباس المرسى (الجزء الثانى: أصول الفقه وفروعه).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- (٣٧) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الرابع: المنطق).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ٢٠٠١.

- (٣٨) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الخامس: الحديث الشريف).
مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠١.
- (٣٩) فهرس مخطوطات دار الكتب بطنطا.
معهد المخطوطات العربية، القاهرة ٢٠٠١.
- (٤٠) فهرس مخطوطات دير الاسكوريال (أسبانيا).
مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٢.
- (٤١) ماهية الأثر الذى فى وجه القمر، لابن الهيثم (دراسة وتحقيق).
مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٢.
- (٤٢) مقالة فى النقرس، للرازى (دراسة وتحقيق).
مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣.
- (٤٣) مختارات من نواذر مقتنيات مكتبة الإسكندرية.
مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣.
- (٤٤) التصوف
- الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤.
- (٤٥) المخطوطات الألفية.
- الطبعة الأولى: دار الهلال، القاهرة ٢٠٠٤.
- الطبعة الثانية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٤ (إصدار خاص).
- الطبعة الثالثة: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.
- (٤٦) الشامل فى الصناعة الطبية، لابن النفيس (ثلاثون جزءاً).
المجمع الثقافى، أبو ظبى (١٩٩٨-٢٠٠٣).
- (٤٧) كنوز المخطوطات فى مدن العالم (طشقند) برنامج تفاعلى.
الإصدار الأول: وزارة الخارجية المصرية ١٩٩٨.
- الإصدار الثانى: نهضة مصر ٢٠٠٨.
- (٤٨) كنوز المخطوطات فى مدن العالم (الإسكندرية) برنامج تفاعلى.
الإصدار الأول: وزارة الدفاع ١٩٩٩.
- الإصدار الثانى: نهضة مصر ٢٠٠٨.
- (٤٩) مخطوطات الطب والصيدلة بالإسكندرية.
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، الكويت ٢٠٠٥.

- (٥٠) ظل الأفعى (رواية).
الطبعة الأولى: دار الهلال، القاهرة ٢٠٠٦.
الطبعة الثانية: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.
(٥١) أعمال مؤتمر المخطوطات الألفية.
مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٦.
(٥٢) أعمال مؤتمر المخطوطات الموقَّعة.
مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٨.
(٥٣) عزازيل (رواية).
دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.
(٥٤) كلمات (التقاط الألباس من كلام الناس).
نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.

موقع د. يوسف زيدان للتراث والمخطوطات

www.Ziedan.com